أ.د.أحمد عزوز
جامعة وهران1- أحمد بن بلة

المدارس اللسانية

- أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للخطاب التواصلي-

مقـــدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد؛

إنّ الهدف من تأليف هذا الكتاب هو التأريخ للدراسة اللسانية القديمة، والإفادة من البحوث اللسانية الحديثة، ومحاولة إبراز مناهجها، ومدى فائدتها في خدمة اللغة العربية وفكرها وثقافتها.

ونأمل من كلّ ذلك التواصل مع المعرفة العربية الأصيلة الضاربة جذورها في أعماق التراث، وكشف فاعليتها في مسار تطوّر المعرفة الإنسانية والمنجزات الحضارية.

إنّ تأسيس رؤية حضارية شاملة تنطلق من النظرة الشمولية لعلوم اللغة العربية وفكرها ومعارفها ومناهجها، إذ لا ينبغي النظر إلى مكوّناتها وعناصرها وعلومها بمعزل عن بعضها البعض؛ لأنّ الفهم سيظلّ قاصرا، وإنّما ليتمّ ذلك يفترض النظرة المترابطة والمتّصلة لإدراكها، لأنّ نشأة علوم العربية في حدّ ذاتها لها ذلك المنطلق الشمولي.

والعلم هو حلقة من سلسلة المحاولات الدائبة التي بذلها العقل الإنساني لحلّ إشكاله الوجودي.

وتأسيسا لهذا الفهم، فإنّ الدراسات القديمة والمتعدّدة في تحليل اللغة العربية ستبقى النبع الذي لا ينضب بالآراء العلمية الدقيقة التي توصَّل إليها العلماء العرب القدامى، فهي جديرة بالوقوف عند أدقّ مفاصلها وبتبصّر وتيقُّن وثبات.

وفي الوقت نفسه ينبغي اعتبار الحضارات أخذا وعطاء وحوارا ومثاقفة، والواجب يقتضي الإفادة ممّا يُؤلّف ويُكتب ويُنشر عند غَيرنا من الأمم بكلّ اللّغات، وفي جميع المجالات المعرفية ولدى كلّ الملل والنحل.

ولقد كانت المشافهة من الوسائل الأساسية عند العربي القديم في نقل أفكاره والتعبير عن مشاعره وأحاسيسه وتبليغ خبراته، واخترعت الكتابة التي ما تزال لم تستغل بعد كلّ إمكانياتها في توصيل التجارب والعلوم والمعارف للأجيال.

وظهرت الحضارة بإبداع الكتابة التي أرست قواعدها، ودوّنت فكرها وثقافتها، فتمكّنت الأمم من قراءتها وفهمها وتحليلها واستيعابها والإضافة إليها.

وإنّي لأعجب ممّا يؤلَّف عند غيرنا من الأمم، فكلّ من تخطر له فكرة بباله – في كثير من الأحيان – إلا ويسجّلها لنقلها للآخرين، وكلّ من يحلّ أو يرتجل إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشقّ الأنفس إلاّ ودوّن تجربته وقصّته وما حدث له ليطّلع عليه غيره.

وهكذا تبنى الحضارات والمدنيات، فكرة تليها أخرى، ورأي يطوّر رأيا، ومفهوم يزاحم آخر، ولهذا التراكم المعرفي والعلمي جدواه وأثره في التطور والازدهار.

ونعتقد أنّ عملنا ليس منفصلا عن هذه الرؤية، ولبلوغ المرمى والمقصود قسّمنا الكتاب إلى مقدّمة ومدخل وعشرة فصول وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات.

فتعرّض المدخل إلى الدراسة اللسانية واللغة العربية، وفائدتها في تطبيق مناهجها في تحليل اللغة العربية، ونظرتها إلى الأصالة والمعاصرة.

وكان الفصل الأول بعنوان: المدرسة اللسانية الهندية، والفصل الثاني المدرسة اليونانية، والثالث المدرسة الرومانية، أمّا الفصل الرابع فقد اهتمّ بالمدرسة اللسانية العربية.

وبعدها تمّت معالجة مدرسة فردينان دي سوسير أو مدرسة جنيف، فالمدرسة الوظيفية، فالنسقية والسياقية ثمّ التحويلية التوليدية. أمّا الفصل العاشر فكان بعنوان: اللسانيات التداولية.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّه ظهرت مؤلّفات كثيرة تناولت المدارس اللسانية القديمة والحديثة نذكر منها:

- الألسنية (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام للدكتور ميشال زكريا.
- ومدارس اللسانيات– التسابق والصراع– لجيفري سامبسون، ترجمة الدكتور محمد زياد كبة.
- وأصول تراثية في علم اللغة للدكتور كريم زكي حسام الدين.
- والمدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة للدكتور محمد الصغير بناني.
- واللسانيات – النشأة والتطور– لأحمد مومن.

ونرى أنّ كتابنا مرجع أساسي للطالب والباحث في اللسانيات والمناهج، فنقدّمه سندا معرفيا نظريا وتطبيقيا في كثير من مجالاته، وموثّقا، يفيد منه الطالب – خاصة – طوال مراحله الدراسية.

وهو دعوة أيضا إلى التفكير بعمق في الأسئلة العلمية والثقافية التي من أهمّها تلك المتعلقة بثنائية الأصالة والمعاصرة، والخصوصية والعولمة، وهو حوار منهجي يمسّ في جوهره حوار الحضارات والإفادة منها، أو النظريات العلمية واكتسابها لخدمة مجتمعاتنا وأمّتنا.

ولعلّ قارئنا الفاضل والمحترم يسأل سؤالا وجيها ومقبولا، وهو لماذا الطبعة الثالثة، فنجيب بما يأتي:

أ- لقد قمنا بتصحيح بعض الأخطاء التي ظهرت فيما سبق.

ب-ولقد استحسنه الطلاّب والأساتذة لما فيه من يسر في تناول المادّة المعرفية والمنهجية.

وفي الأخير، إذا استطاع هذا الكتاب أن يرسُم معالم وحدود المدارس اللسانية المختلفة؛ فذاك ما كنّا نأمله ونتمنّاه، وإن كان الأمر غير ذلك، فسنسعى إلى استدراك ما فاتنا مستقبلا أو يقوم بذلك غيرنا - إن شاء الله-؛ لأنّ ما نكتبه اليوم فقد نغيّر منه قليلا أو كثيرا ونضيف إليه غدا، ونعتبر ذلك من سمة التطوّر.

والله نسأل النفع لقارئيه، وهو الموفّق.

الأستاذ الدكتور أحمد عزوز

جامعة وهران - ديسمبر 2018

مـــــدخـــــل

الدراسة اللسانية واللغة العربية

1- اللسانيات بين القبول والعزوف

2- اللسانيات والتراث والنحو

3- وظيفة اللسانيات

4- الغاية من اللسانيات

- خاتمة.

يعدّ القرن العشرون قرن تصنيف للمعلومات، وتحليلها وبناء مناهج تنزع نحو الدقة والعلمية، وقد ارتبط بأسماء علماء بارزين في أوروبا وأمريكا، ولعلّ أكثرهم تأثيرا في الفكر اللساني والمقولات المعرفية، وتأسيسا لمناهج مستقلة ومدارس هم: فردينان دي سوسير (1913)، وبلومفيد (1949) ، ونوام تشومسكي.

ويتقدّمهم فريدينان دي سوسير لما له من فضل في إرساء أسس اللسانيات على دعائم علمية، وبخاصّة عندما أشار إلى دراسة عمل اللغة في آنيتها، وليس في تطوّرها، وتتبّعها عبر مراحلها التاريخية، وليس مفاد ذلك أنّه رفض الدراسة اللغوية التاريخية، وإنّما رآها ثانوية بالنسبة إلى المنهج الآني الذي كان يقرّه ويؤسّس له[1].

وتعدّ مبادئ دي سوسير من أهمّ الأفكار التي أفادت فنّيات التعليم في العصر الحديث وآلياته وطرقه، بالإضافة إلى علم النفس العامّ والتربوي، فإتقان التعليم يركّز على اللغة باعتبارها بناء فكريا ومضمونا ثقافيا وحضاريا؛ وهي ليست وسيلة تراثية تُقصد لذاتها، أو غاية معرفية فحسب؛ وإنّما هي وسيلة وغاية في الآن نفسه؛ بل هي الأداة التي تبلّغ بها العلوم والمعارف.

ولذلك عندما يؤرّخ للسانيات في مفهومها الحديث، فإنّه من البديهي أن يذكر مؤسّسها فريدينان دي سوسير FERDINAND DE SAUSURE الذي نشر تلميذاه ألبير سيشهاي ALBERT SECHEHAYE وشارل بالي CHARLE BALLY كتابه الشهير الموسوم بـ "دروس في الألسنية العامة"[2] سنة 1916.

وممّا يلاحظ اليوم أنّ النموذج اللّساني فرض وجوده على أغلب ميادين الفكر الإنساني، فلا نكاد نتناول مجالا معرفيا إلا ونلفيه احتوى منهجه ومصطلحاته.

كما بحثت اللسانيات في أصول إنتاجه العلمي، وأعادت هيكلته ومنهجيته وجعلته يسير التناول، فغاص المثقّف في أعماق بحرها وتفاصيل أجزائها.

وقد يعود ذلك إلى أنّ الأسئلة التي تطرحها اللسانيات وما تزال تسجّل غيرها، ليست بالضرورة هي تلك التي حاول اللغويون القدامى الإجابة عنها، والتصدّي لها، ولا منهجيتها

[1]– ينظر د.ميشال زكريا، الألسنية(علم اللغة الحديث)،المبادئ والأعلام. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان ط:1، سنة 1983ص: 224.

[2]– فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة. تعريب صالح القرمادي وآخران، الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا، دون سنة.

هي تلك التي سار هؤلاء عليها، لأنّها- في كثير من الأحيان – تعتمد منهجية جديدة قائمة على مفاهيم علمية دقيقة وموضوعية بحتة[1].

فكان ما سبق علّة في تغيّر علاقة اللسانيات بالمجالات الإنسانية المختلفة، وأصبحت قضايا اللغة من حيث هي خاصّية إنسانية فريدة من نوعها، تهتمّ بها بالقدر نفسه الذي اهتمّت بها الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية والفلسفية، فتأثّرت بها أساليب تحليل الخطاب وطرق تعليم اللغات من حيث المنهج والمصطلحات الأساسية[2].

ولكنّ الإمكانيات التي تطرحها اللسانيات، لا تزال لم تستغل جلّها بعد في أغلب ميادين المعرفة الإنسانية، وهي إمكانيات منهجية في الأساس.

1 –[illegible] .

على الرّغم ممّا كُتِب في ميدان اللسانيات باللغات الأجنبية، فإنّ اللغة العربية لم تستهلك القدر الذي يسمح للدرس اللغوي العربي بفتح باب المناقشة والمساءلة والحوار حول الإشكاليات التي يفترضها هذا العلم ويضعها، وحول طرق الإفادة منه وكيفية تطبيق تقنياته في المجال التعليمي والإجرائي.

وقد يعود ذلك إلى أسباب منها:

أ- حداثة العلم ومناهجه؛ إذ يقلق الإنسان ويتخوّف – من حين لآخر- من كلّ جديد، وبخاصّة من النتائج التي يصل إليها العلم والتي قد يشكّ – في بعض الأحيان- في أنّ المادة المدروسة أو القضايا المعالجة لا تقبلها.

ب – الطريقة التي قدّم بها بعض الدارسين اللسانيات –وما زال–، إذ رصدوا نظرياتها ومناهجها في أشكال ورسوم ورموز وأرقام وجداول، أفقدت بها اللغة ذوقها وجمالها وعذوبتها وإيقاعها وتنغيماتها؛ وهي من العناصر المميّزة للغة العربية والمحفّزة على تعلّمها وإتقانها.

ج – للأمّة العربية تراث لغوي من أغزر ما تخلّفه الأحقاب الحضارية لمن بعدها، فقد أتى أبناؤها على لغتهم جمعا وتمحيصا، ثمّ ترتيبا وتنظيما ودراسة، حتّى غدت علومهم اللغوية مضرب الأمثال، شهد لهم بذلك كلّ من اطّلع على تراثهم العربي الضخم من المستشرقين والغربيين، فأدّى ذلك إلى نشأة سياج من المحظورات ترسَّخ بموجبه عقدة

[1]– ينظر محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، ط:1، الدار البيضاء، المغرب،سنة:1980،ص:6.

[2]– ينظر د.ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص: 12.

الاستغناء – أحيانا – عمّا تنتجه الأمم الأخرى، وكأنّما حال العربي يقول: أفإن رضينا أن نلجأ إلى غيرنا في علوم الطبيعة وصناعة الطب وأسرار الفضاء، وتكنولوجيات الاتصال أَفَيلِيق بنا أن نتتلمذ – أيضا – في علوم اللغة على من سوانا[1]؟.

وقد يكون في هذا جانب من الصواب إذا كانت الغاية من العلم وضع الفواصل والحواجز بين الماضي والتاريخ ، وما يكشف وينجز يوميا هنا وهناك في هذا العالم السريع التغيّر والتطوّر.

2- [illegible]:

ومن هذا المنطلق؛ ابتدع العرب كثيرا من الفرضيات والمقولات والنظريات على الأقل في المجال اللغوي، ولكنّها ظلّت مستقلّة بعضها عن بعض، ليس على مستوى الجانب الفكري بمعناه العام فقط؛ بل تعدّى ذلك إلى الكتب المدرسية التي درجت على تشقيق المادة اللغوية الواحدة، ففصلت دروس النحو عن دروس الصرف وغيره، وأهملت العناية بجانب النطق أو دراسة الأصوات دراسة تطبيقية متأنية، واكتفت في جانب المعنى بتقريب ما يريده الطالب دون تمكينه من القدرة على البحث في القاموس العربي وتشجيع مهاراته الفردية في هذا الصدد[2].

والأعجب من هذا أنّنا نجد من لا يفيد من علم النحو في كتاباته وفي فهم الأساليب؛ بل إنّنا نلفي من يتنصّل من مسؤولياته في الإشارة إلى أيّ باب من أبوابه، و لو كان يتطلّب ذلك مبدئيا لفهم قضايا دلالية أو تركيبية كلّ المشتغلين في حقل من يوصل الفكرة أو المعنى باللغة العربية.

وقد يعود – في رأينا على الأقل– هذا إلى غياب النظرة التجميعية، وفقدان شمولية المنهج في التدريس والفهم لبعض الظواهر اللغوية والنحوية ممّا أدّى بالكثير إلى إطلاق الأحكام العامّة على صعوبة النحو مثلا دون وضوح أبوابه كلّه في ذهنه.

3- [illegible]

نرى أنّ وظيفة اللّسانيات تجعل القارئ العربي في علاقة ألفة واستئناس مع التراث اللغوي العربي الضخم، وبها تدخل الأصالة والمعاصرة في تحالف لا ينفكّ ولا ينفصل، ولا

---

[1]– ينظر د.عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية. الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر سنة 1986، ص: 13.

2– ينظر د.أحمد طاهر حسنين، نظرية الاكتمال اللغوي عند العرب، ط: 1، القاهرة، ص: 2.

يمكن للمرء أن يكون معاصرا مجدّدا إلاّ إذا كان تراثيا أولا[1]؛ بل مستوعبا لما سبه من نظريات ومناهج وعلوم، أي إنّ اللّسانيات لا تعلن القطيعة مع هذا التراث، ولكن العكس هو المقصود، ثمّ إنّ الغاية منها – أيضا – تتجلّى في فهمه وتحليله وخدمته.

ولا شكّ في أنّها تعيد النظر في ذلك المزج بين فروع علم اللغة المختلفة في دفتي المصدر الواحد الذي تتشابك فيه المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والمعجمية، فتعرض متداخلة في أبوابه، فيلاقي القارئ – في كثير من الأحيان – نوعا من الغموض واللبس بسبب الطريقة التي قدّمت بها القضايا اللغوية.

"فالنحو العربي لم يميّز حدودا واضحة " لمستويات التحليل اللغوي"؛ وإنّما اختلطت فيه المستويات اختلاطا شديدا، فقد ظلّت كتب النحو منذ كتاب سيبويه(ة180غ) تجمع الظواهر الصوتية إلى الصرفية إلى النحوية"[2].

وقد عرّف ابن جني النحو بأنّه: "انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها"[3].

فالنحويّ العربيّ القديم مثلا؛ كان إذا تعرّض لقضية تركيبية أخذه الحديث إلى الكلام عن الصوت والدلالة والمعجم والفروع العلمية المتعدّدة دون أن يشعر القارئ بهذا الانتقال المفاجئ من مستوى إلى آخر[4]، أو من تحليل ظاهرة إلى أخرى.

وقد درج الدارسون على هذا المنهج ولكن "على الرّغم من المحاولات الطيّبة في فصل هذه المستويات، فقد ظهرت كتب مفردة في دراسة الأصوات اللغوية مثل "سر صناعة الإعراب" لابن جني(ة392غ)، وفي الدرس الصرفي مثل "كتاب التصريف "لأبي عثمان المازني(ة247غ)، وشرحه ابن جني في مؤلّف أسماه "المنصف في شرح كتاب التصريف" لأبي عثمان المازني، الذي رأى فيه أسبقية التصريف على النحو"[5].

---

[1]– ينظر محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 52.

[2]– عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص: 52.

[3]– ابن جني، الخصائص، ج: 1،ص:34.

[4]– ينظر د.محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 7

[5]- عبده الراجحي، المرجع السابق، ص: 52-53.

وازداد فرط المتأخّرين فيه بممرّ العصور، فساء الدرس اللغوي، وورث أهل هذا الزمان نحوا غامضا – في بعض جوانبه – يُتلقّف في الحواشي، ويلتمس في الشروح، فتفاقم الجهل – في كثير من الأحيان – بالمستويات التركيبية للعربية وببنائها اللفظي لدى كثير من الناس، لأنّ القارئ أصبح إزاء فرضيات لا سبيل إلى إدراكها والاقتناع بها[1]، فكثرت الشكاوى من الدارسين والمدرّسين، ولا نحسب الأمر كلّه مذلك؛ وإنّما فيه من المبالغة ما فيه، ومن الزايدة على النحو ما يجعل كلّ باحث يقف أمام تلك الآراء موقف متأمّل.

وما يلاحظ على ذلك أنّ الأجيال المتعاقبة ورثت اللغة العربية في مصادرها الأصلية والمتأخّرة، وممّا يؤسف له أنّ طائفة من المؤلّفات ظلّت أسيرة التقليد، وبعيدة عن النظرة التصنيفية الشمولية، فاحتوت على عناصر غامضة في المادّة اللغوية سواء في تناولها لها ولا سيما نحوها[2]، فكانت بعيدة عن المنهج العلمي الذي يتحرّى الدقّة، والبحث عن العلاقة بين المستويات اللغوية المختلفة وإيجاد القاسم الإبلاغي المشترك بينها ليتذوقها المتلقّي، وبخاصّة أنّ هدف اللغة الإيصال والتفاهم بين أفراد المجموعة المتكلّمة بها، وأنّ النحو أو العلوم اللغوية الأخرى من أهدافها كذلك تحليل وفهم أداة التواصل التي هي اللغة.

وفي هذا المجال قد أفاد عبد القادر الجرجاني(471غ) بما في النحو من إمكانيات تعبيرية ووظائفها بشكل مباشر في محاولة لتقعيد نظرية لغوية لفهم "الأسلوب" من حيث كان النحو مبدعا للنسق التعبيري الذي يحقّق المزية والفضيلة بجانب الصحّة والسلامة، حيث تمكّن في ضوء مفهومه للنحو أن يستجليَ جوانب خصبة في التراكيب المتعلّقة بالجمال وسرّه من جهة، والمعاني والدلالات الكامنة وراء تأليفه من جهة أخرى، فربط نسقها بالفكر، وكان ذلك مقدّمة لنظريته المشوّقة التي أطلق عليها مصطلحا دقيقا أسماه النظم[3]، ما يزال يفيد منها الدارسون المعاصرون.

ولكن ما هو المطلوب اليوم في ضوء التطوّرات التي يشهدها العالم العربي في مجال الفكر والرؤى والتطلّع إلى مستقبل أفضل؟ وكيف يسهم الدارس للغة العربية بما تآلف وتآزر لديه من قواعد العلماء القدامى، وما تمدّه أحدث المناهج العلمية من طرق تعليمية ولاكتساب هذه اللغة الجميلة وتعليمها.

---

[1]- ينظر محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 7.
[2]- ينظر د.إبراهيم السامرائي، العربية تواجه العصر، منشورات دار الجاحظ، بغداد. ص: 21.
[3]- ينظر عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعارف، بيروت، ط: 2، 1981.

4-طرائق تدريس اللغة العربية

يتّجه عمل اللسانيات – بلا ريب – نحو إعادة النظر في طرائق التحليل اللغوي في ضوء ما أنجزته اللسانيات والسعي إلى إيجاد لسانيات عربية متميّزة قادرة على فهم القضايا اللغوية ووضع الأسس العلمية لدراستها ووصفها واستيعابها[1]، وبخاصّة في ضوء هذا الزخم من المدارس والمناهج مثل المدرسة الوصفية، والوظيفية والنسقية والتوزيعية والتحويلية التوليدية التي –بدون شكّ – لها آراء ومبادئ يمكن أن تفيد لغتنا العربية في أكثر من جانب.

ويشعر المرء في كلّ لحظة بضرورة فهم لغته ووصفها الوصف الواضح، ومعالجتها بطرق علمية ومنهج دقيق قائم على الموضوعية، ومؤسَّس على التعليل البعيد عن التأويل والنظر الخيالي؛ لتصبح هذه اللغة في متناول كل من يرغب دراستها، وتنزع من الأذهان صعوبة تعلّمها وغموض قضاياها.

ولا شكّ – أيضا– في أنّ الظروف التاريخية التي نحياها اليوم ليست منفصلة عن الماضي، ومن هنا يتحتّم علينا ألاّ نتنكّر لتراثنا وأن نستعرض النظريات وقواعدها ما مضى منها وما انقضى، لنفهم اللحظة الحاضرة، وأن نتأمّل ما أبدعه العلماء القدماء الأفذاذ.

وقد أثبت التاريخ أنّ المتقدّمين من اللغويين العرب أفادوا ممّا واجههم من علم أمم عصرهم – كاليونان والرومان وغيرهمم – لذلك فليس من العيب أن نأخذ اليوم ما يفيد دراسة اللغة العربية، لأنّ التسلّح بالنظريات اللسانية المتطوّرة أصبح أمرا ضروريا لسبر قضايا اللغة وتحليلها؛ بل إنّ الحضارة عبر العصور تتطلّب ذلك.

ويستشهد في وضع القواعد بنصوص فطاحل الكلمة القدامى، وما يكتبه أرباب الفكر والقلم اليوم، وما ينشده شعراء مبرّزون، لهم ملكة لسانية، شهد لهم بها جهابذة النقد، فامتازوا باللغة الراقية وبلاغة المعاني وفصاحة الألفاظ التي تربّي الذوق السليم، ولا تعلّم اللكنة والعُجمة والنفور منها، وأمثال هؤلاء الفطاحل لا يحصى عددهم ولا يقدر، وكانت أسماؤهم أيقونات الأدب والنقد.

وانطلاقا من ذلك يصنّف الكلام العربي تصنيفا واقعيا، وتوصف أجزاؤه وعلاقة كلّ جزء بالآخر، وكيف يتأتّى المعنى من التركيب ويتغيّر بتغيّره، وقيمة الأساليب المختلفة في التبليغ

[1]- ينظر د.إبراهيم السامرائي، المرجع نفسه، ص: 21.

والتوصيل، "لأنّ المعنى قد يحدّد – في كثير من الأحيان – من خلال التأليف الكلي للنص؛ لأنّ جملته لا تفهم في ذاتها فحسب، وإنّما تساهم الجملة الأخرى في فهمها"[1].

وليس هذا غريبا عن نهج اللغويين العرب القدامى أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ة175غ) وسيبويه (ة180غ) وابن جني (ة392غ) وعبد القادر الجرجاني (ة471غ) وغيرهم من العلماء الذين حلّلوا اللغة من منطلقات علمية وواقعية، يمكن عدّها متطوّرة بالنسبة لعصرهم ولا تزال؛ ممّا يؤكّد أنّ المفاهيم اللسانية المتقدّمة ليست دخيلة على التراث اللغوي العربي[2]، خاصّة إذا أحسنّا قراءتها قراءة عميقة، وتحليلها تحليلا بعيدا عن التأويلات الغريبة عن منطق اللغة.

وانطلاقا ممّا سبق، يمكن إعادة وهيكلة ومنهجة قواعد اللغة العربية حين الفصل بين الفروع اللغوية، والتمييز بين ما هو صرفي ممّا هو تركيبي من غيره، وإن كانت هذه المستويات متّصلة فيما بينها – أي لا تنتقل من مستوى إلى آخر دون إحساس القارئ بهذا الانتقال، وربط العلاقات بينها.

ولا يفيد التركيز على منهج بعينه، وإنّما للباحث الحرية في اختيار ما يتبنّاه، وما يهمّه هو أن يخدم اللغة العربية؛ لأنّ أيّة مدرسة لم توفّق إلى الآن في صياغة نظرية شاملة يكتفى بها، وإنّما كلّ ما نجده هو بعض المبادئ الجزئية والنسبية التي إذا أضاءت جوانب بقيت أخرى مظلمة[3]، تحتاج إلى إضاءتها بما هو موجود في المناهج الأخرى.

وبذلك سيجد القارئُ للنحوَ العربي مثلا أيسر بكثير مما يتصوّره بعض الناس، ثمّ إنّه من السهولة بمكان اكتشاف التركيب الجديد للغة العربية، فلا يغفل فيه التراث، كما لا يغفل فيه المناهج الجديدة[4].

وفي واقع الأمر، إنّ دارس اللسانيات في أي بقعة من الوطن العربي إذا رغب خدمة اللغة العربية، فما يتحتّم عليه القيام به هو عقد الألفة والصداقة مع النحاة واللغويين العرب القدامى من خلال مؤلّفاتهم المنشورة والمخطوطة؛ لأنّ كلّ مجدّد يفترض فيه أن يكون عارفا التراث؛ بل ملمّا به، ولا يقف عند هذا الحدّ، وإنّما عليه –أيضا– أن يتزوّد بالمعرفة اللسانية المعاصرة وأحدث نظرياتها.

---

[1]- د. عبد الكريم بكري، فصول في اللغة و الأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ص: 8.

[2]- ينظر د.ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: 1 سنة: 1983، ص: 5.

[3]- ينظر محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري – استراتيجيه التناص – المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: 2، سنة: 1986، ص: 7.

[4]- ينظر د.محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 7.

وإنّنا نقرّ هنا أنّ صعوبة النحو ناجمة عن عدم الاطلاع على ما كتبه القدماء، فكثيرون يدّعون غموض النحو أو الصرف وإن سألتهم ماذا قرأتم و برهنوا على ما تقولون، فقد يبقى الجواب مخبوءا تحت لسانهم، وإن كنّا لا ننزع بعض الغموض من بعض الأقسام من المادّة اللغوية كالنحو أو الصرف في التراث، ولكن ليس هذا مبرّرا للنفور منه.

والأصالة والمعاصرة أو هذه الازدواجية هي التي ستمكّن القارئ من أن يموضع نفسه في موضع قوّة حيث سوف يتطرّق إلى أي موضوع بأداة علمية وتقنية مناسبة للعصر، وتجعله يحسن تقديمه للآخرين بوسائل سهلة تدفعه إلى إعادة قراءته وصياغته و بلورته[1].

وهل يُسّر لأحد رغِب خدمة اللغة العربية، ولم يكن له من التراث عدّة وافية ومن المعاصرة فكر ومنهج[2]؟

خاتمة:

وأخيرا، إنّ الوعي اللغوي للعصر والاهتمام بوسائل الاتصال بين البشر يزداد يوما بعد يوم، ومن ثمّ فإنّ تقريب اللسانيات من القارئ العربي، وإدخالها في صلب ثقافته سيعودان بالنفع على الثقافة العربية سواء كان ذلك في بعدها القومي أو العالمي، باعتبارها وسيلة حاملة للثقافة العربية وتراثها ومدنيتها، وأداة حوار بين اللغات والحضارات عبر أحقاب تاريخية متواصلة.

ولمّا كانت الحضارة الإنسانية تراثا مشتركا بين أمم الأرض جميعها، فإنّ هذه الثقافة هي الدعامة الأولى للحضارة، لأنّها ليست ملكا لقوم بعينه.

ولذلك فمن الجدير أن يُنهل من اللسانيات حتى تدخل الدراسات اللغوية العربية في حقبة متطوّرة، تكون جسرا تتلاقى فيه روافد الأصالة والحداثة،" ليس كنقيضين متصاقبين، بل متكاملين كوجهي العملة الواحدة، من أجل إبداع عربي جديد"[3].

ويشرئبّ المرء كلّ يوم إلى مستقبل ناضر، مشبع بروح التقدّم حتى نؤكّد خاصيتنا الأساسية التي من أجلها نحيا، وهي الاشتراك فيما ينتجه العقل والفكر البشريان، فقد نأخذ اليوم ونعطي غدا، وبهذا يتحدّد دورنا في المساهمة في تشييد صرح الحضارة الإنسانية بكلّ ضروبها.

---

[1]- د.إبراهيم السامرائي، المرجع السابق، ص: 3.

[2]- ينظر د. محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 6.

[3]- مجمد عزام، النص الغائب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، ط: 1، سنة 2001، ص: 5.

الفصل الأول

المدرسة الهندية

1- اختراع الكتابة وأهميتها

2- محاور أساسية في المدرسة الهندية

* اللغة السنسكريتية

* بانيني

* الفيدا

3- عوامل الدراسة اللغوية عند الهنود

4- آراء المدرسة الهندية اللسانية و مبادئها.

5- مميّزات النحو الهندي.

6- الاختلاف بين الهنود والإغريق

7 - التقارب بين الهنود والإغريق

إن الاهتمام بمشكلة اللغة قديم قدم العالم، إذ يرجع إلى فترة بداية الأجناس البشرية في التكلّم والكتابة، فتساءلت عن أصل اللغة وتعدّد الألسن واختلافها.

ويمكن أن نلحظ ذلك في سِفر التكوين، كما تشير التوراة إلى أنّ آدم هو الذي وضع للحيوانات أسماءها، وتفسّر قصة بابل تعدّد اللّغات وتبلبلها. أمّا اليونان فقد تخيّلوا خالقا ومبدعا للّغة والكتابة، وكذلك الهنود وغيرهم من الأمم القديمة[1].

1-ئ خ ئ ظ ك بئ ـ ب ـ ه ق ص م ذ ه ئ

إذا كان الإنسان قد اكتفى فَي بداية الأمر بالأسطورة في معالجة مشكلة اللغة؛ بل في تفسير الظواهر الطبيعية المختلفة التي عجز عن فهمها، فإنّ اختراع الكتابة التي تمثّل الكلام بأيّ صورة من الصور، هي وثيقة تجعلنا نستشفّ منها وعي الحضارة من خلال موضوع لغتها.

ويعتبر هذا الاختراع نوعا هامّا من التحليل اللغوي، وهو حدث مميّز في تاريخ البشرية الذي كان له انعكاس على تطوّر الفكر، ودفع الدراسات اللغوية إلى أن تخطو خطوة كبيرة إلى الأمام، لأنّ تمثيل الكلمات المنطوقة برموز كتابية ينطوي على تجريدها من سلسلة الكلام المنطوق والانتقال بها إلى المحسوس والرؤية البصرية[2].

لذلك فإنّ عملية الكتابة في أساسها هي بحث وتحليل لغوي، لأنّها في جميع أشكالها وأطوارها (التصويرية، والمقطعية والمنهجية) تقتضي من الكاتب أن يحلّل اللسان الذي يكتبه[1]، فالكتابة التصويرية هي التي ترمز لكلّ كلمة من كلمات اللغة برمز خاص، وتقتضي من الكاتب أن يقوم بعملية عزل لكلمات ومقاطع وحروف اللسان الذي يكتبه، مثل **ك بئ ـ ب ك ه ذ ه ع ف ذ ب**[3] التي تعبّر عن الكلمات برموز؛ ولكنّها لا تعطي أي فكرة عن النطق.

والكتابة المقطعية أين يمثل كلّ مقطع بعلامة، وهي التي تحلّل فيها الكلمة إلى مجموعة من الأصوات، وتعبّر بعلامة واحدة عنها كالكتابة المسمارية[4]، أي تتطلّب من الكاتب أن

---

[1]– ينظر محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة. مكتبة دار الشرق، بيروت لبنان. ط: 2، ص: 22.

[2]– ينظر د.محمود السعران، علم اللغة، القاهرة 1962، ص: 345.

[3]– هيروغليفي: مصطلح إغريقي معناه النقش المقدّس، أطلقه الغربيون على الكتابة المصرية القديمة المحفورة في قبور المصريين القدماء ومعابدهم، وغير ذلك من تراثهم.

[4]– الكتابة المسمارية: من اللاتينية CUNEUS بمعناه الزاوية، و هي كتابة الآشوريين وتشبه المسامير، ولها شكل الزاوية ECRITURE CUNEIFORME.

يحلّل كلمات اللسان الذي يكتبه إلى مجموعات من الأصوات (مقاطع صوتية) ليرمز إلى كلّ مجموعة برمزها الخاص.

أما الكتابة الألف بائية أو الهجائية أو الأبجدية، فهي أرقي من الكتابات السابقة، ويذهب فيها التحليل إلى أبعد ممّا سبق، فهي تحاول أن ترمز إلى كلّ صوت من أصوات اللغة برمز كتابي واحد[1].

وعلى الرّغم ممّا سبق، فإنّ البحث اللغوي بمعناه المعروف ظلّ أمرا مجهولا لدى الإنسان؛ إلى أن دعته ضرورة حملته على القيام به، فكان ذلك في جنوبي العراق وحوالي 3500 ق.م. حيث سكن الشعب السومري، وعرف لسانه عن طريق النصوص المسمارية.

ويلاحظ أنّ الحاجة التعليمية كانت إحدى البواعث المهمّة للدراسات اللغوية، فبها قيّد الناس من قديم الزمان صلواتهم ونصوص قوانينهم وتشريعاتهم، فاكتسبت الأشكال الأولى لهذه الكتابة قداسة حملت الكتبةِ الذين أتوا بعد ذلك على الاحتفاظ بها، على الرّغم من أنّها أصبحت غير دقيقة في تمثيل النطق بعد أن تطوّر اللسان على أفواه أبنائه.

وبعد فترة من الزمان شعر الناس بالفرق الواضح بين اللسان الحاضر الذي يتكلّمونه، والماضي المقيّد في الكتابة، فكان ذلك دافعا لبعض علمائهم إلى شرح هذه النصوص المقدّسة، وإلى وضع القواعد التي تيسّر على الناس فهمها[2].

ومن هنا يتجلّى لنا أنّ الكتابة تُظهر الفرق بين لغة جيل ما ولغة الأجيال السابقة عليه، كما تحتفظ – أحيانا – بصور قديمة لها صفة مقدّسة، فاحتاجت إلى تفسيرات وشروح يفهمها الجيل اللاحق.

ولا شكّ في أنّ الهنود يعتبرون من أقدم الأمم التي شغلت بالبحث اللغوي، ولذا تعدّ مدرستهم أقدم من المدارس اليونانية والرومانية والعربية.

ومن خصائص دراستها أنّها لم تولع في تحليلها بالبحوث الفكرية الفلسفية، كما هو الحال عند قدماء اليونان؛ بل كان انشغالهم بالدراسات اللسانية وسيلة لحفظ تراثها الديني.

---

[1]– ينظر د. محمود السعران، علم اللغة، ص: 346.

[2]– ينظر محمد الأنطاكي، المرجع السابق، ص: 34.

فقد آثر عن الهنود دراسات في فروع علم اللغة المختلفة تناولت الأصوات والاشتقاق والنحو والمعجم، كما عالجت كثيرا من مشكلات فقه اللغة، ويرجع أقدم هذه الدراسات إلى فترة مجهولة لنا، أمّا أقدم ما وصلنا منها فيعود إلى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد[1].

وعندما نريد التأريخ للمدرسة الهندية، ووصف مظاهر تحليلها اللغوي، والوقوف على تراثها وأهمّ أفكارها ومبادئها، فحريّ بنا الإشارة إلى ثلاث محاور أساسية وهذا لنتبيّنها ونفهمها.

2- لـ ثهذ آزئزذب غيطت ذز بطحت پب

وتتجلّى هذه المحاور في:

أ- اللغة السنسكريتية.

ب- الفيدا

ج- العالم اللغوي بانيني PAPINI.

آ- طكغ بطحدحگدإئذب:

"وهو مصطلح يطلق على اللسان الهندي القديم، كما كان ينطقه ويكتبه الكهنة القدماء"[2]، وهي لغة الأدب الفيدي والدّين عندهم- أيضا-، ولها تاريخ طويل يزيد على ألف وخمسمائة سنة (1500 ق.م) ، قبل أن يظهر كتاب النحو الذي ألفه بانيني عن هذه اللغة، وقد أشار إلى أعمال ذكرت قبله وعلماء سبقوه، عالج فيها أصحابها قواعد اللغة السنسكريتية ولكنّها لم تصلنا[3].

وبقي هذا المصطلح مستعملا حتى الآن، وهو يدلّ على ما أصبغ على هذا اللسان من قداسة، فالمصطلح نفسه في هذه اللغة يعني الكمال و(الكامل المتقن)؛ لأنّه حافظ على التراث الديني زمنا طويلا، فأصبح بذلك جزءا منه واكتسب بعضا من قداسته[4].

وكان أهمّ حدث لغوي في القرن الثامن عشر هو كشف السير وليام جونز[5] سنة 1786م اللغة السنسكريتية وإبرازه العلاقة بينها وبين اللغة اليونانية واللاتينية، إذ يقول جونز:" إنّ اللغة

---

[1]- ينظر د.محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الاولى، 1976، ص: 89.

[2]- ينظر محمد محمود غالي، المرجع نفسه، ص: 90.

[3]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ص: 40.

[4]- ينظر محمد محمود غالي، المرجع السابق، ص: 90.

[5]- وليام جونز: مستشرق و قانوني بريطاني(ولد بلندن سنة 1746 و توفي بكلكوتا 1794)، أحد الرواد في الدراسات الشرقية و بخاصة السنسكريتية، نشر 1770 " بحثا أو مقالة في الشعر الشرقي" (TRAITE SUR LA POESIE ORIENTALE). (النحو الفارسي 1771)، له ترجمة للشعر العربي قبل الإسلام (المعلقات). كل مؤلفاته نشرت بلندن سنة 1799.

السنسكريتية مهما كان قدمها بنية رائعة أكمل من الإغريقية وأغنى من اللاتينية، وهي تنمّ عن ثقافة أرقى من هاتين اللغتين؛ لكنّها مع ذلك تتّصل بها بصلة وثيقة من القرابة سواء من ناحية جذور الأفعال أم من ناحية الصيغ النحوية حتّى لا يمكننا أن نعزو هذه القرابة إلى مجردّ الصدفة، ولا يسعُ أيّ لغوي بعد تفحّصه هذه اللغات الثلاث إلاّ أن يعترف بأنّها تتفرّع من أصل مشترك زال من الوجود[1].

وهكذا أخذت دراسة اللغة تسلك سبيل التأريخ والمقارنة، فأصبحت السنسكريتية أساس البحث اللغوي كان يلجأ دائما في شرحه لأيّة ظاهرة لغوية أوروبية إلى السنسكريتية، وهو المنهج الذي ساد الدراسة طوال القرن التاسع عشر، وبخاصة لدى المدرسة الألمانية[2].

وقد قال ماكس مولر[3]:" إنّ السنسكريتية هي الأساس الوحيد لفقه اللغة المقارن، وسوف تبقى المرشد الوحيد الصحيح لهذا العلم، وعالم فقه اللغة المقارن الذي لا يعرف السنسكريتية شأنه شأن عالم الفلك الذي لا يعرف الرياضيات"[4].

وقد اعترض على المنهج المقارن بعض اللغويين وبحث عن البديل والجديد، حيث يقول اليس **ELLIS:** " في أيامنا هذه جاء كشف السنسكريتية وبدأ فقه اللغة المقارن، ولكنّه – للأسف– بدأ من النهاية غير الصحيحة، وذلك أنّ البدء بالسنسكريتية كان كأنّه وصل لظواهر الحياة بشيء ميّت، كما أنّه من الخطأ بدء دراسة علم الحيوان بدراسة علم الحفريات، أي دراسة علاقات الحياة بعظام الموتى"[5].

وكان لكشف اللغة السنسكريتية نتائج قيّمة في سير الدراسات اللغوية، "نتج عن معرفتها إدراك العلاقة بينها وبين اللغة اليونانية واللاتينية وما تفرّع عنها من اللغات، فأخذ العلماء يتكلّمون عن مجموعة اللغات التي سمّوها عائلة اللغات الهندو–أوربية، كما اطّلع لغويو أوروبا وأمريكا على التراث النحوي والصوتي الذي خلّفه الهنود، وقد ترجم جانب كبير منه إلى اللغة الانجليزية والفرنسية والألمانية[6].

---

[1]– جورج مونان، تاريخ علم اللغة – منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة د.بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، سنة 1972، ص: 162.

[2]– ينظر د.عبده الراجحي، المرجع السابق، ص: 162.

[3]– ماكس مولر: لساني، مستشرق، ميثولوجي ألماني، أقام ببريطانيا من 1823 بأكسفورد إلى 1900. بعدما درس في ألمانيا واصل تعليمه بباريس حول سنسكريتي BURNOUF إن دراسته للديانات الهندية أدت به إلى اعتبار القوى الطبيعية. له كتاب لغوي بعنوان: " ستة دروس حول علم اللغة" 1864، ترجم إلى الفرنسية سنة 1864، عرف نجاحا كبيرا قبل أن توجه إليه انتقادات شديدة.

[4]– د.محمود السعران، علم اللغة، ص: 362–363.

[5]– د.كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ص:40.

[6]–LE PETIT ROBERT, TOME :2 ; PAGE :1362 .

ا- بانيني:

يعتبر بانيني إمام نحاة الهنود " وأبرزهم على الإطلاق، وذلك للدقّة المدهشة التي صاغ بها القواعد النحوية والصوتية للسنسكريتية، فهو يعدّ سيبويه هذه اللغة، وهو من شمال الهند، عاش في القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد (حوالي 350ق.م إلى 250ق.م) .

وعلى يديه وجد النحو الهندي صياغته الكاملة في شكل كتاب يضمّ 4000 قاعدة نحوية منظومة، كان أقرب إلى المعادلات الجبرية الرياضية، ويعدّ هذا الكتاب المصدر الأول والأخير في نحو اللغة الهندية القديمة[1].

وتعتبر تحليلات بانيني الصوتية، الصرفية والتركيبية للغة السنسكريتية بحقّ وصفا كاملا لها، وعلى درجة كبيرة من الدقّة[2].

وانتسبت إليه اثنتاعشر مدرسة نحوية، كما أشار إلى ثمان وستّين (68) لغويا قبله – لم تصل أعمالهم– تناولوا اللغة السنسكريتية، يتلو أسماءهم الواحد تلو الآخر حتّى يصل إلى سلفه المباشر المسمى YASCHA، ويتحدّث عن كتابه في شرح اللغة.

وبفضل بانيني يقف الدارس على سلسلة طويلة من الأبحاث التحليلية اللغوية التي تناقلتها أجيالهم شفاها[3].

ولقد شرح مؤلّفات بانيني فيلسوف شهير ونحوي هندي قدير، عاش في القرن الثاني قبل الميلاد وهوباتنجالي*(200ق،م.– ت150ق،م)، ألّف حكم اليوقا* التي اكتشفت في الغرب من قبل شوبنهاور** SHOPENHAEUR، وأسهمت هذه المؤلّفات في المحافظة على اللغة السنسكريتية القديمة[4].

وترجمت أعمال بانيني لأوّل مرّة في أوروبا على يد بوتلينج BOHTLINGK (1815–1904)، ولا يزال تفسيرها على جانب من الصعوبة.

---

[1]– ينظر د.محمود السعران، علم اللغة، ص:362–363.

[2]– LE PETIT ROBERT, T:2,P:1377.

[3]– ينظر أحمد مومن، اللسانيات – النشأة والتطور، ص: 13–19.

– هو otto von Bohtling نشر في 1839 نحو بانيني، وهو معروف بمعجم اللغة السنسكريتية بعنوان:sanskrit worterbuch

*أوتو فون بوهتلينج

اليوقا كما عرّفها الحكيم باتنجالي هي إزالة تقلّبات العقل أي إنّها تييسّر التناغم بين الجسد والعقل، كما تعتبر نمط حياة إذا مارسها المرء بانتظام.(https://www.syr-res.com)*

**Arthuy chopenhaur فيلسوف ألماني مولود في 1708/02/22 بدانتسيش، وتوفي في 21سبتمبر 1860 بفرانكفورت.

[4]– ينظر أحمد مومن، اللسانيات – النشأة والتطور، ص: 13.

ث- ال[illegible] VEDA :

هو اسم أطلق في الهند على أربع كتب خاصة بالعبادة ولذوي العقيدة البراهمية[1]، وهي كتب مقدّسة في نظر الهنود ومن الوحي، ولكي تكون هنديا في نظرهم يكفي أن تؤمن بأصلها السماوي أو الإلهي، وهي أربعة:

1- RIG-VEDA، وهي طقوس دينية عند الهنود.

2- LE SAINA-VEDA.

3- LE YAJIN-VEDA.

4- L'ATHAWA-VEDA.

وتكوّن هذه الكتب مع مجموعة النصوص التي ترتبط بها ما يسمّى بالأدب الفيدي[2].

3- [illegible]

تعتبر الدراسة اللغوية قطبا أساسيا في تشكيل التراث المعرفي والفكري للحضارة الإنسانية. فقد آثر عن الهندوس في زمن مبكّر جدا النحو الدقيق للغة السنسكريتية الذي لا يعتمد على المنطق شأن النحو اليوناني، وهو بذلك يعدّ أول تفكير واضح في شؤون اللغة، وأوّل وصف لها.

وكان بانيني أبرز نحاتهم على الإطلاق حيث صاغ بدقّة القوانين الصوتية والتركيبية للسان السنسكريتي المقدّس، حتى أنّه يحكى في بعض الروايات أنه تلقّى هذا العلم عن طريق الوحي أو الإلهام، وقد شرحت الأجيال المتعاقبة أعماله، نظرا لمباحثه الجليلة، واعتبر من خيرة النحاة الوصفيين[3]، ولا تزال آراؤه تجد قبولا لدى علماء اللغة المحدثين.

ومن العوامل التي أدّت إلى وجود هذا الزخم المعرفي الكثيف في الدراسة اللغوية الهندية الكتاب المقدسVEDA الذي يعدّ مركز الاستقطاب للفكر اللغوي الهندي. والكتب المقدسة – كما هو متداول– تبذل حولها طاقات الدارسين، وبفضلها تستخرج مكنونات العقول، وتتعدّد المباحث، وتتفجّر العلوم و تتنوّع، أي إن السبب الديني هو الذي دفع وحثّ الهنود القدماء إلى دراسة لغتهم، وذلك للحفاظ على كتابهم المقدّس، حتّى لا يطرأ عليه أيّ تحريف عندما يتم ترتيله أثناء الشعائر الدينية[4].

---

[1]- ينظر زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 15.

[2]- الدكتور زبير دراقي، المرجع نفسه، ص: 15 و

LE PETIT ROBERT, T : 2, P : 1851.

[3]- ينظر د. محمد محمود غالي، المرجع السابق، ص: 92.

[4]- ينظر د.محمد محمود غالي، المرجع نفسه، ص: 100 و94.

4- عند الهنود القدماء

اهتمّت الحضارة الهندية اهتماما بالغا بالظاهرة اللغوية، ولا سيما في جانبها الصوتي الذي يعكس النظرة العلمية الدقيقة للفعل التواصلي، إذ وصفوا الأصوات وعيّنوا مخارجها وأعضاء النطق وتوصّلوا إلى تحديد مواضعها تحديدا دقيقا[1]، فكانت دراستهم متنوّعة وشاملة لمعظم جوانب علم الأصوات، وهذا" لإبقاء اللفظ الصحيح للعبارات الدينية، إذ أدّى انقطاعهم عن تداول اللغة السنسكريتية لغة الآلهة – حسب زعمهم– إلى التشدّد في الحفاظ عليها؛ لأنّها بقيت لغة النصوص المقدّسة التي تُتلى في الاحتفالات الدينية خالية من أي خطأ"[2].

وميّزوا بين المجهور والمهموس، والسكنات والحركات أو العلل وأنصاف العلل، والإمالة الأمامية والإمالة الخلفية، ووصفوا قوانين صوتية للقراءة الجيّدة مثلما فعله القرّاء في الثقافة الإسلامية[3].

وقد قال في هذا الشأن جون ليونز: "إنّ التصنيف الهندي للأصوات الكلامية كان تصنيفا مفصلا ودقيقا مبنيا على الملاحظة والتجربة، ولم يبلغ أحد ما بلغه هؤلاء سواء في أوربا أو غيرها قبل أواخر القرن التاسع عشر الميلادي؛ بل إنّ كثيرا من الدراسات تؤكّد أن أوروبا هي التي تأثّرت بالبحوث الصوتية الهندية القديمة التي قام بترجمتها بعض الباحثين الغربيين"[4].

وتوصّل الهنود إلى أثر القفل في إنتاج الانفجارية، والفتح في إنتاج أصوات العلّة والتضيق في إنتاج الأصوات الاحتكاكية، كما تحدّثوا عن كيفية تسرّب الهواء من التجويف الحنجري، وذكروا أنّه إذا فتح ما بين الوترين الصوتيين ينتج النفَس وإذا ضيق ما بينهما ينتج الصوت أيضا، وأوضحوا بأنّ النفَس يحدث في حالة الأصوات الساكنة المهموسة والصوت في حالة السواكن المجهورة أو العلل[5].

---

[1]– د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، لبنان، و دار الفكر، دمشق، سورية، ط: 2، سنة: 1999، ص: 37.

[2]– ينظر د.أحمد محمد قدور، المرجع نفسه، ص: 36–37.

[3]– ينظر د.محمد محمود غالي، المرجع نفسه، ص: 94.

[4]– عن أحمد مومن اللسانيات، النشأة و التطور، ص: 12. عن John Lyons, Introduction to theoritical linguistics, London, P : 1969 ; P : 20.

[5]– ينظر د.دراقي زبير، المرجع السابق، ص: 16.

وكانت دراستهم للأصوات غير آلية رغم تعمقهم في بحثها من الناحية اللفظية التي تهتمّ بدراسة مخارج الألفاظ Articulation أكثر مما تهتّم بصفاتها السمعية Acoustics، والشبه قريب هنا كما هو واضح بين الدراسة الصوتية الهندية وجهود العرب القدامى[1].

وتحدّث الهنود عن المقاطع حديثا مفصلا وبشكل مثير للدهشة، كما وضعوا قواعد دقيقة للنبر في لغتهم القديمة، واعتبروه من خصائص العلل لا السواكن.

ووصفوا تغيّر الأصوات عند التقائها في الكلمات، واستحدثوا مصطلحا لهذا التغيّر أسموه SANDHI. ويلاحظ ذلك في كلمة "السنسكريتية" التي أصلها "سمسكريتية" فقلبت الميم نونا للمشابهة الصوتية بين النون والسين، وهي مشابهة أشدّ ممّا بين السين والميم؛ لأنّ السين والنون أسنانيان أو لثويان، ولكنّ الميم شفوية.

ومثل هذا التغيّر حدث في كلمة IMPOSSIBLE الانجليزية التي أصلهاINPOSSIBLE، فقلبت النون ميما، لما بين الميم والياء من شبه يفوق التشابه بين النون والياء، لأنّ الميم والياء شفويان في حين إنّ النون لثوية في الانجليزية.

وقد نلحظ هذا التغيّر في العربية – أيضا – فكلمة "**آلمدُ؟**" في القرآن الكريم تنطق "**آلمدُ؟**" و ليس "**آلمدُ؟**"، فتقلب النون ميما لشدّة مشابهة الميم للباء باعتبارهما شفويين، أمّا النون فأسنانية في العربية[2].

ومن القضايا الجوهرية التي استقطبت عناية الهنود، ماهية الصوت اللغوي، فقد تنبّهوا في وقت مبكّر إلى الفرق بين الصوت من حيث هو ظاهرة فيزيائية عامة، والصوت من حيث هو ظاهرة فيزيولوجية، وفي ضوء هذا الاهتمام والتمييز أدركوا الصوت اللغوي من الناحية الوظيفية والدلالية.

أمّا في مجال النحو، فإنّه من غير المبالغ فيه أن نقول: إنّ هذا العلم لم يلق من العناية في أي بلد من بلاد العالم مثل ما لقيه من الهنود، وقد كان في الهند القديمة ما يقرب من إثني عشرة مدرسة نحوية مختلفة وأكثر من ثلاثمائة مؤلّف في النحو.

ولقد قسّم الهنود الكلام إلى فعل واسم وحرف، ولم يضف بانيني شيئا جديدا إلى هذا التقسيم، غير أن وصف النحاة للسنسكريتية قبل بانيني يمكن تلخيصه فيما يلي:

---

[1]– ينظر د.محمد محمود الغالي، المرجع السابق، ص: 91.

[2]– ينظر محمد محمود الغالي، أئمة النحاة في التاريخ، ص: 91–92.

أ- قسموا الأفعال أقساما عشرة يتميّز بعضها بزوائد مختلفة، واعتبروا أنّ هناك عشرة أزمنة يدلّ عليها الفعل، وبعض هذه الأزمنة موجود في العربية - إذا حاولنا المقارنة- مثل الحاضر والتامّ والمستقبل القريب والبعيد.

ب - قسموا الأسماء ثلاثة أقسام: المفرد والمثنى والجمع، ولاشك في أنّ وجود المثنى في اللغة السنسكريتية دليل على قدمها، وللاسم صيغ كثيرة منها صيغة الفاعل أو المبتدأ NOMINATIVE وصيغة الإضافةGENETIVE ، وقد أحصاها القدماء في ثماني صيغ.

ولعلّ ما أضافه بانيني في المجال النحوي هو نظمه هذه القواعد نظما موجزا ومختصرا، وبذل فيه جهدا ضخما للتوفيق بين الآراء والاتّجاهات المتعارضة التي كانت موجودة حينئذ، ولا تزال آراؤه تجد قبولا لدى علماء اللغة المحدثين، وإن كان نحوه غير شامل شمول نظمه للأصوات والصرف[1].

ويعتبر بانيني إمام النحو الهندي، ويمثّل فترة النضج في الدراسات النحوية عند الهنود، ولذا نال كتابه المسمى " الأقسام الثمانية" شهرة غطّت على أيّ مؤلَّف آخر سبقه أو لحقه.

وقد وصل كتابه المسمّى (ASHTADHYAYI)(الأقسام الثمانية)، واحتفى به العلماء وترجموه إلى لغات عدّة، وقد نال عمله شهادات التقدير من القدماء لزمانه والمحدثين على السواء، فقد قال عنه بانتجالي: **(150ف.ل)** "إنه محيط واسع من العلم"، وقال عنه Max Muller ماكس مولر*: "لا يوجد نحوي أي لغة يمكن أن يعادل نحوه"، وقال عنه بلومفيلد: "إن نحو بانيني يعدّ واحدا من أعظم الشهادات القديمة على تقدّم العقل البشري"[2].

وقد جمع في كتابه أكبر الحقائق عن لسانه، ويقوم منهجه على مجموعة من الأسس وهي:

أ- الأساس الأول: الشمول الذي سعى في ضوئه استقصاء كل قواعد اللسان السنسكريتي.

---

[1]- ينظر محمد محمود الغالي، أئمة النحاة في التاريخ، ص: 100.

-هو فريدريك ماكس كولر، فيلسوف ومستشرق ألماني مؤسّس الدراسات الهندية وعلم الأساطير المقارن، ولد في 06 ديسمبر 1823* وتوفي في 28 أكتوبر بأكسفورد، درس بليبزيج، درس بجامعة أكسفورد وكامبريدج، وميدان بحثه الأنثروبولوجيا.

[2]- احمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص: 12.

ب- الأساس الثاني الإيجاز: وهو معروف لدى كلّ من تابع بانيني في مدرسته شارحا ومفسرا حتى لقد رووا عنه قوله: "إنّ النحاة يفرحون بالإيجاز، ولو كان هذا الإيجاز مقطعا واحدا من كلمة واحدة، فرحهم بالمولود الذكر يرزقونه"[1].

ج- الانسجام: أي عدم التناقض الكلي والمستمرّ في دراسة الظاهرة اللغوية[2].

أمّا الأعمال المعجمية عند الهنود فقد بدأت في شكل قوائم تضمّ الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدّسة، ثمّ تطوّر هذا النظام فألحق بكلّ لفظ في القائمة شرح لمعناه، ويمكن أن يعتبر هذا العمل من نوع "معاجم الموضوعات" أو "معاجم المعاني". وهو ما يدرجه الدارسون المحدثون ضمن ما يطلق عليه الحقول الدلالية.

وبعد ذلك ظهرت كتب لا تقتصر على ألفاظ النصوص المقدّسة، وأقدم ما وصلنا منها معجم ظهر في القرن السادس الميلادي أو قبله لمؤلِّف بوذي اسمه أمارا سنها (AMARA SINHA)، وقد ضمّ هذا المعجم المسمى AMANE KOSE جزءا من كلمات المترادفات، وجزءا من كلمات المشترك اللفظي، وجزءا من الكلمات غير المتصرّفة والكلمات المذكّرة أو المؤنّثة أو المحايدة.

وممّا يعاب به كتاب AMANE KOSE وأمثاله أنّه كتب منظوما ليسهل حفظه، وأنّه لم يتّبع فيه أيّ ترتيب ييسّر اللجوء إليه والعثور على المراد بسرعة، فيما عدا المشترك اللفظي الذي رتّب بحسب الحروف الساكنة في أواخر الكلمات، ولا نجد عملا آخر يستحقّ الإشارة إليه بعد ذلك سوى معجم أَلِّف في القرن الحادي عشر الميلادي، وهو معجم ضخم رتّبت كلماته بحسب عدد مقاطعها فبحسب الجنس (مذكّر مؤنّث) ثم بحسب الحرف الأول[3].

5- طبقات النحاة

كان الهنود يولون العناية الفائقة للنحو؛ لأنّه الوسيلة الوحيدة التي تقوّم بها الألسنة، وتحفظ كتبهم المقدّسة من الانحراف، ولإدراك قيمة النحو عندهم نقرأ المقولة المأثورة التي أوردها أحمد مختار عمر ومفادها: "إن الماء أقدس شيء على الأرض، والكتب المقدّسة أكثر قداسة من الماء، ولكنّ النحو أكثر قداسة من الكتب المقدّسة"[4].

---

[1]- محمد محمود الغالي، المرجع السابق، ص: 93-94.

[2]- أحمد مومن،اللسانيات، المرجع السابق، ص: 14.

[3]- ينظر د.أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب وأثره على اللغويين العرب ، دار الثقافة بيروت، 1972، ص: 61.

[4]- ينظر د. أحمد مختار عمر، نفسه، ص: 73، وينظر د.أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 13.

ومن خصائص النحو الهندي ما يلي:

أ- تمّ جمع المادّة اللغوية وتصنيفها، ثمّ تمّ الانتقال إلى استخلاص الحقائق منها، فنقطة البداية في النحو الهندي مختلفة عنها في اليونان الذي بدأ من الفلسفة، فحاول أن يطبّقها على حقائق اللغة.

ب-وسبق النحو اليوناني في تحديد أقسام الكلام(اسم- فعل- حروف إضافية- أدوات).

ج- وحلّل هذه الأقسام إلى عواملها الأولية؛ فميّز بين الجذر أو الأصل، وبين الزيادة أو الحروف التشكيلية.

د- وعرف النحو الهندي الأعداد الثلاثة: المفرد والمثنّى والجمع منذ عصر مبكّر.

هـ- وقسّم النحو الهندي الفعل السنسكريتي إلى ثلاثة أقسام بحسب الزمن وهي: ماض وحاضر ومستقبل[1].

وصفوة القول، إنّ هدف النحو السنسكريتي كان في جوهره هدفا تعليميا تطبيقيا؛ غير أنّه احتوى على مسلمات عامّة وحقائق علمية مجرّدة وبخاصّة في حقل الصوتيات، وإنّ النظرية النحوية التي أسّسها بانيني كان لها الأثر الملموس على لسانيات القرن العشرين[2]، كما يرى ذلك كثير من الباحثين.

6-ئلإخئلإ . انكطصدخ هئلأخغدلم

امتازت الدراسة اللغوية الهندية بمميّزات خاصّة، جعلتها تتفوّق عن الدراسة اليونانية والرومانية، وكانت دراستهم للّغة السنسكريتية وصفية دقيقة، ويتجلّى هذا التفوّق في ميدانين رئيسيين:

أوّلهما: في المجال الصوتي حيث صنّفوا الأصوات ووصفوها وصفا دقيقا، واعتمدوا في منهجهم على الملاحظة والتجربة ممّا أدّى إلى نشوء الصوتيات النطقية مقابل الصوتيات السمعية لدى الإغريق.

[1]- د.أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص: 60.

[2]- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 15.

وآخرهما: اهتمّ الهنود في المجال النحوي بالدراسة الهيكلية للكلمات؛ فبحثوا في أصلها واشتقاقاتها، ووضعوا قواعد نحوية مطّردة كما يوحى بذلك عدد من المؤلّفات الذي يفوق الألف[1].

7 -ك ق ئذ ا انك ك صدخ ه ئ لأ غ دإم

تتقارب الدراسة الهندية مع اليونانية في كثير من القضايا منها ما يأتي:

أ- في الجدال حول مشكلة اللغة وأصلها من حيث هي طبيعية أو اصطلاحية.

ب- ووضع الهنود القواميس والتعاليق حول النصوص المقدّسة للحفاظ عليها، أمّا اليونان فقد قصدوا من وراء هذا النوع من الدراسة حفظ التراث ك ا كِنى من الضياع[2].

وإذا أردنا أن نبيّن التشابه بين المدرسة الهندية والعربية فلا شكّ في أنّنا سنجدهما تلتقيان فيما يلي:

أولا: إن عامل الاهتمام بالدراسة اللسانية كان واحدا في المدرستين فقد كان دينيا عند الهنود والعرب، مع تسجيل ملاحظة اختلاف الكتابين المقدّسين إذ للعرب القرآن الكريم الذي هو وحي من الله عزّ وجلّ، والهنود الفيدا الذين عدّوه من السماء.

وثانيا: تعمّقت الدراسة اللسانية الهندية والعربية في بحث الأصوات تعمّقا لم تشهده المدرسة اليونانية في القديم، ولم تشهده الدراسات اللسانية فيما بعد، إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين[3].

وأخيرا اهتمّ النحاة الهنود فيما بعد، وأشهرهم بانيني بالدراسات اللغوية المحضة، فوجّهوا كلّ ملاحظاتهم إلى قيمة الكلمة – أصلا واشتقاقا واستعمالا – ووصفوا اللغة السنسكريتية وصفا في منتهى الدقّة والسداد، ولكنّ هذه الدراسة ظلّت مجهولة إلى أن اكتشفها الغربيون في منتصف القرن الثامن عشر، وانكبّوا على دراستها وترجمتها إلى الانجليزية وخاصة المجال الصوتي منها، ومن هؤلاء اللغوي الأمريكي وايتني WHITNEY واللغوي الهندي SIDDHESHWAR فصارت الدراسة الهندية المثل المحتذى ونقطة الانطلاق للنحو المقارن وللظاهرة الهندية الأوربية[4].

---

[1]- ينظر د. دراقي زبير، المرجع السابق، ص: 16.

[2]- ينظر د. دراقي زبير، المرجع السابق، ص: 15.

[3]- ينظر محمد محمود الغالي، المرجع السابق، ص: 94.

[4]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين،المرجع السابق، ص: 40.

1 – اليونان واللغات الأجنبية

2– موضوع نشأة اللغة

3– المباحث النحوية عند اليونان

يتّخذ أغلب الكتّاب والمفكّرين والباحثين الغربيين من المعرفة اليونانية مبدأ للفكر الإنساني وحضارة العالم، والعلّة في ذلك أنّهم يرون أنّ تأثّرهم باليونان يتجلّى في أكثر من مظهر تأثّرهم بالشعوب والأمم الأخرى.

ولذلك لا يرضون بدء الحضارة الإنسانية إلاّ ببدء الحضارة اليونانية؛ بل إنّ الرجل الأوربي الحديث ليشعر أنّه أقرب من اليونان في المجال الثقافي من أية حضارة أخرى سابقة أو معاصرة له، ويشعر – أيضا– أنّ تفكيره يمتدّ إلى تلك الجذور[1]، وفي كلّ مظاهر التفكير الفلسفي والأخلاقي والسياسي الجمالي.

والحقيقة إنّ ذلك إجحافا في حقّ الحضارات الإنسانية التي سبقت اليونانيين، وكذلك في حقّ الحضارة العربية الإسلامية التي كان لها الفضل الكبير على علماء أوربا، وعلى المدنيات التي تلتها.

ولئن أدرك بعض علمائهم أن الفكر الهندي مثلا كان أسبق من الفكر اليوناني، فإنّ هذا الإدراك لم يتجاوز فئة قليلة من العلماء في اختصاصات مختلفة درسوا فكر الهنود وتراثهم اللساني وغيره؛ فأخصبت به بعض نواحي الفكر الغربي الحديث[2].

كما أن النظرة الإنسانية الشاملة تؤكّد أن الحضارة الإنسانية أقدم من ذلك بكثير، فقد بدأت في العهود الأولى من تاريخ البشرية، وتواترت عبر العصور واستفادت من تتابع الرسالات السماوية.

وفي الواقع، عندما نبدأ بالحديث عن الدراسة اللسانية التي حقّقها اليونان، فهو أمر معقول، ولكن لا يعود ذلك إلى ما تستحقّه مؤلفاتهم الضخمة التي تعدّ رصيدا علميا ومعرفيا جديرا بالعناية والاهتمام، له مشروعيته في الدرس اللساني الحديث، أو إلى ما يوليه العلماء من تقدير لتراثهم؛ ولكن لأنّ اليونانيين الذين تأمّلوا في اللغة، وبحثوا مستوياتها، الصوتي منها والدلالي والنحوي، وناقشوا قضاياها المختلفة.

وبذلك تعدّ الموضوعات التي حلّلوها وعالجوها وانشغلوا بها مصدر الدراسات التي نطلق عليها اليوم مصطلح اللسانيات في معناه الواسع[1].

---

[1] –R.B. ROBINS. Brève histoire de la linguistique, de Platon à Chomsky, Trad. De l'anglais par Maurice Borel, édition du Seuil, Paris, P:13.

[2]– ينظر د.أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص: 61.

ولقد بدأ التفكير اللغوي عند اليونان مرتبطا بالفلسفة والمنطق، فكان أقدم ما وصل إلينا من أبحاثهم يرجع إلى حوالي القرن السادس قبل الميلاد على أيدي السفسطائيين، ونجد بعد ذلك سقراط يدلي برأيه في بعض مشكلات اللغة، ويليه أفلاطون و أرسطو[2]، وغيرهما من العلماء الذين تُذكر أعمالهم في الفلسفة والمنطق.

1-ك ذمدم ك غذ تئآجذب

وممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ يونانيي العصر الكلاسيكي لم يكونوا يجهلون بوجود شعوب تتكلّم لغات تختلف عن لغتهم، ومع ذلك لم يتنبّهوا للتشابه الموجود بين اللغة الإغريقية واللهجات المجاورة لهم، ولهذا فقد كانوا على وعي بلغتهم؛ وأهمّيتها في حياتهم العلمية والاجتماعية، فاعتنوا بها عناية فائقة، ممّا أدّى بهم إلى النظر إلى اللغات الأجنبية نظرة احتقار وازدراء والحكم عليها بصفات كالعجمة والبربرية أو التهجين[3]، ولم يدرسوها إلاّ عند الاضطرار والحاجة الملحّة إلى ذلك؛ لأنهم كانوا متشبّعين بحضارتهم، ومتمسّكين بتقاليدهم و مؤمنين بتفوّقهم الثقافي[4] واللغوي.

ولذلك كانوا يطلقون كلمة بربري (BARBAROS) بدون تمييز على الذين يتكلّمون بطريقة مبهمة أو اللغات الأجنبية غير المفهومة لديهم[5]، ومن هنا فهيرودوت[6]مثلا (420 ق.م) و إن ساق تفاصيل كثيرة عن رحلاته؛ إلاّ أنّه لم يفدنا بما يجدر ذكره عن لغات الآخرين باستثناء كلمة (ميدية) في الجزء الأول من تاريخه، وأخرى (مصرية) في الجزء الثاني، وثالثة (سيكيتسة) في الجزء الثالث[7].

ويذكر هيرودوت وكتّاب آخرون بعض الألفاظ الأجنبية ويناقشوها، وممّا لاشك فيه أنّ أفلاطون في محاورات (كراتيل) يقرّ بوجود جزء من الكلمات الأجنبية في الثروة اللفظية

---

[1] -R.B.ROBINS. Brève histoire de la linguistique, P : 13.

[2]- ينظر د.أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص: 61.

[3]- ينظر ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة د.أحمد مختار عمر، ص:229.

[4]- ينظر د.زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ص: 16.

[5] -R.B.ROBINS. Brève histoire de la linguistique, P : 15.

[6]- هيرودوت:HERODOTOS و HERODOTE، مؤرخ إغريقي عاش بين حوالي 484 و 425 ق.م ويعتبر أبا للتاريخ اليوناني. رحَل إلى عدّة قارات، وعاش في أثينا.

[7]- ينظر د. دراقي الزبير المرجع السابق، ص: 10.

اليونانية. وقد كان لدى اليونان مترجمون متمرّسون ومتكلّمون مزدوجو اللغات[1]؛ ممّا يدلّ على أنّهم أدركوا الاختلاف بين لغتهم وغيرهم من اللغات.

وما ينبغي تسجيله في هذا المقام هو أنّ أشعار هوميروس مثل الإلياذة و الأوديسا اللتين كانتا لهما مكانة خاصّة في التربية والمبادئ الأخلاقية، وتنشد في الجماهير، كتبت بلغة يونانية قديمة، ولم تكن معروفة وقت كبار النحاة، ولغتها لا تشبه أيّة لهجة متكلّمة في ذلك الوقت[2]، فكان عليهم أن يدرسوها ويقابلوا بين نسخها المختلفة لتقويم نصها، وكان الباحث الشهير في هذا الميدان أرسطارخوس ARISTARCHUS (ولد حوالي 216 ق.م، و مات 144 ق.م).

وبقدر ما أهمل اليونان دراسة اللغات الأجنبية بقدر ما اهتمّوا بلغتهم، لاسيما من الناحية الجمالية الأسلوبية والفلسفية[3] أيضا، لأنّهم سلّموا بأنّ بنية لغتهم تجسّد الصورة العامّة للتفكير الإنساني، أو ربّما تجسّم الصورة العامة للنظام الكوني بأسره، فملاحظاتهم النحوية محدودة بلغتهم، ومقرّرة في صور فلسفية، وتبلغ هذه الملاحظات كمالَها في النحو الذي أسّس له ديونيسيوس ثراكس DYONYSIUS THRAX(القرن 2 ق.م) وفي النحو الذي كتبه أبولونيوس ديسكولوس APPOLONIUS DYSCOLLUS (القرن الثاني بعد الميلاد)[4].

2- [illegible]

لعلّ من أولى الأعمال اللغوية عند اليونانيين وأهمّها هي تطوير النظام الهجائي للكتابة في أوائل الألف قبل الميلاد، فقد مثّلوا الأصوات اللغوية سواء السواكن أو العلل في حروف، كما وضعوا للنبر رموزا خاصة به[5].

وقد أثارت قضيّة نشأة اللغة نظر المفكّرين من اليونان القدماء، فتساءلوا عن ماهيتها، وأين يجب التفتيش عنها، وما الكلمة؟[6]، وأعجبوا بتلك السلسلة الصوتية التي ينطلق بها المرء

[1] –Voir, Robins, P : 15.

[2] –Voir, Robins, P : 15.

[3]– ينظر د.زبير دراقي، المرجع السابق، ص: 17.

[4]– ينظر د.كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة ص: 40.

[5]– ينظر د.أحمد محتار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص: 61.

[6]– ينظر محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ص: 34.

فتعبّر له عمّا يدور في خلده، وتصله ببني جنسه صلة تجعل منهم مجتمعا إنسانيا متعاونا متفاهما، وتميّزهم عن سائر المخلوقات الأخرى[1].

وتساءلوا عن اللغة إذا كانت شيئا فوق الطبيعة تلقّاها الإنسان من ربّه؟ وهل هناك علاقة فطرية بين الدال والمدلول؟ وهل هذه الصلة كالتي بين الأسباب الكونية وما يتسبّب عنها؟ وهل هي كالصلة بين النار والاحتراق والخصب والنماء؟ أو هل اللغة تتوقّف على العرف والاصطلاح أوالاتّفاق بين المتكلّمين؟[2]

ولقد ظلّت كلمتا "الطبيعة والعرف" محور الجدل والنقاش زمنا طويلا بين المفكّرين اليونانيين من لغويين وفلاسفة وغيرهم، وكان كلّ من الفريقين يؤسّس رأيه على مجرّد المغامرة الفكرية دون سند علمي كالملاحظة الدقيقة أو الاستقراء لحقائق الأشياء، ولكنّهم كانوا جميعا كما يصفهم ستيوارت شاس STEWART CHASS في كتابه "طغيان الكلمات" بقوله: "مناطقة أقوياء يندر نظراؤهم في الكلام؛ إلاّ أنّهم لم يزالوا على مقربة من المقدّمات البدائية، فلم تتخلّص عقولهم من سحر الكلمة، وحسبوا أنّها ذات قوى كامنة فيها، كما قد يحسب الطفل أو معتقد الشعوذة، ولولا ذلك لما أقاموا كلّ شيء على "اللوغوس"[3]LOGOS، وشغلوا العقول والنفوس بهذه الفكرة إلى اليوم"[4].

ومن الأمثلة التي تدلّ على عناية اليونان بأصل اللغة أنّ هيرودوت يروي في القرن الخامس قبل الميلاد أنّ إبسماتيك* فرعون مصر، وقد أراد أن يعرف أيّ الأمم أعرق، فعزل طفلين حديثي الولادة والنشأة وحدهما في حديقة؛ فلما بدآ الحديث نطقا كلمة BEKOS وهي الكلمة الفرعية PHYGIAN التي تدلّ على خبز[5].

ومن الذين قالوا بنظرية العلاقة الطبيعية بين الكلمة ومعناها بروديكوس وسفسطائيو القرن الخامس قبل الميلاد، وقادهم ذلك إلى الاهتمام بالترادف، لأنّ الكلمة إذا كانت تساوي

---

[1]– ينظر د.كريم زكي حسام الدين أصول، المرجع السابق، ص: 38، و ينظر جورج مونان، تاريخ علم اللغة، ص: 64.

[2]– ينظر محمد الأنطاكي، المرجع السابق، ص: 34.

[3]– اللوغوس: كلمة إغريقية، عقل أول (كائن يفصل بين الخلق والكون في الأفلاطونية الحديثة). أو هو الفكر الذي يحكم و يستر العالم، وهو العلاقة الموجودة بين الخالق والعالم عند الأفلاطونيين الجدد.

[4]– ينظرد. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 62.

*إبسماتيك الأول Psamtik(ولد في القرن السابع قبل الميلاد وتوفّي في 610ق،م. عو رجل دولة مصر القديمة على عهد الفراعنة.

[5]– ينظر د.محمود السعران، علم اللغة، ص: 320.

الشيء بالضبط فلا وجود للمترادفات في مذهبهم، ودفعهم ذلك أيضا إلى الانشغال بالإيتيمولوجيا[1]، إذ لمّا كان هناك تلازم بين الشيء والكلمة، كانت طبيعة الشيء قادرة على تفسير أصلها[2].

كما بحث سقراط موضوع ترابط ألفاظ اللغة بمدلولاتها ربطا طبيعيا كتلك الألفاظ المشتقّة من أصوات الطبيعة من حفيف وخرير وزفير، وقد أشار إلى هذه القضية غير واحد من العلماء العرب مثل ابن فارس وابن جني.

أمّا أفلاطون(427ق.م- 347ق.م) فقد ناقش في محاوراته المسمّاة كراتيل (كراتيلوس CRATYLLUS) أصل الكلمات، ومسألة العلاقة بين الأشياء والكلمات، وكان يميل إلى رأي أستاذه سقراط الذي يذهب إلى أنّ اللغة ظاهرة طبيعية.

ولكن لما تبيّن لعلماء هذا الاتّجاه غموض الصلة بين ألفاظ اللغة اليونانية ومدلولاتها، ولم يجدوا لها تعليلا مقبولا تستريح إليه الأنفس، وتطمئنّ إليه العقول، أخذوا يفترضون أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة، سهلة التفسير في بداية نشأتها، ثم تطوّرت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن توضّح تلك الصلة ولذلك لم نجد لها تعليلا وتفسيرا.

وكان بجانب هذا الاتّجاه فريق يرى أنّ الصلة بين اللفظ ومدلوله لا تعدو أن تكون اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس واتّفقوا عليها، وتزعّم هذا الفريق أرسطو(384ق.م-322ق.م) الذي أوضح آراءه عن اللغة وظواهرها في مقالات تحت عنوان " الشعر والخطابة"، وبيّن فيها عرفية الصلة بين اللفظ ودلالته[3].

أما في المستوى الصوتي فإنّ المادّة الصوتية المأثورة عن اليونان توجد في أقوال متناثرة في محاورات أفلاطون، وفي الشعر والخطابة لأرسطو ونلفي أكثرها فيما كتبه نحويوهم مثل ديونيزيوس ثراكس وديونيزيس هاليكارناسوسو[4].

3- [illegible]:

تعرف اللغة اليونانية للدارسين بنصوصها منذ الألف الأول قبل الميلاد، أي منذ عصر هوميروس(899ق.م-799ق.م) (HOMERE) الذي يقترن اسمه بالملحمتين العظيمتين: الإلياذة والأوديسا[1].

---

[1]- الايتيمولوجيا: هو علم يبحث في أصل الكلمات.

[2]- ينظر محمد الأنطاكي، المرجع السابق، ص: 31؛ وينظر د.إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص: 63.

[3]- ينظر د.محمود السعران، علم اللغة، ص: 87.

[4]- ينظر د.محمود السعران، المرجع نفسه، ص: 87.

وممّا هو معروف أنّ النحو اليوناني نحو تقعيدي تعليمي وتربوي، وكانت الصفة الغالبة عليه هي الكشف عن قواعد تميّز صواب الكلام من خطئه[2]، ثم وضعت القواعد لتحديد أقسام الكلام، فكان أن شقّ نحاة اليونان طريقا مستقلة عن الهنود، فتوصّلوا "إلى وضع نظام نحوي يناسب لغتهم وغيرها من اللغات الشبيهة بها في التركيب، اللغات التي لها أنواع نحوية متميزة تعبّر عن الجنس والعدد والحالة والشخص والزمن والصيغة الفعلية"[3].

ولقد اعتمد نحاة اليونان الفلسفة والمنطق في وصف لغتهم ممّا جعل بعض الدارسين يرى أنّ "السبب الوحيد الذي أدّى إلى تخلّف النحو الإغريقي، وعدم إحكام قواعده أنّ النحاة الإغريق كانوا مرتبطين بأسس ومبادئ منطقية وفلسفية كثيرا ما اعترضت طريقهم نحو الملاحظة العلمية، وقادتهم إلى استعمال المنهج الاستدلالي لا الاستقرائي"[4].

وربّما امتدّت هذه الفكرة إلى النحو العربي حيث إنّ فريقا يرى أنّ صعوبته تعود إلى تأثّره بالفلسفة اليونانية، وإن كانت هذه الفكرة يتبنّاها بعض الباحثين إلاّ أننا نراها تحتاج إلى الوقوف مليّا عندها والنظر فيها بتأمّل وتمحيص.

وكان مفكرو اليونان يدرسون النحو ويسمّونه بلاغة RHETORIQUE ويدخلون في هذه الدراسة الجملة وأنواعها وأصناف البديع من المحسّنات اللفظية، فقالوا إنّ الجملة أنواع أربعة هي: الدعاء، السؤال، الإخبار و الأمر[5].

وسجّلت لنا كتب التاريخ أسماء بعض أعلام النحو منهم: دينيسيوس ثراكس DYONYSIUS THRAX في القرن الثاني قبل الميلاد، ويعدّ أولهم، وأوّل من كتب كتابا خاصا عن نحو اليونانية، ظهر في الإسكندرية سنة 100 ق.م، وأسماه "فنّ النحو" أو الفنّ، والذي ترجم إلى اللاتينية تحت عنوان ب ARTS GRAMMATICA ويصف فيه أصوات اللغة الإغريقية وصرفها وخصّص جزءا لنحوها لم يصل إلينا[6].

---

[1]– الإلياذة: شعر لهوميروس مكون من 24 أغنية، وهي وصف للحرب مع تدخل للالهة..أما الأوديسا فهي شعر يحكي عودة إليس إلى مملكته بعد حرب طروادة، و يقسم إلى أقسام. و أوديسا تقدّم لوحة حية عن المجتمع اليوناني التقليدي.

[2]– ينظر د.محمود السعران، المرجع السابق، ص: 321.

[3]– ينظر ماريو باي، المرجع السابق، ص: 226.

[4]– ينظر ماريو باي، المرجع السابق، ص: 227.

[5]– ينظر د.محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، ص: 77.

[6]– ينظر د.محمد محمود غالي، المرجع نفسه، ص: 80.

وقسم **ق ق ر**(ت238 ق.م) الكلام إلى ثمانية أقسام، مخالفا بذلك أستاذه أرسطو التي حدّدها في ثلاثة، هي عنده كالآتي: الاسم، الفعل، اسم الفاعل، الأداة، الضمير، الحرف، الظرف، والعطف[1].

ويعدّ أفلاطون رائد الدراسات النحوية اليونانية، وأوّل فاحص للمشكلات النحوية، على الرغم من أنّه لم يعالجها في شكل مترابط، ولم يجمعها في مكان واحد[2].

فقد اكتشف التقسيم الثنائي في علم النحو، فالاسم عنده ينقسم إلى فاعل وخبر والفعل إلى صفة وحدث، وعرف الجملة بقوله: "هي تعبير عن أفكارنا عن طريق أسماءONOMATA وأفعالRHEMATA، وهذه الأسماء والأفعال تحكي أو تعكس أفكارنا في مجرى النفَس الذي يخرج من الفم عند الكلام، ثم يعرف الاسم على انه اسم لفاعل الفعل أما الفعل قاسم للفعل نفسه"[3].

كما أقرّ أرسطو تلميذ أفلاطون تقسيم أستاذه للكلمة، وزاد عليه قسما ثالثا سمّاه "رابطة"، لأنه "شعر أن الأفعال والأسماء تؤدي معاني مستقلّة، في حين إنّ سائر الكلمات ليس لها إلا الوظيفة النحوية فقط"[4].

وإذا نظرنا إلى تقسيم الكلام في النحو العربي؛ فإنّنا نجده قد استقرّ منذ سيبويه على التقسيم الثلاثي (اسم، فعل، حرف) وإن لم يشر صراحة إلى أصله العقلي[5]، فقال " الكلم اسم وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"[6]، ممّا رجح الظنّ بأرسطيته، و لكن الرأي السديد أن التقسيم عربي أصيل، وقد استمرّ على يد النحاة، ولم يثبت غيره.

---

[1] ينظر د.محمد محمود غالي، المرجع نفسه، ص: 84-85.

[2] – ينظر د.أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص: 62.

[3] – ينظر د.محمد محمود غالي، المرجع السابق، ص: 71.

[4] – ينظر د.أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص: 62.

[5] – ينظر د.عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص: 62.

[6] – سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة. ط: 3، سنة: 1983، ج : 1، ص: 13.

الفصل الثالث

المدرسة الرومانية

1- تقليد الرومان لليونان

2- بداية الدراسة اللسانية في روما

3- علماء المدرسة الرومانية

أ- شيشرون

ب- كونتيلين

ج- فارون

*حياته

*مؤلفاته

د- بريسيان

1- تقليد الرومان لليونان:

كان الرومان تلامذة للإغريق في الدراسات اللغوية، وأخذوا يوسّعون بإسهاماتهم فيها منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وإذا كان لابدّ من ذكر فضلهم المجيد في علم اللغة، وتسجيله وتقديره، فالأمر لا يعود إلى طرافة ما أنتجوه؛ و إنّما إلى أنّهم نقلوا أبحاث غيرهم وأوصلوها إلى الأمم المختلفة وبقية العالم[1].

فقد وضعوا نحو اللغة اللاتينية على غرار النحو اليوناني، وحاولوا إخضاع دراسة لغتهم إلى القوانين المسنّة من الإغريق، ومفاد ذلك أنّهم وضعوا لغتهم في الإطار الذي تصوّره اليونان للإغريقية، فاكتفوا بنشر أفكارهم حتى أنّ القائد القيصر ألّف كتابا في القياس وأهداه إلى شيشرون[2].

ولا شكّ في أنّ ذلك يعدّ خطأ منهجيا كبيرا، تجدر ملاحظته وتدوينه؛ لأنّ لكلّ لغة خصائصها ومميّزاتها، ولها أنظمتها مختلفة عن الأخرى.

ويعود سبب هذه التلمذة المقلّدة إلى ظهور – في القرن الثاني قبل الميلاد- حركة حثيثة حملت على عاتقها ترجمة كل الأعمال النحوية والأدبية والفلسفية والثقافية من اللغة الإغريقية إلى اللاتينية، وكان حكّام الرومان يشجّعون كلّ من يقوم بترجمة أيّ مظهر من مظاهر التراث الإغريقي ويغدقون عليه العطايا[3]، ويكثرون له من الأموال والهدايا. فقدمت الترجمة بذلك فائدة كبيرة، وكانت لها آثار قيّمة على أدباء اللغة اللاتينية، ومنهم فرجيل[4]، وخاصة في مرثياته[5]Ovide.

وعلى الرغم من ذلك، فإنّ الرومان لم يبلغوا من الدقّة في وصف لغتهم ما بلغه الإغريق في دراسة اليونانية؛ بل ما بلغه الهنود في وصف السنسكريتية[6]، وكذلك الأمّة العربية.

---

[1]- ينظر جورج مونان، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص: 92، و ينظر زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ص:20.

[2]- ينظر زبير دراقي، المرجع نفسه، ص: 20.

[3]- ينظر ماريو باي، أسس علم اللغة ترجمة د.أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص: 227.

[4]- فرجيل: Publius Virgilus Maro شاعر لاتيني=70، ت=19، أوصلته دراسته إلى تقلد وظيفة سياسية، له ملحمة وطنية أصبحت مثل الاليادة. و في أشهر ملخصه عن مكانة و واجبات روما، يمثل بدون شك الطريقة جيدا التي ننظر بها عموما إلى العلاقة بين القانون الروماني و الحضارة الإغريقية: " ليتفوّق الآخرون (يعني الرومان) إذا رغبوا في الفنون؛ أما روما فتبث السلم في العالم".

VOIR, Brève histoire de la linguistique, P : 49, et le petit Robert, T : 2, P : 1881.

[5] -Voir R.Robins, brève Histoire de linguistique, P : 50.

[6]- ينظر د.محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص: 213.

وإذا كان التاريخ يذكر لنا بأنّ الإغريق آمنوا بالفلسفة والمثالية، فالرومان كانوا يؤمنون بالواقعية والمنفعة المادية. والملاحظ أنّهم قد انبهروا بالتراث الإغريقي ممّا جعلهم تلاميذ أوفياء لليونانيين في كلّ ما يتعلّق بالنشاط الثقافي والفني والأدبي.

ومن أشهر علمائهم فارون VARRON في القرن الأوّل، وبريسيان PRESCIAN في القرن السادس، ودوناتوس DONATUS AELIUS في القرن الرابع قبل الميلاد الذي عاش في روما، واشتغل بالتدريس فيها؛ وتتلمذ على يده القديس جيروم JEROME الذي ترجم الكتاب المقدّس ترجمة مثالية اعتمدتها الكنيسة الكاثوليكية.

واشتهر دوناتوس بكتابه الأكاديمي ARTS MIROR الذي لم ينقطع استعماله والاعتماد عليه في المدارس حتّى القرن السابع عشر الميلادي. وقد قال عنه **WATERMAR**: "إنّه أوّل كتاب تمّ طبعه في التاريخ بحروف مطبعية"، و قال عنه جورج مونان: "إنه غذّى كل القواعد الأوربية لعدّة قرون، وكُتب له أن يكون أوّل كتاب يُطبع في فرنسا، وليس لمرة واحدة، بل لعدة مئات من الطبعات"[1].

وعلى الرغم من الاحتكاك المستمرّ بين اللغتين اللاتينية والإغريقية، وأنّ الازدواجية كانت ميزة مثقفي روما، إلاّ أنّه ساد العقم البحثَ اللاتيني حتّى صار يعتقد أنّ اللاتينية ما هي إلا لغة إغريقية أصابها الشوَهُ والفساد[2]، فجعل هذا الأمر اللاتين مقلّدين أكثر منهم مبدعين ومخترعين[3] في جميع المسائل والظواهر، ومثّلها ذلك الصراع بين القياس والشذوذ، بين أصحاب الطبيعة والاصطلاح..الخ.

وكان هذا التأثير المهيمن سببا رئيسيا في جهلهم، أو في عدم اكتراثهم باللغات الأجنبية – ماعدا الإغريقية – وفي عدم إدراكهم لأهمّية دراسة اللهجات وانعكاسها على لغتهم[4].

ولم يُظهر الرومانيون احتراما سوى للغة أجنبية واحدة هي اليونانية، ولذلك لم يتركوا لنا إشارات ذات قيمة تتعلّق بلغات مثل **Goulish** و **Etrusian** و Puni ، ممّا أوقع فارون Varron في نتائج خاطئة وهو النحوي الوحيد الذي خاطر، فتحدّث بطريقة التخمين عن وجود علاقة بين اليونانية واللاتينية[5].

---

[1]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 39، وينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 27.
[2]- ينظر د.دراقي زبير، المرجع السابق ص: 20.
[3]- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 24.
[4]- ينظر د.دراقي زبير، المرجع السابق ص: 20.
[5]- ينظر ماريو باي، المرجع السابق، ص: 229.

وقد آثر عن الرومان ملاحظات صوتية، والرومان هم اليونان في الميدان الصوتي كما قلّدوهم في أكثر المسائل الفكرية والثقافية، ونلفي كثيرا من المادّة الصوتية المأثورة عنهم في كتابات نحوييهم مثل بريسكيان وماوروس فيكتورينوس **Maurius Victorinus** وترنتيانوس **.Terentianus**

وكانت تلك الملاحظات الصوتية مستمدّة من الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن، فكانت بذلك مختلفة عن آراء الهنود الصوتية والعرب الذي أدركوا الأسس الفيسيولوجية في إنتاج الأصوات المختلفة[1].

وهذا ما جعل الرومان ينتبهون إلى التغيّرات الصوتية التي تصاحب اللغة اللاتينية، ممّا أدّى بالقديس جيروم **Jerome** إلى أن يصرّح في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد بأنّ اللغة اللاتينية تتغيّر يوميا من إقليم إلى آخر ومن مكان إلى مكان، ومن وقت إلى زمان.

ونجد سانت أوجستين St.Augustin أحد معاصريه يضيق ذرعا بالنقد الذي كان يوجّه إليه بسبب استعماله الألفاظ العامّية عندما كان يخطب في الكنيسة، فيقول: **"**إنّي أفضل أن ينالنا توبيخ النحاة من أن يعجز عن فهمنا عامة الناس**"**[2].

والملاحظ أنّ كلا من اليونانيين والرومان قد كتبوا قواعد اللغتين اليونانية واللاتينية على أساس معياري، أي ما ينبغي أن يكون عليه الكلام، لا على أساس وصفي أي ما هو كائن أو مستعمل، أو متداول بين الناس.

وقد تفوّق عليهم الهنود في البحث الصوتي، وعلى الرغم من أنّ اليونانيين كانوا أوّل من تناول فلسفة اللغة بالبحث إلا أنّ الهنود قد سبقوهم إلى التوصّل إلى تبويب واف لأجزاء الكلام وأصوات اللغة.

2- بداية الدراسة اللسانية في روما:

تذكر بعض الروايات أنّ مقدّمة الدراسات اللسانية في روما كانت بمناسبة إحدى القصص أو النوادر الطريفة التي يبتهج المؤرخّون بذكرها وروايتها.

فلقد أتى كراتيس (Crates) – وهو لغوي وفيلسوف ورواقي شهير – إلى روما في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد في بعثة دبلوماسية، وأثناء زيارته في أحد الأيام للمدينة،

---

[1]- ينظر د.محمود السعران، المرجع السابق ص: 88.

[2]- ينظر ماريو باي، المرجع السابق، ص 227، وقد روي نص أوجستين كما يلي: " إني أفضل أن ينقدني النحويون على ألا يفهمني الناس" د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 42.

وتجوّله بها للتمتّع بمناظرها الخلاّبة وآثارها السياحية، سقط من حيث لا يدري في فواهة قناة صرف المياه، فانكسرت رجله على إثر ذلك السقوط، وأجبر على المكوث هناك وأن يلزم مضطرا السرير للمعالجة.

ولم يدّخر جهدا في فترة نقاهته بتقديم محاضرات في اللغة والفلسفة والموضوعات الأدبية لجمهور متعطّش ومتشوّق إلى التعلّم والمعرفة.

ويرى بعض المؤرّخين أنّ عددا كبيرا من العلماء، وعلى اختلاف مذاهبهم ومشاربهم قد تدفّقوا في هذه الفترة إلى روما للنهل من العلوم والمعارف، ولا عجب أن يكون كراتيس قد زرع مذهبه الرواقي، وما كان يؤمن به في آذان السامعين وعقول[1] الذين كانوا يحضرون دروسه.

3- علماء المدرسة الرومانية

أ- شيشرون:

ولد ماركوس توليوس شيشرون Marius Tullius Cicero في 03 يناير عام 106 ق.م، وتوفي في 43 ق.م. كان محاميا منذ سنة 80 ق.م. وكان رجلا طموحا، وظلّ هدفه الأساسي هو أن يكون سياسيا؛ ويقوم بدور مهمّ في الحياة العامة وفي دولته[2]. وكان أبوه ذكيا وطموحا ممّا جعله يحرص على تعليم ولديه ماركوس و كوينتوس تعليما ممتازا في الفلسفة والخطابة؛ لأنّهما البابان اللذان يدخلان منهم للتأثير في عقول الجماهير وإقناعهم بأفكارهم.

درس شيشرون في روما على يد آيليوس ستيلو برايكو نينوس، أول عالم وفقيه روماني (ولد عام 150 ق.م في لانوفيوم) ، وشغف حبّا بالقراءة والدراسة، وانشغل بهما عن مباهج روما ومفاتنها[3].

وكان يزهو في شيخوخته بأنّه أعاد اكتشاف قبر أرخميدس (Archiméde)[4] الذي كان الصقليون قد نسوه، وكانت تغطّيه غابة من نبات العلّيق[5].

عاش أبوه إلى أن رأى بواكير صعود نجم ابنه "ماركوس" في عالم السياسة والأدب، إذ مات إبّان حملة شيشرون الانتخابية لتقلّد منصب في القنصلية في 63 ق.م.

---

[1] ينظر -R.ROBINS, Brève histoire de la linguistique, P: 50.24 وينظر أحمد مومن، المرجع السابق. ص:

[2] -Le Petit Robert, T : 2. P.411.

[3]- ينظر د.أحمد عثمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، عالم المعرفة، أيلول، 1989، الكويت. ص: 153.

[4]- فيزيائي إغريقي (287- 212ق.م) وهو مهندس له عدة نظريات مهمة مثل المبدأ الذي يحمل اسمه، وهو أن كل جسم يغطس في سائل يتعرض إلى قوّة عمودية متجهة من الأدنى إلى الأعلى يساوي وزن السائل المتحرّك.

[5]- ينظر د.أحمد عثمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري. ص: 154.

عند رحيله من صقلية وعد أهلها بالوقوف إلى جوارهم في أي مأزق يعترضهم، وسرعان ما تهيّأت أمامه الفرصة للوفاء بوعده، ففي عام 75 ق.م ابتزّ الحاكم القضائي البرايتور **Praetor** جايوس فيريس الصقليين، وحقّق شيشرون انتصارا ساحقا عندما نجح في إدانته مما أدّى به إلى الهرب إلى المنفى الإداري[1].

لقد تطوّرت الخطابة على يديه، وصار الخطيب الأوّل في روما، وبخاصّة لما تفوّق على محامي خصمه الخطيب المشهور كونيوس هورتينسيوس (114 ق.م – 50 ق.م) ليدعم نجاحه بنشر خطب أخرى ضد فيريس مستغلا المادة الهائلة التي جمعها، ولم يفد منها أثناء دفاعه في المحكمة[2].

وتجلّى تطويره لنظرية الخطابة الرومانية في تركيب وبناء خطاباته التي ترتكز على العناصر الثلاثة الآتية:

– البرهان و التعليل و إقامة الدليل(Prouver)

- وإثارة الإعجاب (Plaire).

- والتأثير وتحريك المشاعر(émouvoir).

وأسهمت هذه العناصر في تأسيس نموذج الخطابة اللاتينية.

ولقد أبدع شيشرون نثرا فلسفيا لاتينيا[3].

كما ميّز شيشرون في (43 ق.م) الحديث بين مستوى لغة العامّة في اللاتينية واللغة العتيقة **(émouvoir)** وهو العمل الذي نمّاه برويس النحوي في القرن الثالث الميلادي بتأليف كتاب دوّن فيه ثلاثمائة كلمة يخطئ الناس في نطقها، وتظهر قيمة هذا العمل في إدراك صاحبه بوجود لهجات تختلف عن الفصحى[4].

ب- كونتيلين Quintilian (35م- 90م)

هو **Quintilian Marcus Fabius**، تتلمذ على يد النحويّ الشهير **Palaemon** في القرن الأوّل الميلادي، وخلفه في الشهرة، وقد أنجز عدّة مؤلّفات تعرّضت لعلوم شتّى منها النحو والأدب والتربية والبلاغة.

---

[1]- ينظر د.أحمد عثمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، ص: 155.

[2]- ينظر د.أحمد عثمان،المرجع السابق، ص: 155.

[3] -Le Petit Robert, T : 2. P : 411.

[4]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السبق، ص:41.

وألّف في التربية كتابه الشهير **Institutious oratoirs** الذي يتعرّض فيه بإسهاب شديد إلى فنون الكتابة وسنن الكلام وقواعده والبلاغة بشكل عام، ويعالج باختصار وإيجاز المسائل اللغوية والمقولات المنطقية والكلامية، ومن المسائل النحوية التي تحدّث فيها أقسام الكلام والنظام الفعلي والحالات (les cas) في اللغة اللاتينية[1].

وكان يعتبر النحو مقدّمة وتمهيدا لكفاية أو ملكة التذوّق الصحيح والكامل للأدب في كلّ تربية ليبرالية[2].

ويعتبر كونتيلين من أشهر البلاغيين حيث كتب اثني عشر جزءا في تكوين الخطيب، وهو مرجع قواعد اللغات الأوربية جميعها عبر القرون في فنّ الخطابة أو الفن الأدبي، وهو أوّل كتاب طبع في فرنسا مئات الطبعات[3].

وكان يوصي باتّباع آراء شيشرون في البلاغة والخطابة[4]، ولذلك اعْتُبر بلاغيا وكان يردّد دائما: " إن القدرة على التحدث باللغة اللاتينية شيء، والقدرة على التحدث بها مع مراعاة الأصول شيء آخر"[5].

وما نفهمه من هذا القول هو أنّ المرء بإمكانه أن يعبّر عن أفكاره بلغة يفهمها الناس، ولكن الأفضل أن يعبّر عن تلك الأفكار بلغة راقية وجميلة، ومراعيا فيها السنن وقواعد الكلام التي انتهجها ذوو الأقلام الفذّة.

ج- فارون VARRON

أ- حياته

عاش فارون في القرن الأوّل قبل الميلاد، حيث ولد في 116 ق.م وتوفّي في 27 ق.م، ويعدّ من العلماء والمدقّقين في مسائل كونية، فهو علم من الأعلام الذي يتمتّع بعقلية موسوعية مكّنته من هضم التراث الإغريقي الفكري والعلمي[6].

---

[1]- ينظر أحمد مومن،المرجع السابق، ص: 26.

[2] -R.Robins ; Brève histoire de la linguistique, P : 50.

[3]- ينظر جورج مونان، المرجع السابق، ص: 94.

[4]- Le Petit Robert, T :2, P :1485.

[5] - ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 41.

[6]- ينظر د.أحمد عثمان، المرجع السابق، ص: 184.

ولقد كان ملمّا بكثير من ثقافات عصره، ومتأثّرا بالفكر الرواقي[1]، وبخاصّة ما يتعلّق بأستاذه Aelius Stilo الذي أثّر فيه بعمق، كما عرف أيضا مذهب الإسكندرية[2].

وقد فاق كلّ معاصريه؛ بل إنّه بذّ شيشرون نفسه من حيث غزارة الإنتاج الأدبي والتأثير بعد موته؛ ويعتبر جورج مونان العالم فارون أكثر النحويين أصالة، وهو الوحيد الذي حاول أن يبتعد عن المنهج الإغريقي، وبذل جهدا صادقا ومعتبرا في الميدان النحوي[3].

وسواء لخّص تارة هذا الرجل الواسع الاطلاع أعمال علماء الإغريق وتعاليمهم والذين سبقوه أو عاصروه، أو أضاف إليها من بنات أفكاره وآرائه الشخصية، وما تجود به قريحته أحيانا أخرى، فإنّنا نراه عالما فذّا من علماء اللغة يتحسّس ظواهرها تحسّسا دقيقا.

كما نجده تطرّق إلى القضايا التي طرحها النحاة الإغريق حول نشأة اللغة ومسألة الطبيعة والاصطلاح والقياس والشذوذ[4].

ولا يدري الباحثون هل طبّق فارون كلّ القواعد اللغوية اليونانية على اللاتينية أم غيّر منها، لأنّ أعماله لم يصل منها سوى ستة أجزاء.

وعلى الرغم من أنّ الدارسين انتقدوا أسلوب فارون لعدم احتوائه على الروعة والجمال بل كان معرّى منهما، إلاّ أنّه كان فيما يتعلّق بالأسئلة أو الموضوعات اللسانية أكثر أصالة من كلّ العلماء اللاتين[5].

ولقد كتب فارون حوالي 620 كتابا، وهو نتاج قياسي لم يصل إلى مستوى حجمه أيّ مؤلّف روماني آخر، وربّما لم يصل إليه أي مؤلّف إغريقي كذلك.

وتشمل هذه الأعمال فنّ الهجاء، والفكر اللاهوتي، وعلم الاشتقاق اللغوي والملاحة والزراعة التي وصلَنا منها مقالة كاملة، وما إلى ذلك من موضوعات شتّى[6].

---

[1]- الرواقي: Stoicien المنتسب إلى القسيوني (244ق.م) و أهم أكثر الفلاسفة اهتماما بالمسائل اللغوية و ربطها بالدراسات الفلسفية و المنطقية، "و عالجوا مشكلة نشأة اللغة في إطار الانسجام و الائتلاف مع الطبيعة قصد الحصول على السعادة، وعلى المعرفة لديهم هي الأفكار الموافقة للأشياء الحقيقية الموجودة في الطبيعة نفسها" (د.دراقي زبير، المرجع السابق، ص: 18).

[2]- الإسكندرية: لم تعرف أفكار هذه المدرسة مثلما عرفت آراء المذهب الرواقي.

[3]- ينظر د. دراقي زبير، المرجع السابق ص: 21.

[4]- ينظر جورج مونان، المرجع السابق، ص: 93، و ينظر د.دراقي زبير، المرجع السابق، ص: 21.

[5]- R.ROBINS ; Brève histoire de la linguistique, P : 51.

[6]- ينظر د.أحمد عثمان، المرجع السابق ص: 184.

وتعجّب القدّيس سانت أوجستين **Saint Augustin** كيف توافر لفارون الوقت ليقرأ كلّ ذلك ثم يكتب عنه؛ بل كيف تسنّى له أن يسطّر كلّ تلك الكتب التي يعيا القرّاء من قراءتها وفهمها واستيعابها؛ فهو الكاتب اللاتيني الجدّي الأوّل الذي مازال التراث الإنساني يحتفظ بكتاباته اللسانية، وهو رجل متعدّد الاختصاصات[1].

وبالإضافة إلى ما سبق فقد كان فارون قائدا بحريا وبرّيا، وكوفئ لشجاعته في سنّ الخمسين، وشغل مناصب كثيرة ومنها أمانة المكتبة التي أسّسها أحد قياصرة الروم[2].

ب- مؤلفات فارون وآراؤه النحوية:

ألّف فارون أربعا وسبعين مصدرا، حرّر في ست مائة وعشرين كتابا، وما يؤسف له أنّ الزمان أتلف جلّ أعماله حيث لم يصل منها سوى أجزاء في موضوعات مختلفة منها:

- مختصر في النحو والفيلولوجيا،
- ومختصر في الفلاحة، والاقتصاد الريفي،
- ومختصر في الفلسفة و التاريخ،

فهو من الموسوعيين الأوائل[3].

كما وضع أسس النظام التربوي الذي نجده في فكرة الفنون السبعة حيث تقسم عنده إلى قسمين:

- الفنون الحرة الثلاثة (Trivium) أي النحو، والخطابة واللهجات، وهي الجزء التمهيدي من الفنون الحرّة السبعة في العصر الوسيط.
- والفنون الأربعة الباقية **(Quadritium)** وهي الهندسة والرياضة والفلك والموسيقى.
- وتوجد هذه الفنون السبعة جميعها فيما عرف ب **"كتب التعليم السبعة"**، وهو التعليم الموسوعي الذي يرجع تطوّره إلى العصر الهيليني، والذي أنجزه في الثمانينيات من عمره أي من إنتاج شيخوخته، ونظام التعليم في جامعات أوربا الحديثة والمعاصرة مدين بأشياء كثيرة لفارون[4].

[1] -R.ROBINS ; Brève histoire de la linguistique, P : 52.

[2]- ينظر د.أحمد عثمان، المرجع السابق ص: 184.

[3] -Le Petit Robert, T : 2. P : 1847.

[4]- ينظر د.أحمد عثمان، المرجع السابق، ص: 187.

كما كان فارون أكبر مبدع في النحو اللاتيني، إذ ألّف عملا ضخما وهاما بعنوان "عن اللغة اللاتينية" **DE Lingua Latina** بلغ ستة وعشرين جزءا، لم يصلنا منه سوى ستة، في حالة رثة، وذلك من الجزء الخامس إلى الجزء العاشر[1]. وكانت الكتب من خمس (5) إلى خمس وعشرين (25) مهداة إلى شيشرون، ومن ثم فهي مؤلفة قبل 43 ق.م، ويتّبع فيها أسلوبه في الأكاديميات؛ أي إنّه يعرض أولا الآراء المناقضة لرأيه ثم يشرع في تفنيدها والردّ عليها[2].

وتناول في هذا الكتاب قضايا نحوية جمّة، قسّمها إلى ثلاثة مواضيع رئيسية هي:

- علم التراكيب،
- وعلم الصرف،
- وعلم أصول الكلمات.

ففي علم الصرف كانت ملاحظاته دقيقة وتحاليله عميقة إذ بيّن الاشتقاق الذي يظهر في التغيّر الطبيعي لشكل الكلمات، ودرس أيضا النظام الفعلي في اللغة اللاتينية، وكتب عن علامة الزمان، وصيغة الفعل، وحالة الفعل من حيث البدء والاستمرار أو التمام أو الانقطاع (Aspect)[3].

ووضع نظاما رباعيا يتعلّق بالتصريف، فصنّف الكلمات إلى أربع فصائل شكلية:

- الكلمات ذات الحالات (الأسماء والصفات).
- والكلمات التي لها زمن (الأفعال).
- والكلمات التي لها حالات وأزمنة (أسماء الفاعل والمفعول).
- والكلمات التي لا تحمل زمنا ولا حالة الظروف[4].

ومن القضايا التي اعتنى بها فارون ظاهرة التوليد والاشتقاق اللغوي متأثّرا في ذلك بالرواقيين، حيث استخدمه دليلا لإثبات نظريته حول ما قبل التاريخ في إيطاليا.

وهنا نلمح اعتقاده بأنّ التاريخين الثقافي واللغوي لا ينفصلان، فهما صنوان ومتكاملان و يخدمان بعضهما البعض ويفيد الواحد الآخر، ويؤكّد على دراسة اللغة دراسة دقيقة؛ لأنّ ذلك يلقي الضوء على الحياة في إيطاليا القديمة التي شغف بها حباّ[5].

---

[1]- ينظر جورج مونان،المرجع السابق، ص: 92.
[2]- ينظر د.أحمد عثمان، المرجع السابق، ص: 187.
[3]- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 26.
[4]- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 26.
[5]- ينظر د.أحمد عثمان، المرجع السابق، ص: 184.

ورأى اللغة تتكوّن من مجموعة متناهية من المفردات التي فرضت على الأشياء لتسهيل عملية التواصل، وتعمل بطريقة توليدية بوصفها مصدرا لأعداد هائلة من المفردات عن طريق إجراء تغيّرات متتالية في حروف الكلمات ومعانيها[1].

ولا يدهشنا أن يجتمع التاريخ الاجتماعي مع التراث الزراعي في كتابه "عن اللغة"؛ وإنّما ما يثير الدهشة هو وجود اشتقاقات لغوية في كتاب عن الزراعة حيث يقول فارون: على سبيل التوضيح، إن الخبزPanis [2]، كلمة جاءت من أنّ الناس كانوا في البداية يصنعون رغيف الخبز على شكل قطعة قماش PANUS.

ولا تتمايز النتائج التي توصل إليها في الايتيمولوجيا عن علماء الإغريق في اقترابه من الصواب، فقد عدّ كل الكلمات الدخيلة اقتراضا مباشرا من اللغة اللاتينية[3].

ويرى فارون أنّ اللغة تتطوّر بفضل تغيّرات تلحق الحروف والشكل الصوتي، وللزمن أثر كبير في ذلك، ويذكر أمثلة أصابها التبدّل نحوDuellum أصلها **Bellum** ومعناها الحرب.

وتتطوّر المفردات من حيث دلالتها أيضا مثل كلمة **Hostis** وأصلها غريب étranger وأصبحت تدلّ في عهد فارون على معنى العدو[4].

أمّا ما يتعلّق بالقياس والشذوذ، فقد قدّم فارون أدلّة مؤكّدة ومضادّة لهاتين الظاهرتين، وأعطى نماذج من اللغة اللاتينية توضّح جوانبها، وأكّد ضرورة الاعتراف بهذه الثنائية في اللغة، ودورها في توليد المفردات والمعاني الجديدة[5].

ولفارون مؤلّف عن الآثار القديمة **Antiquitates**، يقع في واحد وأربعين كتابا، موزّعة على قسمين:

- أولا : خمس وعشرين(25) كتابا فرعيا منها خاصّة بالآثار الإنسانية.

- وثانيا: الستة عشر كتابا الباقية تحمل عنوان: **"الآثار الإلهية"**، ويحتمل أن يكون قد نشر هذا القسم قبل 47 ق.م، وقدّمه هديّة إلى القيصر باعتباره الكاهن الأعظم، ويعدّ المصدر الرئيسي للديانة الرومانية.

---

[1]- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 25.

[2]- ينظر د.أحمد عثمان، المرجع السابق ص: 184.

[3]- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 26.

[4] -R.ROBINS ; Brève histoire de la linguistique, P : 51.

[5]- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 25.

وقد ضاع مثلما ضاعت أثار فارون الأخرى ومنها (فن الخطابة اللاتينية) الذي قنّن فيه قواعد اللغة اللاتينية استنادا إلى طبيعة استعمالها وقياسها، وأسلوب الكتابة الذي يعتبر حجّة في هذا الموضوع، ويقول فارون في هذا الصدد: " ومن واجب الشعراء أن يدرّبوا آذان العامة من النأس على اللغة اللاتينية الصحيحة وما تقدّم من إصلاح"[1].

وهو رأي يبيّن أنّ النطق السليم للغة وتعلّمه يحتاجان إلى تنقية البيئة التي تتكلّم فيها اللغة من كلّ لحن وفساد وشوه.

وكتب فارون عن حياة الرومان: **De Vita Populi Roman** وهو في يدخل باب التاريخ الثقافي، وألّف كذلك في سلالة الشعب الروماني **De gerbe populi Roman**، حيث حاول أن يضع تراثا أسطوريا لبلده على النمط الإغريقي، بدأه منذ تأسيس روما عام (753 ق.م).

وكتب أيضا ما يعرف بالسباعيات (Hebdomadaire) أو الصور **(Images)** وهو مؤلّف اكتمل عام (39 ق.م) ويضمّ مجموعة من 700صورة لشخصيات إغريقية مهمّة في عالم السياسة والحرب والأدب..الخ. وكان يرفق كل صورة بنص أدبي شعرا كان أم نثرا. وقسمها إلى مائة مجموعة، ضمّت كل منها سبع صور، ومن هنا جاء عنوان الكتاب السباعيات[2].

د- بريسيان Priscian (512م-560م)

عندما انهارت الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع الميلادي، أصبحت روما في وضعية لا تحسد عليها، وباتت فيها الحياة مزرية وصعبة، وغير مشجّعة للعلم والعلماء، وكالعادة وفي كل المجتمعات وعلى مرّ العصور، يؤدّى ذلك بالباحثين وذوي الاختصاصات المختلفة إلى الهجرة، فكان أن ولّى الرومان وجوههم شطر القسطنطينية العاصمة الجديدة التي بدأت تشعّ رؤيتها ونورها على المنطقة، والتي تنعم على ضفاف البوسفور **Bosphore** بكل مظاهر التقدّم والرخاء والاستقرار.

وكانت من أهداف الهجرة هو البحث عن الظروف المواتية والمناسبة لإتمام رسالتهم العلمية وتبليغها للأجيال اللاحقة، فكانت نعم الدار، إذ وجدوا فيها ما طلبوه وما هاجروا إليه[3].

وكان من هؤلاء المهاجرين بريسيان الذي يعدّ أشهر ممثّل لهذه المرحلة في الدراسة اللغوية اللاتينية التي أصبحت تنعت بالعصر الذهبي فيما بعد.

---

[1]- ينظر جورج مونان، المرجع السابق، ص: 93.
[2]- ينظر د.أحمد عثمان، المرجع السابق، ص: 185.
[3]- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 28.

فمكث بريسيان في القسطنطينية ينشر العلم، ويدرس قواعد النحو اللاتيني، وتأثّر في أعماله بكل من ثراكس، و أبولونيوس وهيرودوت وغيرهم؛ كما تأثّر بالفكر الإغريقي. وألّف كتابا مهمّا وقيّما أسماه المقولات النحوية، **Institutions grammatives** ويقع في عشرين كتابا، وهو لا يقلّ عن ألف صفحة، ولا يقلّ شهرة عن كتب سابقيه مثل فارون وكونتيلين[1]، ويقتفي فيه أثر**Apollon Dyscole** وظلّ مصدرا ثمينا للغة اللاتينية، ومرجعا ثريّا للباحثين إلى يومنا هذا.

وخصّص فيه ثمانية عشر كتابا لأقسام الكلام ودرس فيه الأصوات والصرف، وتعرف هذه الكتب ب **Priscian Maior**، وخصّص كتابين اثنين لعلم التركيب Syntaxe.[2]

واستحدث بريسيان قسما سمّاه التعجّب، واستبعد اسم الفاعل من تقسيمه. كما حدّد مفهوم الجملة على أساس الدلالة دون الاهتمام ببنائها السطحي أو الشكلي فقال: "إنّ الحملة هي نظام للكلام، يدلّ على معنى كامل".

وأدّت عنايته بالمعنى إلى التفرقة بين الاسم والفعل، ولذلك ذهب إلى أنّ الاسم يسبق الفعل؛ لأنّه يدلّ على الجوهر. أمّا الفعل فيدلّ على العمل، والجوهر يسبقه، ولا يحفل النحويون كثيرا بالخوض في مثل تلك القضايا التي لا تصل إلى فهم الألسنة في أصواتها وصرفها ونحوها بسبب قريب[3].

إنّ نحو بريسيان هو ثمرة جهود السابقين، وتتويج للوحدة والعلاقة الإغريقية الرومانية لفترة طويلة، ولكنها وحدة بدأت تتمزّق حبالها وتتقطّع أوصالها ليصبح الغرب فيما بعد مجزّءا مفكّكا، ويظهر ظلام القرون الوسيطة، فتظهر بحوث ويبرز نحاة يدافعون عن إرثهم العلمي القديم[4].

---

[1]- ينظر جورج مونان، المرجع السابق، ص: 93.

[2]- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 28.

[3]- ينظر د.محمد محمود غالي،المرجع السابق، ص: 87. ولقد تعرض إلى هذه القضية ابن الأنبا ري في كتابه الأنصاف في مسائل الخلاف، في مسألة: "أيهما أسبق الفعل أم الاسم" ج:1، ص:239.

[4]-R.ROBINS ; Brève histoire de la linguistique, P : 65.

الفصل الرابع

المدرسة اللسانية العربية

1- نشأة الدراسة اللغوية العربية

2- الشعر ومعاني ألفاظ القرآن الكريم

3- مفهوم النحو وأهميته ووظيفته

أ- النحو لغة

ب- النحو اصطلاحا

ج- أهمية النحو ووظيفته

4- نشأة النحو العربي

5 - النحو والعملية التواصلية

خاتمة.

ارتبطت الثقافة الإسلامية ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم، الذي كان له الفضل في نشأة بين دفتيه حركة فكرية وعلمية وطّدت صرح الحضارة العربية، فاحتلّت بذلك مكانة متميّزة بين الشعوب وعبر التاريخ.

ولقد كان الذكر الحكيم عاملا مهمّا من عوامل تجديد شباب اللغة العربية، وسببا في تزويدها بالحياة والتفاعل، وضمن لها الاستمرار والمحافظة على أصولها وقواعدها طوال العصور، وبذلك فلا نتصوّر لغة في العالم – فيما نعلم – توافرت لها كل هذه الأمور[1]، والمزايا التي جعلتها تحافظ على كيانها في المراحل الزمنية المتعاقبة.

ولما كانت للعربية منزلة شريفة، وشأن عال، فلا غرو أن يقول أبو منصور الثعالبي (ت 430 هـ):"والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على فهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقّه في الدين"[2].

فالقرآن كتاب تعبّد وتلاوة، وفيه تشريعات حكيمة للبشر، وهو مصدر لكثير من العلوم الإسلامية ومنها النحو، وهو أعلى درجات الفصاحة، وتعلّقت به اللغة العربية إذ أنزله الله بلسان عربي مبين حيث قال تعالى: " إنّا أَنْزلناه قُرْآنا عربيا لعلّكم تعْقلون"[3].

وسيظل القرآن يعجز البشر إلى أبد الآبدين، وكلّ البلغاء وفطاحل الأقلام، ووجبت العلاقة أنّ كلّ من يريد أن يفهم القرآن، عليه أن يتقن العربية إتقانا جيدا، ليأمن به العثرة في تفهّم ما ترمي إليه الآيات الكريمة ومفرداتها.

وهذا ما جعل علوم العربية مفاتيح ضرورية لفهمه ومعرفة أحكام الدين الإسلامي وتشريعاته، وذلك ما أدّى إلى الارتباط الوثيق بين علوم اللغة وعلوم الشريعة إلى هذه الحال[4].

ولم يكن الاهتمام باللغة جديدا على الأمّة العربية؛ وإنّما كان العرب يولون عنايتهم الكاملة لها منذ العصر الجاهلي، ففي شعرهم ما يؤكّد ذلك نحو قول زهير بن أبي سلمى:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدّم[5].

---

[1]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ص: 11.
[2]- أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة و أسرار العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص: 2.
[3]- سورة يوسف، الآية: 2.
[4]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 11.
[5]- الزوزني، شرح المعلقات العشر، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ص: 69.

وفي الأمثال والحكم العربية مثل: "المرء بأصغريه: قلبه ولسانه"، وقال خالد بن صفوان: "ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثّلة أو بهيمة مهملة"[1].

ولشدّة احتفائهم بجمال اللسان، نجد قيمة الرجل "عندهم تعلو بقدر ما يقول، لا بقدر ما يفعل، فكانوا يعجبون بفن القول، وإن كان فيها بعض الأحيان من المبالغة أو غيرها ما فيها وهي صفة ذمّها القرآن الكريم، يقول تعالى: "يا أيُّها الذين آمنوا لِمِ تَقُولون ما لا تَفْعلون، كَبُر مقتا عند الله أنْ تقولوا ما لا تَفْعلون"[2].

وقد ذمّها الإنسان كذلك[3]، فقد أنشد الأصمعي(ت216هـ) للمُعَكْبِر الضَبي يصف قوما يحسنون فنّ القول ويسيئون في العمل:

أبلغ طريفا حيث شطّت بها النوى وليس لدهر الطالبين فناء
"كسالى إذا لاقيتهم غير منطق يلهّى به المحروب وهو عناء
وأخبرْ من لاقيت أن قد وفيتم ولوشئت قال المنبؤون أساروا
وإنّي لأرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الحاملات رجاء"[4].

وكانوا يشعرون بأنّ اللغة "هي أساس الحياة في المجتمع، فهي وسيلة التفاهم والتخاطب، وتبادل الأفكار والآراء والمشاعر؛ بل هي الركن الأوّل في تقدّم الفكر وارتقاء الحضارة، واتّساع التأليف في العلم والمعرفة"[5]، ولذلك ألّفوا فيها ما جعلهم يتركون تراثا ضخما أدهش العلماء وكلّ من يقدّر الجهود المعرفية التي ظلّت النبع الذي ينهل منه الدراسون من مختلف الأمم والشعوب.

وازداد الاهتمام باللغة بشكل بيّن وجليّ مع ظهور الإسلام والفتوحات الإسلامية، وهذا لما كانت اللّكنة تلحق بألسنة الناطقين بالعربية من الأمم الأخرى، والداخلين تحت لواء الإسلام، كما كانت لعاداتهم النطقية الأصلية سلطانَها على لغتهم.

فاختلاط العرب بالعجم أضرّ اللسان العربي في بداية التمازج، بحيث سبّب فيه انحرافا بينا، ترتبت عليه سقطات ولحنات كثيرة من عامّة الناس وخواصّهم.

---

[1]- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، دار مكتبة الحياة،بيروت، ط: 2، مجلد: 2،ص: 321.

[2]- سورة الصف،الآيتان: 2-3.

[3]- ينظر د.بلقاسم بلعرج، دور الأداء الصوتي (الكلامي) في التبليغ و التواصل عند العرب القدامى، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. العدد الرابع، سنة 2004، جامعة باتنة، ص: 24.

[4] shamla.ws المكتبة الشاملة

[5]- د.عبد اللطيف الصوفي، مصادر اللغة في المكتبة العربية. ص: 32.

"فخاف العلماء المسلمون على القرآن الكريم من أن يصيبه ما أصاب الألسنة من لحن أو تحريف بعد أن تعددت ألسنة الداخلين في الإسلام، فاختلطت وتفشّت ظواهر اللحن"[1].

أضف إلى ذلك جهود المسلمين التي توزّعت حول القرآن الكريم وفهمه، واتّجهت كل جماعة وجهة في تفقّهه، وبرع من هؤلاء جمّ غفير في الدراسات اللغوية نشأت بفضلهم علوم اللسان العربي[2].

"فلقد اهتدى العلماء وهم بصدد ترتيل القرآن الكريم والاعتناء بتلاوته إلى الخوض في مباحث ودراسات تطوّرت فيما بعد، وصارت علوما مختلفة تخدم مجالات متنوّعة من ميادين البحث اللغوي، ومن أبرزها ما أطلق عليه اسم العربية، وهو ما عرف فيما بعد بعلم النحو"[3].

1- نشأة الدراسة اللغوية العربية

لقد ذكر ابن خلدون أن "القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلّهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه"[4].

وحقيقة الأمر، إنّ العرب لم يكونوا جميعهم كذلك؛ لأنّ نزول القرآن بلغتهم لا يفضي أن يفهمه كلّهم في مفرداته وتراكيبه وأساليبه ومعانيه، لأنّ فهم الكتاب لا يتطلّب اللغة وحدها، وإنّما كذلك درجة عقلية خاصة تتّفق ومستوى الكتاب في رقيّه.

كما أنّ القرآن الكريم وظّف مفردات كثيرة في دلالات مختلفة عن تلك التي كان يتواصل بها العرب في حياتهم اليومية، ولم تعد معروفة لديهم كما عهدوها في العصر الجاهلي، بل تطوّرت وتغيّرت وذلك نحو كلمة الكفر، والإيمان والصلاة والزكاة والحج وغيرها.

وعلى هذا الأساس لم يكن العرب يعرفون معنى كلّ كلمة في لغتهم، ممّا جعلهم يؤلّفون كتبا مثل غريب القرآن الكريم لفهمها، والتي كانت بداية للتأليف المعجمي. وكان الرسول (ص) يستعمل ألفاظا خفِيت عن الصحابة، وإن كان بينهم من يعرف أسرار العربية جيّدا حتّى أنّ الإمام علي-كرّم الله وجهه- قال للنبي الكريم (ص): "يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلّم العرب بما لا نفهم أكثره"[5].

---

[1]- البدراوي زهران، مقدمة في علوم اللغة، دار المعارف، القاهرة، 1987، ص: 16.
[2]- ينظر البدراوي زهران، المرجع السابق، ص: 16.
[3]- البدراوي زهران، المرجع نفسه، ص: 20.
[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص:348.
[5]- د.عبد اللطيف الصوفي، المرجع السابق، ص: 32.

ونجد قصصا كثيرة في كتب الحديث واللغة والأدب، ومنذ عهد الرسول (ص) تروي لنا غموض بعض معاني الكلمات لمعاصري الوحْي.

فقد سأل أحدهم الرسول الكريم (ص) عن معنى كلمة "ظلم" في قوله تعالى:" الذين آمَنُوا ولم يُلْبِسوا إيمانَهم بظُلم، أولئِك لهم الأمْن، وهُم مهتدَون"[1].

ففسّر الظلمَ بالشرْك مستشهدا بقوله تعالى: "وإِذْ قال لُقْمان لابنِه وهْو يَعِظُه، يا بُنيّ لا تُشرك بالله، إنَّ الشِّرْك لَظلمٌ عَظيم"[2].

وأخرج أبو عبيد في الفضائل عن إبراهيم التيمي أنّ أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى: "وفاكهة وأبّا"[1]، فقال: أيّ سماء تُظِلّني، و أيّ أرض تقلني، إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم به[2].

ولمّا قرأ عمر بن الخطاب الآية ذاتها قال: كلّ هذا عرفناه، فما الأبُّ؟ ثم رفض عضّا كانت بيده، وقال: وهذا لعمر الله التكلّف، وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأبّ؟ ثمّ قال: اتّبعوا ما تبيّن لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه"[3].

وروي عن عمر – أيضا – أنّه كان على المنبر فقرأ قوله تعالى:" أوَ يأخُذُهم على تخوّف، فإنّ ربَّك لرؤوفٌ رَحيم"[4]، ثم سأل عن معنى التخوُّف، فقام شيخ من هذيل، فقال هذه لغتنا: التخوف التنقُّص، قال: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها، قال: نعم، وأنشد له بيت أحد شعراء هذيل:

تخوّف الرحل منها تامكا قردا كما تخَوَّف* عود النبعة السَفَن*.

فقال عمر: أيّها الناس عليكم بديوانكم لا يُضِلّ، قالوا وما ديوانُنا؟ قال: شعر الجاهلية، فإنّ فيه تفسيرَ كتابِكم[5].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت لا أدري " ما فاطر السموات والأرض"[1]، حتى أتاني أعربيان يختصمان في بئر، فقال: أحدهما أنا فطرتها؛ أي ابتدعتها أو ابتدأتها[2].

---

[1]- سورة الأنعام، الآية: 82.

[2]- سورة لقمان، الآية: 12.

[3]- الزمحشري، الكشاف، ج4، ص 380.

[4]- سورة النمل، الآية 47.

على تخوّف معناه متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم، فتخوّفوا فيأخذهم بالعذاب هم متخوفون، وهو خلاف قوله من حيث لا *يشعرون، وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته إذا تنقصته". الزمخشري، ج2، ص 411.

-تخوّف الرحلُ منها:تنقص الرحل من هذه الناقة، وتامكا قَرْداً:التامك القرد هو السنام، والسفن ما ينحت به الشيء، والنبعة واحده *النبع وهو شجر يتّخذ منه السَفَن.

[5]- الزمخشري، المصدر السابق، ج2، ص 411.

وحريّ بنا أن نشير في هذا المقام إلى أنّ الدراسة اللغوية العربية تطوّرت في القرون التي تعاقبت بشكل ملفت للانتباه، فحلّلت المستويات المختلفة، فكان التعمّق والتدقيق في الأصوات في جانبيها الفونتيكي والفونولوجي، والمجال الصرفي لدى أكثر من عالم أمثال المازني و ابن جني (ت 392 هـ)، وكذا البحث النحوي والتركيبي في عدّة مصادر بدءا بالخليل بن أحمد (ت 175 هـ)، وبسيبويه (ت 180 هـ)، والدراسة المعجمية والدلالية أيضا.

ولكلّ مستوى من هذه المستويات أعلامه، ومصادره ومصطلحاته.

ويعدّ التراث اللغوي العربي غنيّا وثريّا بما أبدعه العلماء الفطاحل، ولا تزال أعمالهم محلّ تقدير وتبجيل من لدن كلّ من يقدّر العلم ويرفع من شأو العلماء.

2- الشعر ومعاني ألفاظ القرآن الكريم:

تبيَّن ممّا سبق أنّه كانت هناك حاجة ماسّة إلى فهم ومعرفة كثير من ألفاظ القرآن الكريم الغامضة، ولمّا لم تكن اللغة العربية قد جمعت بعد حتّى يرجع إليها من أراد معرفة معاني الكلمات، فقد كان الناس يعودون إلى أهل العلم بحثا عن تفسير كلمة أو فهم دلالة مستغلقة.

وكان من أمثال هؤلاء ابن عباس (ض) (ت 32 هـ) الذي يعتبر ترجمان القرآن، فقد قال له رسول الله (ص): "نعم ترجمان القرآن أنت"، و دعا له بقوله: "اللهمّ فقّهْهُ في الدّين وعلّمه التأويل"، و قال له – أيضا – "اللهمّ آته الحكمة"، و في رواية، "اللهمَّ علّمه الحكمة وتأويل الكتاب"[3].

وقال ابن عباس عن الشعر العربي: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديونها، فالتمسنا معرفة ذلك منه". ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس، أنه قال: "إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"[4].

وورد عن ابن عباس أنّه قال: "إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشّعر، فإنّ الشعر عربي".

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 14:" قُلْ أَغَيْرَ الله أَتَّخِذ وَلِيًا، فاطر السموات والأرض، وهو يُطعِم ولا يُطْعَم، قل إِنّي أُمِرْتُ أن أكون أولَ من أسْلم ولا تكونَنَّ من المُشْرِكين".

[2]- ينظر الزمحشري، المصدر السابق، ج2، ص: 8، وينظر السيوطي،الإتقان، مج1، ص: 380.

[3]- ينظر السيوطي، المصدر السابق، مج2، ص: 516، وينظر د. عبد اللطيف الصوفي، المرجع السابق. وينظر كتاب غريب القرآن، عبد الله بن عباس رضي الله عنه حققه وقدم له، د.أحمد بولوط، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط1، 1993، ص: 8.

[4]- السيوطي، المصدر السابق، مج1، ص: 432، وينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 17.

وهذا العمل هو في حدّ ذاته بداية التأسيس لعمل معجمي أوجدته الحاجة إلى فهم اللغة، وتفسيرها، والذي سيتطوّر لاحقا إلى مدارس معجمية متعدّدة[1].

وكانت دراسة القرآن ومحاولة فهم ألفاظه ومعانيه دافعا للاهتمام بالشعر العربي وجمعه، فاستعانوا به لمعرفة غريب القرآن، وأحاديث رسول الله (ص)، وكانت هذه العناية سببا في قيام حركة واسعة تجمع شعر الشعراء في دواوين، وقيام علماء اللغة والأدب والنقد بشرحها والتعليق عليها، ولولا ذلك لانقرض ذكر الشعراء وعفا الدهر على آثارهم ونسي الناس أيّامهم[2]؛ بل إنّ الحياة الثقافية والاجتماعية للمجتمع العربي لأصبحت مجهولة للدارسين والباحثين.

وكان من نتائج هذه الحركة أن رتّب علماء هذه المرحلة الكلمات المفسّرة طبقا لسور القرآن، ثم على أحرف الهجاء في المرحلة الثانية ومن أوائل الكتب في هذا المجال:

- غريب القرآن لأبي سعيد البكري (ت 141 هـ).
- وغريب القرآن لأبي عبيد (ت 224 هـ).
- وغريب القرآن للسدوسي (ت 195 هـ).
- وغريب القرآن لابن قتيبة (ت 276 هـ)[3].

واتّسعت دراسات الغريب لتشمل البحث في ألفاظ اللغة بصفة عامّة، على نحو ما نجده في "أدب الكاتب" لابن قتيبة (276 هـ)[4] و"الفصيح" لثعلب (ت 291 هـ)[5]، و"فقه اللغة وسرّ العربية" للثعالبي (ت 430 هـ).

وإذا كان قد آثر عن الصحابة والتابعين احتجاجهم على غريب القرآن ومُشكَلِه بالشعر، فإنّنا نلفي جماعة أنكرت على النحويين ذلك، لاعتقادهم أنّ عملهم هذا يجعل الشعر أصلا للقرآن الكريم أو يرتّب قبل القرآن في الاحتجاج به.

كما لا يجوز الاحتجاج بالشعر؛ لأنّه مذموم في القرآن والسّنة، وإن انقسم في هذه المسألة النقاد والفقهاء إلى أكثر من فريق ليس المجال لخوضها في هذا المقام.

ولكن ليس الأمر كما زعموا؛ بل كانت الغاية هي تبيين الغريب من القرآن بالشعر.

---

[1]- ينظر د.عبد اللطيف الصوفي، المرجع السابق، ص: 33.
[2]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 16.
[3]- ينظر د. كريم زكي حسام الدين، المرجع نفسه، ص: 17.
[4]- ينظر ابن قتيبة، أدب الكاتب، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد الدالي. مؤسسة الرسالة، ط:2، سنة 1999.
[5]- ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مج1، ص:432.

3- مفهوم النحو وأهميته ووظيفته:

أ- النحو لغة:

النحو هو القصد لغة، ومنه انحو هذا النحو، فمنه نحا نحوه: إذا قصده، ويكون ظرفا ويكون اسما، نحاه ينحوه وينحاه، نحوا، وانتحاه، وهو بمعنى اتّبع هذا السبيل أو الطريق أو ما أريك إياه.

وسبب تسمية هذا العلم بذلك ما يروى عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنّه ممّا أشار إليه أبو الأسود الدؤلي بوضع هذا العلم، ذكر له الاسم والفعل والحرف وشيئا من الإعراب، وقال له انح هذا النحو يا أبا الأسود[1].

وقد بلغت معاني النحو في اللغة تسع معان، جمعها الإمام الداودي فقال:

للنحو سبع معان قد أتت لغة جمعتها ضمن بيت مفرد كملا

قصد، ومثل، ومقدار، وناحية نوع، وبعض، وحرف، فاحفظ المثلا.

ب-النحو اصطلاحا:

يعرَّف النحو في الاصطلاح بأنّه "العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها"[2].

وهو يضبط أواخر الكلمات إعرابا وبناء، ووظيفته هي فهم مضمون النص وعناصره اللغوية وتذوّق مميّزاته الجمالية ومكوّناته الأسلوبية، ويبيّن خفاياه وأغواره، فهو ليس نحو إعراب فحسب؛ أو نحو قواعد جامدة يتعلّمها المرء دون توظيفها وتُبيّن ملامحها البيانية والدلالية.

وأليق حدود النحو[3] قول ابن جني: "انتحاء سمت كلام العرب، في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة. وأصله مصدر نحوت بمعنى قصدت، ثم خصّ به

---

[1]- ينظر أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، مكتبة العروبة، ص: 89، وينظر اللسان مادة (ن، ح، و)، و نظر شرح الأشموني على ألفية بن مالك، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن محمد، إشراف: د.إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 1997، المجلد1، ص: 21.

[2]- شرح الأشموني، مج 1، ص: 19.

[3]- السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، سنة: 1998، ص :14.

انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أنّ الفقه في الأصل مصدر فقهت بمعنى فهمت، ثم خصّ به علم الشريعة"[1].

وقال صاحب المستوفي علي بن سعيد بن محمود بن الحكيم القاضي جمال الدين(ت584هـ) الملقّب بالفرغاني: "النحو صناعة علمية ينظر لها صاحبها في ألفاظ العرب من جهة ما يتألّف بحسب استعمالهم؛ لتُعرف النسبة بين صيغة النظم، وصورة المعنى، فيتوصّل بإحداهما إلى الأخرى"[2].

ومن القصص المشهورة، والدالّة على أهمّية النحو والمعنى ما رواه الزجّاجي، وما رواه الفرّاء أنّ الرشيد كتب إلى أبي يوسف صاحب أبي حنيفة بأن يفتيه في من قال لامرأته قول الشاعر:

فإن ترفقي يا هندُ فالرفقُ أيمن وإن تخرقي يا هند فالخرقُ أشأمُ

فأنت طلاقٌ والطلاق عزيمة ثلاثٌ ومن يخرق أعقّ وأظلم.

فقد أنشد البيت" عزيمة ثلاث" بالرفع، و"عزيمة ثلاثا" بالنصب، فبكم تطلق بالرفع؟ وبكم تطلق بالنصب؟ قال أبو يوسف: هذه مسألة فقهية نحوية لا آمن الخطأ فيها... فأرسلوا للكسائي الذي كتب إليهم: بالرفع طلّقها واحدة، وأنبأها أنّ الطلاق لا يكون إلا بثلاثة، ولا شيء عليه، وبالنصب طلّقها ثلاثا وأبانها؛ لأنّه بمعنى من قال: أنتِ طالقٌ ثلاثا"[3].

ومن ذلك ما يراه العلماء في قوله تعالى:" وأتمُّوا الحجَّ والعمرة لله"[4]، حيث قرأت جماعة (والعمرةَ) بالنصب، وعليه ذهب بعض العلماء إلى أنّ العمرة واجبة كالحجّ على دلالة الاقتران كما يرى الشافعي(ت204هـ)، وقال به القرطبي (ت671هـ). ومن قرأه (العمرةُ) بالرفع يرى عدم وجوب العمرة؛ بل هي مندوبة وهو رأي الجمهور[5].

ومن ذلك أيضا ما أورده السيوطي(و849هـ- ت 911هـ) في "قاعدة في الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل": "الاسم يدلّ على الثبوت والاستمرار، والفعل يدلّ على التجدّد والحدوث، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر، فمن ذلك قوله تعالى: "وَكلبُهم باسطٌ

---

[1]- ابن جني، الخصائص،ج:1، ص 34.

[2]- الفرغاني، المستوفى في النحو، تحقيق محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية، القاهرة،1407هـ-1987م،ص:11.

[3]- عن د. عبد الله أحمد جاد الكريم، المعنى و النحو، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، سنة 2002، ص 9.

[4]- سورة البقرة، الآية: 196.

[5]- ينظر د. عبد الله جاد الكريم، المعنى والنحو، ص: 37.

ذراعيْه"[1]، ولو قيل " يَبْسط لم يُؤدِ الغرض؛ لأنّه يؤذن بمزاولة الكلب البسط، وأنّه يتجدّد له شيء بعد شيء، فبَاسِط أشعَرَ بثبوت الصفة.

وقوله:"يا أيُّها النَّاسُ اذْكروا نِعمَةَ الله عليكم هَلْ من خالقٍ غيرُ اللهِ يرزقُكم من السماءِ والأرضِ لا إله إلاّ هو فأنّى يؤْفكون"[2]، ولو قيل "رازِقُكم" لفات ما أفاده الفعل من تجدّد الرزق شيئا بعد شيء؛ ولهذا جاءت الحال في صورة المضارع، مع أنّ العامل الذي يفيد ماض، نحو "وجاؤوا آباهم عشاءً يبْكون"[3]، إذ المراد أن يفيد صورة ما هم عليه وقت المجيء، وأنّهم آخذون في البكاء يجدّدونه شيئا بعد شيء؛ وهو المسمّى حكاية الحال الماضية، وهذا هو سرّ الإعراض عن اسم الفاعل والمفعول.

ولهذا أيضا عبّر بالذين "ينفقون" ولم يقل:"المنفقون"، كما قيل: المؤمنون والمتّقون، لأنّ النفقة أمر فعلي شأنه الانقطاع والتجدّد، بخلاف الإيمان، فإنّ له حقيقة تقوم بالقلب، يدوم بمقتضاها، وكذلك التقوى والإسلام والصبر والشكر والهدى والعمى والضلالة والبصر؛ كلّها لها مسميات حقيقية أو مجازية تستمرّ، آثار تتجدّد وتنقطع، فجاءت بالاستعمالين"[4].

ج- أهمية النحو ووظيفته:

يعدّ علم النحو من أسمى العلوم قدرا، وأنفعها أثرا، وقيمة المرء مخبوءة تحت طيّ لسانه، ولقد صدق إسحاق بن خلف البهراني في قوله:

النَّحو يبسُط من لسان الأَلْكن و المرءُ تُكْرِمه إذا لم يلحَنِ
وإذا طلبتَ من العلُوم أجلّها فأجلُّها منها مُقيّم الألسن[5].

فالنحو هو مقيّم الألسن، وهو الحصن وخط الدفاع الأوّل عن اللغة العربية والقرآن الكريم ضدّ أي لحن أو تحريف أو فساد لغوي، وهو وسيلة المستعرِب في فصاحته، وسلاح اللغوي وعماد البلاغي، وأداة المشرّع والفقيه والمجتهد والمدخل إلى العلوم الإسلامية جميعها.

وبه تسلم ألسنة الكتّاب من عادية اللحن، وهو موئل الدين وذخيرة المسلمين، فكان تدوينه عملا مبرّرا، وسعيا في سبيل الدّين مشكورا.

---

[1]- سورة الكهف، الآية: 18.
[2]- سورة فاطر، الآية: 3.
[3]- سورة يوسف، الآية/ 16.
[4]- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، المج:1، ص 698-699.
[5]- ينظر الشيخ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المنار، سنة 1991، ص 3.

وهو في أساسه صناعة تيسّر كسب السليقة اللغوية والملكة اللسانية، ودعامة العلوم العربية والإسلامية، وقانونها الأعلى، ولأمر ما ذكروا أنّ الأئمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنّ النحو شرط أساسي في رتبة الاجتهاد التي تتوقّف عليه ولا تتمّ إلا به، ولا تُبْلَغ هذه الرتبة إلا بالمعرفة لهذه الصناعة التي تعدّ سبيلا لإدراك المعاني.

ولذلك فليس عجيبا أن يصفه الأعلام السابقون بأنّه: "ميزان العربية، والقانون الذي تحكم به في كلّ صورة من صورها، فعلم النحو أثر رائع من آثار العقل العربي، بما له من دقّة في الملاحظة، ومن نشاط في جمع ما تفرّق، وهو أثر عظيم يرغم الناظر فيه على تقديره، ويحقّ للعرب أن يفخروا به"[1].

4- نشأة النحو العربي:

يتّفق اللغويون العرب وغيرهم، القدامى منهم والمحدثون على أنّ نشأة النحو العربي كانت بسبب فشوّ اللحن في الألسنة الذي كان خطره واضحا على العربية وعلى القرآن الكريم؛ بل على تبليغ الأفكار سليمة، إذ سلامة المضمون من سلامة اللغة.

وهو رأي له ما يسنده من روايات التاريخ على ما في بعضها من تناقض واضطراب، غير أنّ اللحن وحده لا يفسّر نشأة النحو العربيّ، وبخاصّة صورته الأولى التي وصل بها إلينا، وكما تجلّت في كتاب سيبويه، وإنّما الأقرب إلى تفسيرها هو أنّه نشأ شأن العلوم الإسلامية لفهم القرآن[2].

وكانت بدايته بسيطة على يد لغويين؛ ثمّ نما وتطوّر، وكان من أشهرهم أبو الأسود الدؤلي (ت 68 هـ)، و جلّ الروايات تدور حول هذه الشخصية الفذّة والمتميّزة، وتنسب نشأته الأولى إليه

ثمّ أخذ هذا العلم طريقه إلى الازدهار والقوّة والاستكمال بخطى وئيدة أو سريعة بحسب الظروف، وعلى حسب ما يحيط به من صروف وشؤون.

وتكاد قصّة بنت أبي الأسود تكون المعلم المشهور في ذلك، فقد دخل عليها في وقدة الحرّ بالبصرة، فقالت له: يا أبتي ما أشدّ الحر (متعجّبة)، و قد رفعت أشدُّ، فظنّها تسأله وتستفهم منه:

---

[1]- عباس حسن، النحو الوافي، ج:1،ص: 3.
- ناجر: كل شاهر في صيم الحر.
[2]- ينظر د. عبد الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص: 10-11.

أيّ زمان الحرّ أشدّ؟ فقال لها: "شهر ناجر"، أو الرمضاء في الهاجرة يا بنية، فقالت: يا أبتي : إنّما أخبرتك، و لم أسألك[1].

فدخل بعد هذه القصة على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال: يا أمير المؤمنين، ذهبت لغة العرب، يوشك إذا تطاول عليها زمان أن تضمحلّ، وحكى له قصة ابنته، فبدأ الإمام علي وأبو الأسود في وضع علم النحو، حيث قال الإمام: هلم صحيفة، ثم أملى عليه: الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ثم رسم له رسوما[2].

وظهر علماء بعد ذلك منهم عيسى بن عمر(ت149هـ) الذي كان أوّل من بعج النحو ومدّ القياس، وشرح العلل، يقول الخليل (ت175هـ) عن شيخه عيسى:

بَطُلَ النَّحْو جميعا كُلّهُ غير ما أحدَثَ عيسى بنُ عمر

ذاك إكْمال وهذا جامِعٌ* وهما للنَّاس شمسٌ وقمر[3].

والخليل بن أحمد (ت 175 هـ) الذي أقام في خصّ من أخصاص البصرة، لا يقدر على فلس، وأصحابه يكتسبون بعلمه، ومن كتبه "العين" و"الجمل في النحو"[4].

وعبد الرحمن بن يونس بن حبيب الضبي (ت 182 هـ) الذي تفرّد بمذاهب وأقيسة، وروى عنه سيبويه مائتي رواية.

فهكذا تطوّر علم النحو إلى أن ظهر في كتاب سيبويه(ت180هـ) الذي يعدّ محصلة الجهود الجماعية لسابقيه، فأكمل تفاريعه واستكثر من أدلّته وشواهده، وصار بهذا الكتاب إماما لكلّ من كتب فيه من بعده[5]، وأفرغ فيه لاحقوه طاقاتهم لحفظه وفهمه وتحليله، فكان به " أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألّف كتابه الذي سمّاه (من جاؤوا بعده) قرآن النحو، وعقد أبواب بلفظه ولفظ الخليل"[6].

وكان أبو عثمان بكر بن محمد المازني (ت 249 هـ) يقول: " من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي "لأنّه لا يستطيع أن يؤلّف شبيهه أو يتجاوزه.

وقال فيه الزمخشري (ت 538 هـ):

---

[1]-ينظر أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص 89، وينظر د. سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ص 10.

[2]- ينظر ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص: 12، وينظر المعنى والنحو، ص:19.

*-الإكمال والجامع كتابان ينسبان لعيسى بن عمر، وحسب بعض الروايات لم يصلا إلينا.

[3]- عن د. مازن المبارك، النحو العربي، العلة النحوية، نشأتها وتطورها، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1981، ص: 15.

[4]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب الجمل في النحو، تحقيق، د.فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط: 1، طهران، سنة 1410 هـ.

[5]- ينظر ابن خلدون، المقدمة، ص: 470.

[6]- ينظر أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط:1، سنة 2002، ص: 73.

ألا صلّى الإله صلاة صِدْق على عمرو بن عثمان بن قنبر

فانَّ كتابه لم يغن عنه بنو قلم ولا أبناء منبر

وبنو القلم هم الكتاب المنشؤن المبدعون الذين لا يستغنون عن قراءته، أمّ أبناء المنابر فهم الخطباء الذين لا غنى لهم عن السلامة النحوية في ألسنتهم ولا يكون لهم ذلك الأمر إلا بكتاب كتاب سيبويه.

والغريب أنّ الكِتاب مع جلال قدره وعلوّ مكانته وشأنه، وإحكام بنائه وصرحه نلفيه خاليا من المقدّمة والخاتمة. وه الرؤية أو البناء الذي ارتضاه لذلك.

وعلى الرّغم من تعدّد العواصم العلمية والمراكز الثقافية في العالم الإسلامي عبر التاريخ إلى يومنا هذا، فإنّ الاتّجاهات النحوية لم تستطع أن تصنع أكثر من أن تدور حول مثل جهود سيبويه، ولا فرق في ذلك بين المدرسة البصرية أو الكوفية أو المصرية أو البغدادية أو الأندلسية[1].

فكانت كلّ الإضافات في دائرة منهجه، وتصوّره ومصطلحاته، ولكن المبدع الحقّ، والذي استوعب التراث الذي سبقه، وأضاف إليه نظرته الشهيرة في النظم هو عبد القاهر الجرجاني(471هـ)، فجعل النحو أداة تحليل وفي الوقت ذاته نحوا تعليميا ودلاليا أي مرتبطا بالمعنى.

وإن كان أثره في النحو قد تلاشى فيما بعد لِما تعرّض له الدرس اللغوي العربي من وهن وضعف بصفة عامة، فكانت النتيجة أن ضعفت الرؤية والأداة والمنهج.

ويبيّن لنا هذا المخطّط تتابع مؤسّسي علم النحو إلى القرن الثالث للهجرة، كما يستشفّ منه أنّ المدرسة البصرية بأعلامها كانت المورد الذي أخذ عنه العلماء[2] من المدرسة الكوفيه.

[1]- ينظر البدراوي زهران، مقدمة في علوم اللغة، ص: 35.
[2]- ينظر د.سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، ص:33.

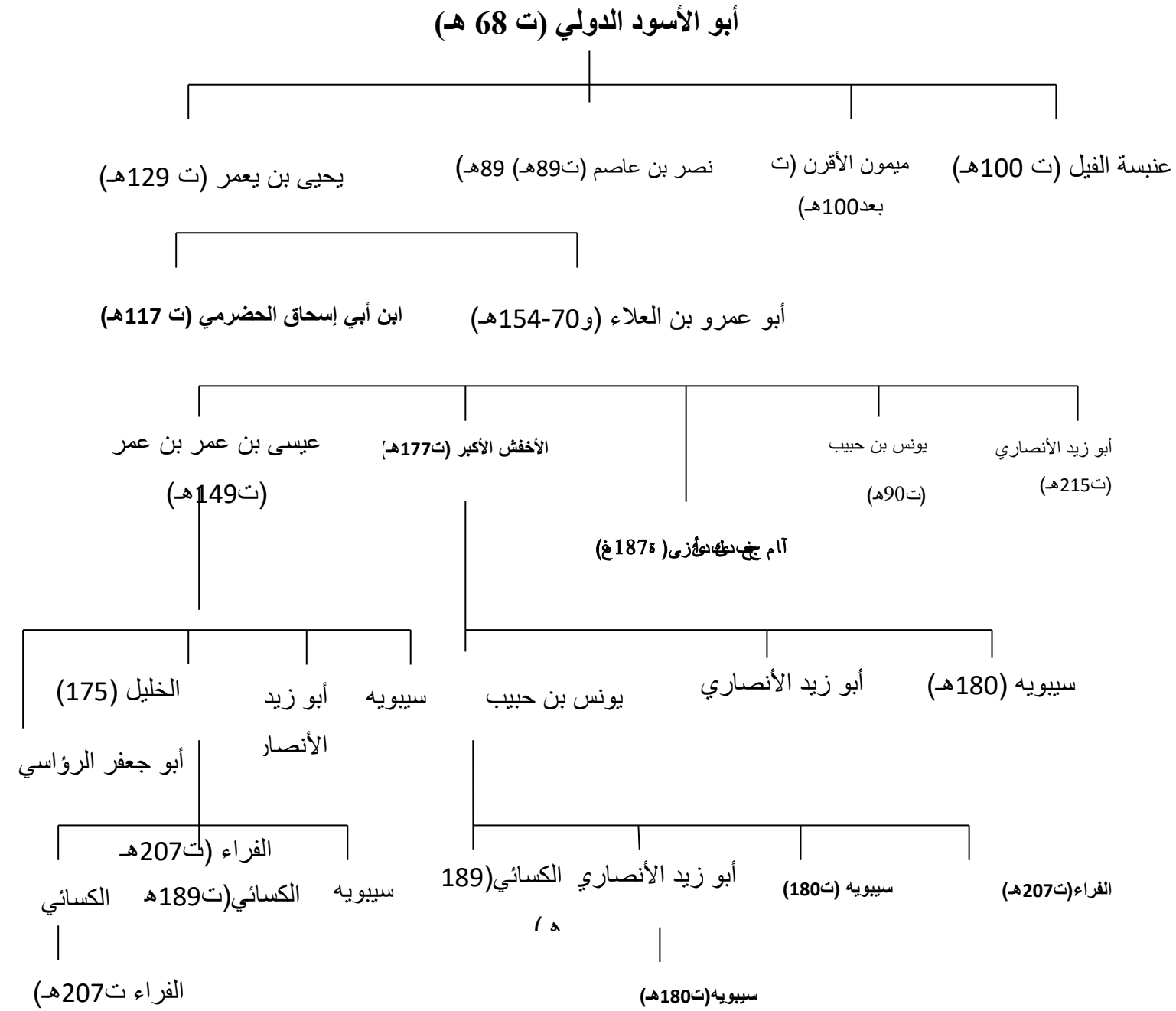
أبو الأسود الدولي (ت 68 هـ)
عنبسة الفيل (ت 100هـ)
ميمون الأقرن (ت بعد100هـ)
نصر بن عاصم (ت89هـ) 89هـ)
يحيى بن يعمر (ت 129هـ)
أبو عمرو بن العلاء (و70-154هـ)
ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ)
أبو زيد الأنصاري (ت215هـ)
يونس بن حبيب (ت90هـ)
الأخفش الأكبر (ت177هـ)
عيسى بن عمر بن عمر (ت149هـ)
سيبويه (180هـ)
أبو زيد الأنصاري
يونس بن حبيب
سيبويه
أبو زيد الأنصار
الخليل (175)
أبو جعفر الرؤاسي
الفراء (ت207هـ
الكسائي(ت189هـ
سيبويه
الكسائي
الفراء ت207هـ)
الفراء(ت207هـ)
سيبويه (ت180)
أبو زيد الأنصاري
الكسائي(189
سيبويه(ت180هـ)

5- النحو والتواصل:

يرتبط المعنى بالنحو، ويتجلّى هذا الارتباط فيما يطلق عليه النحاة "المعنى النحوي للكلمة"، فهو الذي يظهر يتجلّى موقعها في الجملة، ونوع علاقتها بغيرها من الكلمات المستعملة معها في التركيب[1].

وترجع صلة المعنى بالنحو إلى هدف اللغة الأول المتمثّل في توصيل معنى قائم في ذهن المتكلّم إلى المخاطَب مع وضوحه، فوُضع علم النحو بقواعده لتأمين هذه المهمّة والغرض النبيل، والحرص على أدائها على أفضل وجه ممكن[2] والمحافظ على الملكة اللسانية التي يكتسبها كلّ فرد ليعبّر عن أفكاره على أكما وجه بأحسن الأساليب وأرقاها..

وينبع الاهتمام بالمعنى من الإيمان بأنّ النحو ليس مجرد قاعدة تطبق؛ بل بحث في معاني التراكيب وأسرار حسنها وقوّتها، وإن كان النحو ينطلق من المباني للوصول إلى غايته من المعاني.

ولولا النحو لجهل أصل الإفادة، ولذلك كان علم النحو من أهمّ ما في اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، وليست كذلك اللغة.

وهكذا فتوصيل المعنى وتبليغه وتجويده والحفاظ عليه ممّا يشينه، كان من الأسباب الأساسية التي دفعت العرب وغيرهم من الأمم إلى التفكير جدّيا في وضع علم النحو؛ بل إنّنا لاحظنا مدير جامعة السوربون في إحدى تسجيلاته يفتخر بأنّ جامعته تدرس القواعد النحوية منذ تأسيسها وهي من التخصّصات المهمّة فيها لأنّنا نراها ترتبط بالهوية والوجود لمن يعرف قيمة ومكانة ذلك.

إنّ ظاهرة اللحن التي تلتفّ الروايات حولها لتعليل نشأة النحو ما هي إلا ترك الصواب في الكلام، والميل نحو الخطأ الصوتي الناجم عن حركة إعرابية التي تؤدّي بدورها إلى تغيير في المعنى أو لبسه، أو سوء ترتيبع، أو خطأ في التعليق، مما يؤدّي في النهاية إلى عدم التواصل أو يلحق المعنى الخلل والتشويش.

ولعلّ قصّة الأعرابي الشهيرة تؤكّد حين أخطأ في قراءة الآية الكريمة "إنّ الله بريء من المشركين ورسولُهُ"، وهذا بعطف كلمة الرسول على المشركين، يدلّ على أنّ هذا اللحن

---

[1]- ينظر عبد الله أحمد جاد الكريم، المعنى والنحو، ص:14.

[2]- ينظر، عبد الله أحمد جاد الكريم، المعنى والنحو، ص: 22.

ليس في الحركة الإعرابية فحسب؛ وإنّما قد أخلّ بالعملية التواصلية، ولم تنقل الفكرة ومضمون الآية التي مفادها أنّ بريء من المشركين ورسوله كذلك بريء منهم، وأيّ قراء أخرى تبلّغ مضمون الآية كما أنزلت.

ومفاد ذلك أنّ مدار التواصل هو تبليغ المعنى، والخطأ في الحركة الإعرابية أو التركيب النحوي يؤدّي إلى خطأ في توصيل الدلالة "لأنّ اللغة العربية كغيرها من اللغات البشرية، تتكوّن من مجموعة ألفاظ تدلّ على معان ينقلها المتكلّم إلى السامع أو المخاطب، وفيصل النجاح في عملية التواصل هو تمكن الألفاظ من نقل ما يقصد المتكلّم من معان إلى المخاطب"[1]، ولا يكون ذلك إلا بمراعاة القواعد النحوية وسنن ونظام اللغة.

خاتمة:

وفي الأخير، لقد اتّضحت ممّا سبق نشأة الدراسة اللغوية العربية وتطوّرها، ونعتقد أنّ مسؤولية الجيل الحاضر اتّجاه اللغة العربية وعلومها أكثر من ذي قبل، وهذا لتطوّر الوسائل الإعلامية وانتشارها ودخولها البيوت دون استئذان حاملة معها الغث والسمين من اللغة.

كما على الباحث أن يعقل أنّ الدرس اللغوي العربي قد خضع إلى العناصر الأساسية التي تكوّن أية مدرسة، وهي:

- المبادئ و أسس كل علم أو كل مستوى من مستويات اللغة.
- والأعلام المؤسسون لهذا العلم أو ذلك أو هذا المنهج أو ذاك.
- والمصطلحات التي تتميّز بها كل مدرسة أو دراسة.
- والمكان أو البلد الذي تنشأ أو تترعرع فيه المدرسة.

ثم المنهج الإجرائي الذي تعالج به أو تحلّل الظاهرة اللغوية أو الأداء التواصلي.

وبذلك يمكن أن ندرج أعمال العرب القدامى وأبحاثهم ضمن المدرسة اللسانية العربية.

[1]– د. عبد الله أحمد جاد الكريم، المعنى والنحو، ص: 9.

الفصل الخامس

مدرسة فرديـنان دي سوسير اللسانية

1- مراحل الدراسة اللغوية

2- العوامل المؤثّرة في دي سوسير

3 - حياة دي سوسير

4 - محاضرات دي سوسير ومنهج إعادة بنائها

5- تلاميذ دي سوسير

6- مبادئ دي سوسير

أ- اللغة واللسان والكلام

ب- الدال والمدلول

ج- الدراسة الآنية والدراسة التعاقبية

خاتمة.

تعتبر مرحلة القرن التاسع عشر الفترة الزمنية التي تميّزت بالإبداع والتنوّع عمّا تلاها في المراحل اللاحقة في الدراسات اللسانية؛ ممّا أدّى إلى ازدهار الدراسة اللغوية، ولذلك عدّها بعض اللسانيين مثل شومسكي قرن العبقرية[1].

وإذا كان القرن التاسع عشر قد مهّد لظهور اللسانيات كعلم مستقلّ وقائم بذاته، يتناول الظاهرة اللغوية تناولا علميا، فإنّه لا يمكننا إلغاء تراث الأمم السابقة لهذا القرن مثل الدراسات الهندية واليونانية والرومانية والعربية، ونعتبر اللسانيات ولدت على يدي دي سوسير مغيبين الآراء النيّرة والمبادئ الدقيقة التي توصّلت إليها الدراسات المتعاقبة التي سبقته.

ولكن ما يمكن تسجيله في هذا الصدد هو"أنّ عقليات لسانيي القرن التاسع عشر لم تعدلها حتى الآن عقليات لسانية في القرن العشرين، ألم كلّ من يكن سوسير أو أنطوان ماييه أو بودوان دي كورتناي، أو يسبرسن الخ.. إلا واحدا من الأبناء البررة للقرن التاسع عشر؟ هذا فضلا عن لغويين آخرين"[2].

1- مراحل الدراسة اللغوية

نستطيع القول إنّ اللسانيات مرّت بثلاثة أطوار قبل أن تصبح علما له أعلامه وموضوعاته ومجاله ومصطلحات ومنهجه.

الطور الأول: وهو الطور الذي اشتغل فيه العلماء على ما يطلق عليه بالنحو أو القواعد grammaire، وهو نوع من البحث الذي كانت قد شرعت فيها الأمم السابقة، مثل الهنود الذين وضعوا قواعد اللغة السنسكريتية في منظومة، واهتمّ اليونانيون أيضا بالنحو، وكذا العرب المسلمون.

وكانت الدراسة اللغوية في هذه المرحلة قائمة على المنطق، كما ورثتها الأمّة الغربية – وبخاصة عند الفرنسيين – وكانت غاية العلماء هو وضع القواعد للتمييز بين الصيغ الصحيحة في الكلام من غيرها، ومعنى ذلك إنّهم كرّسوا جهودهم لمعرفة الخطأ من الصواب

[1]- ينظر د.عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، مطبعة دار هومه، الجزائر، ص: أ.
[2]- د.عبد الجليل مرتاض، المرجع نفسه، ص:أ.

في الاستعمالات اللغوية؛ ممّا جعل كثيرا من الدراسات تخلو من النظرة العلمية التي تكون "غايتها الوحيدة دراسة اللغة في حدّ ذاتها ومن أجل ذاتها"[1].

- **الطور الثاني:** وفيه ظهرت الفيلولوجيا،[2] أو فقه اللغة التي وجدت بالإسكندرية؛ وعرفت بها مدرسة في هذا المجال، ولكن اقترن هذا المصطلح أو العلم خاصّة بتلك الحركة العلمية التي أنشأها فريدريك أوجيست ولف **Friderick August Wolf** ابتداء من سنة 1777 م، واستمرّ نموّها تحت رعايته[3].

وما يلاحظ هو أنّه بالإضافة إلى موضوع اللغة الذي درسته الفيلولوجيا، نجدها اهتمّت بتوثيق النصوص، وضبطها وتأويلها ونشرها والتعليق عليها؛ ممّا أدّى بأصحاب هذه البحوث إلى العناية بالتاريخ الأدب(**L'histoire littérraire**) والعادات(**Les mœurs**)، والمؤسّسات وغيرها.

وللفيولولوجيا منهجية نقدية خاصة، تتناول بها المسائل اللغوية، فهي تعالجها في إطار مقارنة النصوص من عهود متعاقبة، وتحدّد معجم كلّ كاتب ولغته وما تتميّز به، وتزيل الإبهام والعُجْمة عن المخطوطات والنصوص التي تعثر عليها مكتوبة بلغة قديمة، أو غامضة.

ولا ريب في أنّ هذه الدراسات قد مهّدت لميلاد علم اللغة التاريخي أو اللسانيات التاريخية، كما أنّ أصحاب هذا العلم تشبّثوا باللغة المكتوبة، ولم يعيروا أدنى اهتمام إلى اللغة المنطوقة، وبذلوا جهدا وفيرا في العناية بالعصور اليونانية واللاتينية القديمة[4].

- **الطور الثاني:** وظهرت بدايته عندما تمّت معرفة إمكانية مقارنة اللغات فيما بينها، فكان ذلك منطلقا للفيلولوجيا المقارنة أو النحو المقارن.

وتحدّد هذه المرحلة تطوّر الدراسة اللغوية في الغرب؛ وذلك باكتشاف اللغة السنسكريتية، ففي سنة 1786 أعلن السير وليام جونس (ت 1894) أنّ السنسكرتية واليونانية واللاتينية تنسب إلى لغة أو أسرة واحدة، وقد قال عن أهمّيتها للبحوث اللغوية الأوربية أمام الجمعية الأسوية في البنغال[5] ما يلي:

---

[1]- فريدينا ندي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص: 17.

[2]– الفيلولوجيا: من Philo : أي الحب و الصداقة، و logos : المنطق أو الكلام فهي بمعنى حبّ الكلام والبحث فيه.

[3]– ينظر دي سوسير، المرجع السابق، ص: 17–18.

[4]– ينظر د. البدراوي زهران، مقدمة في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، سنة 1987، ص 163–164.

[5]– البنغال: منطقة بوسط الهند، واللغة المتكلّمة فيها هي البنغالية.

"إنّ اللغة السنسكريتية مهما كان قدمها بنية رائعة، أكمل من الإغريقية وأغنى من اللاتينية، وهي تنمّ عن ثقافة أرقى من هاتين اللغتين، لكنّها مع ذلك تتّصل بهما صلة وثيقة من القرابة سواء من ناحية جذور الأفعال أو من ناحية الصيغ النحوية، حتّى لا يمكننا أن نعزو هذه القرابة إلى مجرّد الصدفة، ولا يسع أي لغوي بعد تفحّصه هذه اللغات الثلاث إلاّ أن يعترف بأنّها تتفرّع من أصل مشترك زال من الوجود"[1].

ولقد وجّه إعلان جُونس اهتمام اللغويين إلى الدراسة المقارنة، وإلى إنزال اللغة اللاتينية من مرتبتها العالية إلى التقسيم السلالي للغات[2]، أي هي متساوية أو متشابهة مع اللغات الأخرى وليست أفضل منها.

بل يمكن القول: "إنّه منذ اهتدى السير وليام جونس إلى اكتشاف هذه اللغة الهندية القديمة ذات الاشتراك في الأصل الآري، والدارسون المهتمّون يلهجون بهذه اللغة حتى أنّك لا تجد عالما لغويا واحدا من علماء القرن التاسع عشر لا يعرفها ولا يدرسها أو يقيم أطروحته فيها"[3].

وفي الحقبة التي ظهر فيها جونس أصدر الأب بارتلملي **Père de Barthelemly** - وكان مبشّرا بالهند – كتابا موسوما بـ (قواعد السنسكريتية)، وآخر بعنوان (في قدم اللغات الفارسية والسنسكريتية والجرمانية والتجانس فيها).

ثمّ صدرت في انجلترا مجموعة من الكتب تعالج السنسكريتية، ولكن باريس غدت مركز الدراسات المتّصلة بها، واستقطبت لذلك كثيرا من الباحثين من بلدان شتّى وخاصّة من ألمانيا وإنجلترا.

والجديد في هذا الموضوع حقّا هو استخدام اللغة السنسكريتية أساسا للمقارنة ضمن اللغات الهندية الأوربية، وهكذا صار هذا الاكتشاف مادّة لتطبيق أسلوب المقارنة[4] بين اللغات، فكان المنهج المقارن أداة مهمّة في فهم العلاقة بينها.

---

[1]– عن عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية عن تاريخ علم اللغة، لجورج مونان، ص: 162.

[2]– ينظر د.عبد الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص: 14.

[3]– د.عبد الجليل مرتاض، المرجع السابق، ص: 67.

[4]– ينظر د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 14.

ويذكر هنا أنّ الأب كاستون لوران كوردو **Père Caston Laurent Cordoux** كان قد سبق وليام جونس في كشف الصلة الموجودة بين تلك اللغات في عام 1767، ولكنّ عمله لم ينشر إلا بعد عشرين سنة[1].

وفي عام **1816** أصدر فرانز بوب[2] **Franz Bopp (1867-1791)** كتابه الصغير الذي حمل عنوانا جافّا أسماه "نظام التصريف في اللغة السنسكريتية" **Système de la conjugaison du sancrit** ، فدرس العلاقات التي تربطها بالجرمانية والإغريقية واللاتينية والفارسية، وقارن بينها ممّا حدّد ميلاد "فقه اللغة المقارن"، **Philologie comparée** ثم أصدر سنة **1833** كتابا عن النحو المقارن للسنسكريتية والسندية والأرمينية واليونانية واللاتينية واللتوانية والسلافية القديمة والقوطية والألمانية[3].

وعلى الرغم من وجود أقوال منعزلة قبل بوب تثبت العلاقات والوشائج بين اللغات، وتراها تنتمي إلى أسرة واحدة، وتنحدر من أصل واحد، إلا أنّها لا تعدّ برهانا كافيا؛ على أنّ الدارسين أدركوا بوجه مدلول هذه الحقيقة وأهمّيتها عام حوالي **1816** [4] .

غير أنّ فضل بوب **(Bopp)** يتجلّى في أنّ إدراكه للعلاقات المتقاربة بين اللغات يمكن أن يكون مادّة علم قائم بذاته، إذ تسليط الأضواء على لغة بالاعتماد على أخرى، وتفسير صيغ هذه بتلك، أمر لم يسبقه إليه أحد[4].

فهذا الإدراك هو الذي جعله بحقّ مؤسّس القواعد المقارنة التي كان من أهدافها إثبات المقارنة بين اللغات دون تتبّع تاريخها خطوة خطوة؛ بل الاعتماد على طريق الموازنة، التي تنتهي من عملها إذا أثبتت أن التشابه بين أشكال لغتين لا يمكن أن يكون من قبيل المصادفة؛ وإنّما بسبب علاقات مهيّنة وجدت بين اللغتين أو أكثر.

ومن هنا تكون اللغتان قريبتين من الناحية التوليدية:

- إذا كانت إحداهما منحدرة من الأخرى.

-وإذا كانتا تنحدران معا من أصل مشترك[5].

---

[1]– ينظر د.عبده الراجحي، المرجع السابق، ص :14.

- باحث لغوي ألماني، ولد في مدينة ماينيش على نهر الراين، بدأ في تعلّم اللغة السنسكريتية عام 1812 في باريس من أجل دراسة مخطوطات لغوية، ثمّ انتقل إلى لندن عام 1820 للغرض ذاته، وأصبح أستاذا للآداب الشرقية ونظرية اللغة العامّة في جامعة حتّى 1864. وآخر كتبه الذي نشره عام 1854 يحمل عنوان: نظام النبر المقارن.([2] ar.rasekhoom.netبرلين).

[3]- ينظر د.عبده الراجحي، المرجع السابق، ص: 18.

[4]- ينظر، فردينا ن دي سوسير، المرجع السابق، ص: 18

[5]- ينظر د.أحمد محمد قدور، المرجع السابق، ص: 15.

وكان لفرانس بوب وجاكوب جريم*(ولد 04 جانفي 1735وتوفي في 20سبتمبر 1863 ببرلين) تأثير على من عاصرهما، وتبعهما من دارسي اللغة، واستمرّت المدرسة الألمانية تطوّر النحو المقارن، والنحو التاريخي، وتؤسّس دراسة تاريخ الكلمة، وشهدت هذه الفترة ظهور عدد من الألسنيين الأعلام إلى جانب بوب، يمكن أن نذكر بعضا ممّن ينتمي إلى مدرسته؛ فكان منهم:

أ- أوجست فريدريك بوت*: **August friderick pott** (1802- 1887) الذي قام ببحوث إيتيمولوجية، وفّرت للألسنين مادة ضخمة تناولوها بالدراسة والتحليل.

ب- وكولن **Kulun** وقد تعلّقت أعماله بالألسنية والميثولوجيا المقارنة في آن واحد، وبنفاي **Benfey** وأوفرشت Aufrecht وهما المختصّان في الدراسات الهندية الأوربية.[1]

ج- ماكس مولر **Max Muller** الذي قدّم أحاديث باهرة في المقارنة، عنونها "دروس في الكلام البشري" في سنة 1861، وقد أفرط في النزاهة العلمية بحيث لا يمكن لأحد أن ينتقدها أو يعيبها[2].

د- كوتيوس وهو عالم في الفيلولوجيا: اشتهر خاصّة بكتابه "مبادئ في الإيتيمولوجيا اليونانية **(1879)**، وكان من الأوائل الذين وفّقوا بين النحو المقارن والفيلولوجيا الكلاسيكية، وكان أصحابه قد تابعوا في حذر واحتراز ما حقّقه النحو المقارن حتىّ أصبح الحذر متبادلا بين الطرفين[3].

هـ - فريدريك فون شليجل **Friderick Von Shlegel** : كاتب وناقد وفقيه لغوي ألماني **(1772-1829)**، ويعدّ أول من دعا إلى النحو المقارن في كتابه الذي أصدره سنة **1808**م بعنوان "عن اللغة والمعرفة عند الهنود".

-جاكوب جريم:علم لسانيا وفيلولوجي ألماني، وجامع أساطير اللغة الألمانية، وله أخ اسمه ولهام جريم ولد في 24 فبراير 1786 -وتوفي في 16 ديسمبر 1859.وجاكوب معروف أكثر من أخيه، وأخرج الحكايات في كتاب حكايات الأطفال ومن بينها الأقزام السبعة وساندريلا، وترجمت إلى أكثر من 140 لغة، وتمّ إنشاء متحف الأخوين جريم في مدينة www.elcinema.com).

*كاسل.(

- عالم فيلولوجيا ألماني، نال شهادة الامتياز في العلوم والفنون سنة 1845، بعد راسته اللاهوت اتّجه نحو اللسانيات ونال شهادة *الدكتوراه في 1827، وكان تلميذا لبوب ببرلين، عيّن اللسانيات العامّة بجامعة هاله.(www.britannica.com).

[1]- ينظر، دي سوسير، المرجع السابق، ص: 20.

[2]- ينظر د. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص: 15.

[3]- ينظر دي سوسير، المرجع السابق، ص 20.

وهو الذي طوّر نظرية المقارنة التي كان قد أشار إليها وليام جونس[1]، وله كتاب حول "لغة الهنود وحكمتهم" (**Sur la langue et la sagesse des indiens**).

كما أنّه من أشهر من طبّق الأسلوب المقارن في الدراسة اللغوية، وأسهم في تصنيف اللغات، ونبّه إلى علاقات التشابه الكثيرة التي تربط اللغات الأوربية والهندية الآرية بعضها ببعض[2].

و- أوجست شليشر AUGUST SCHLEICHER (1821- 1868)، لساني ألماني، مؤلّف بحوث اللغات الأوربية **Grammaire comparée des langues indo-germaniques (1861)** أوضح فيه منهجية المقارنة، وحاول إعادة بناء اللغة الهندو-أوربية[3]، والكتاب ضرْب من إعادة تنظيم ذلك العلم الذي أسّسه بوب **(Bopp)**، وقد تأثّر به وبولهام فون هامبولدت وجاكوب جريم، وكذا بفلسفة هيغل ثمّ بنظرية داروين.

وقد قدّم به خدمات جليلة للبحث اللغوي على مدى أحقاب طويلة من الزمن، يوحي أكثر من غيره بملامح تلك المدرسة المقارنة التي تمثّل أوّل طور من أطوار الألسنية الهندية الأوربية[3].

ويعدّ شليشر خاتمة لتتويج مرحلة المقارنة، ولم يبدأ عمله في حقل اللغة؛ بل في حقل الطبيعة، ولكنّه ما لبث أن تحوّل إلى الاشتغال باللغة مستثمرا علومه الطبيعية في آرائه اللغوية، كما تأثّر بما كتبه داروين، ونشره متبنّيا كل ما جاء في كتاب أصل الأنواع الحية **(1859)**، كما تأثّر بهيغل – أيضا-[4].

ز- جاكوب جريم JACOB GRIMM: كاتب ألماني (1735-1863) ويعتبر مؤسّس الفيلولوجية الألمانية، والأسلوب التاريخي، أصدر سنة **1819** الجزء الأول من كتابه " عن النحو الأماني" **Deutsch Grammatick**، وقد عدّله سنة **1822** مضيفا إليه تغيّر الأصوات بين اللغات التي قارن بينها، فيما عرف بعد ذلك بقانون جريم و"المتعلق بالإبدال المباشر في السواكن الجرمانية"[5].

---

[1]- ينظر د. عبده الراجحي، المرجع السابق، ص: 14.

[2]- ينظر د.أحمد محمد قدور، المرجع السابق، ص: 14.

[3]– Le Petit Robert, T :2, P :1632 .

[4]– ينظر دي سوسير، المرجع السابق، ص: 20

[5]– فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1950، ص: 71

وله كتاب بعنوان (تاريخ اللغة الألمانية) **Histoire de la langue allemande (1848)**، وله معجم اللغة الألمانية (**1852-1858**) نشره على فترات، اهتمّ فيه بالحكايات الشعبية الألمانية[1].

وتأتي أهمّية جريم في أنّه وسّع دائرة البحث في اللغة، فقرّر أنّ النصوص الأدبية المكتوبة لا تشكّل إلا جزء صغيرا من اللغة، ومن ثمّ انطلق إلى دراسة اللهجات والآداب الشعبية بهدف فهم الحياة الثقافية للأمّة[2].

ك- راموس راسك RASMUS RASK : هو لساني دانمركي، ولد بكوبنهاجن (1787-1832)، نشر في **1811** أوّل نحو علمي بالإسلندية، أتبعه بمذكّرة كتبها في **1814**، وظهرت في **1818**، وهي تبرهن على القرابة بين هذه اللغة والسلافية والبالطية **(Balte)** والإغريقية واللاتينية **(Recherches sur l'origine de l'ancienne langue nordine ou islandaise)**.

ومعنى ذلك أنّه حاول أن يصل إلى الأوصال الأولى للغة السنسكريتية القديمة عن طريق المقارنة بين هذه اللغات، ويرى يسبرسن(1860-1943) أنّ الكتاب يشكّل الخطوة الأولى نحو الدراسة العلمية للغة، وإن كان قد صدر بعد كتاب بوب بسنتين[3].

وعلى الرغم من عدم اهتمامه بالاستشراق إلاّ أنّه قام بسفر طويل إلى المشرق دام من **1816** إلى **1823**، فحمل معه عددا ضخما من المصادر والمخطوطات، ونشر بعد عودته أنحاء الاسبانية والإيطالية. ويعتبر راسك مؤسّس الفيلولوجيا الشمالية، كما يقول يلمسلف عن كتابه الذي لم ينهه حول هذه اللغات، ممّا يجعله رائد اللسانيات العامة الحديثة، كما أنّ انتماءه إلى القرن الثامن عشر وما قدّمه من دراسات يجعله يتجاوز حدود المقارنة التاريخية التي أسهم في تأسيسها[4] فرانز بوب.

ويرى بعض مؤرّخي اللغة أنّ راسك لا يمكن أن ينسب إليه تأسيس القواعد المقارنة؛ وذلك لأنّه لم يطّلع على السنسكريتية مباشرة، وإنّما ما كُتب عنها باللغة الدانمركية فقط، كما أنّ حياته لم تتح له بذل جميع جهوده، مع أنّه كان أقرب من بوب إلى الطريقة العلمية وأدقّ منه[5].

---

[1]– Le Petit Robert, T :2, P :769.–

[2]– ينظر د. عبده الراجحي، المرجع السابق، ص: 15.

[3]– ينظر د.عبده الراجحي، المرجع السابق، ص: 15.

[4]– Le Petit Robert, T :2, P :1496.

[5]– ينظر د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص:14-15.

وفي الأخير نقول لقد مهّدت أعمال بوب وجريم وراسك الطريق لتطوير الدرس اللغوي، إذ بها بدأ التمييز بين فقه اللغة وعلم اللغة، وإذا كان بوب عالما في فقه السنسكريتية، وجريم عالما في فقه الجرمانية، وراسك عالما في فقه الإسلندية، فإنّهم كانوا يشعرون شعورا واضحا بالميل نحو تحرير علم اللغة من النظرة القديمة المتوارثة في تحليل اللغة، فبدأوا ينادون بأنّ اللغة موضوع طبيعي[1].

2- العوامل المؤثرة في فردينان دي سوسير:

لقد أثّرت مجموعة من العلماء في دي سوسير، استلهم منها آراءه اللسانية قبل أن يصبح أبا روحيا للسانيات، ورائدا من روادها بلا منازع، فلا يذكر هذا العلم إلا مقرونا باسمه، ففتح به الدرس اللغوي فتحا جديدا، انعكست آثاره على كلّ المدارس اللسانية التي أتت بعده، وتبنّى كثير من العلماء في اختصاصات متعدّدة ومختلفة طروحاته ومبادئه، ومصطلحاته.

والعلماء الذين تأثّر بهم دي سوسير بصورة خاصّة هم:

أ- بوداون دي كورتناي Jean Ignacy Baudouin de Courtenay :

ولد في **1845** بالقرب من فارسوفيا ببلونيا، أين بدأ دراسته التي تابعها ببراغ واينيا وبرلين، درس في الجامعات سانت بترسورغ **Saint Petersburg** في **1868**، ثمّ في كازان **Kazan** من **1875** إلى **1883**، وفي **Dorpart** التي تسمّى اليوم **Iourev** من **1890**إلى **1893**، وفي كراكوفيا بالنمسا من **1893** إلى **1899**، ثم في بترسورغ من **1900** إلى **1920**، إلى أن رجع إلى "فارسوفيا" التي أصبحت عاصمة لبولونيا المستقلّة في **1920** فتوفّي بها سنة **1929**.

ومن خصاله وصفاته أنّه يعدّ من الوطنيين المتحرّرين، وله أفكار تقدمية، وشجاع، وعرف السجن، ودخله بسبب أفكاره في 1914[2].

ويعتبر كورتناي من العلماء الذين وضعوا أسس الدراسات اللسانية، وإن لم يؤثّر مباشرة في نشأة اللسانيات البنيوية، وذلك لأنّه لم يضع نظرية كاملة ومتماسكة كتلك التي نلفيها عند دي سوسير.

---

[1]– ينظر د. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص: 18.

[2] –Voir, G.Mounin, La linguistique du 20° siècle, p : 27.

كما أنّ أفكاره وآراءه متناثرة ومبعثرة في أكثر من 640 مقالا لغويا، في مجلات مختلفة نشرت من **1865** إلى **1929**، وكتبت باللغات بالبولونية والألمانية والروسية، ونشرت تكريما له قائمة أعماله في **1960** في كُتَيّب من الأكاديمية الروسية للعلوم بمناسبة مرور ثلاثين سنة على وفاته[1].

وهو مختصّ في علم وظائف الأصوات، ويشير تروبسكوي إلى أنّه كان أقلّ تركيز من دي سوسير على مفهوم النظام، الأمر الذي دفع هذا الأخير إلى تحديد الوحدات اللسانية وتصوّر اللغة نظاما من الخلافيات، كما كان الأمر عند المناطقة والفلاسفة الأمريكيين[2]، ولكن بالمقابل كان تفريقه أوضح من سيّد أو معلّم جنيف بين الأصوات والفونيمات.

وممّا يدلّ على معرفة دي سوسير بكورتناي أنّه بفضل **BENVENISTE** و **SLUSASERVA** و**MAURODE** نعرف أنّ سوسير كان حاضرا في دورة المجتمع اللساني بباريس يوم **1881/12/03**، عندما انتخب بها بودوان عضوا، فاستمع كلّ واحد منهما إلى مداخلات الآخر في **1881/12/03** و **1882/01/07**[3].

ولدينا كذلك رسالة من دي سوسير إلى بودوان في يوم **1889/10/16** التي تذكّر باللقّاء الذي حصل بينهما في **1881** و **1882**، كما أنّ آراء بودوان عرفت عن طريق كتابات تلميذه **KRUSZEWSKI** في تاريخ **1881** وقد أبدى دي سوسير رأيه فيها.

ومعلوم أنّ بودوان وكرزفسكي كانا قريبين أكثر من غيرهما من دي سوسير، ولكنّهما ظلا مجهولين من جيل علماء الغرب[4].

وما يلاحظ هو أنّ بودوان اهتمّ قبل **1889** بعلاقات اللغة بالعوامل النفسية والاجتماعية، فهو يرى أنّ اللغة حدث نفسي، بمعنى إنّ تطوّرها مشروط بالعوامل النفسية، وفي رأيه لا توجد لغة روسية مثلا وإنما هناك كلام فردي أو بمعنى آخر تفكير لساني فردي.

ويبدو أنّه كان مع **DOROSZEWSKI** الحقّ حين رأى أنّ مفهوم اللغة بالمفهوم السوسري كان غريبا عن بودوان، ولهذا من الصعب القول إنّ دي سوسير تأثّر به في هذا المجال[1].

---

[1]– ينظر د.ميشال زكريا، الألسنية(علم اللغة الحديث)،مبادئ وأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: 2، 1983، بيروت،ص: 274.

[2]– ينظر د.محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، ص: 182.

[3] – Voir G.Mounin, la linguistique du 20° siècle, p : 30.

[4] – Voir, G.Mounin, Ibid, P : 30.

ب- وايتني WILLIAM DWIGhT WHITENEY (1827-1894): عالم لسانيات في السنسكريتية ، والفيلولوجيا والمعجمية، ومستشرق أمريكي، من عائلة أنجبت كثيرا من الجامعيين، اهتمّ في بداية حياته بالعلوم الطبيعية، ثمّ تخلى عن علوم الأرض ليهتمّ بالفيولولوجيا التي درسها بيال **(YALE)** في **1847**، وبرلين بألمانيا ثمّ توبنجن **TUBENGEN** بين **1850** و **1853**؛ أين حضر إلى دروس فرانس بوب المؤسّس الحقيقي للنحو المقارن بين اللغات الهندو-أوربية، ثمّ أصبح أستاذا للسنسكريتية في يال في **1854**، نشر في **1852 ATHAWA VEDA** وأصدر نحو السنسكريتية في **1879**.

تجاوزت اهتماماته النحو المقارن إلى ما يعرف بعلم الإحاثة اللسانية[2] **La Paléontologie Linguistique**.

ولقد أثّر تأثيرا كبيرا في دي سوسير بتحليله للعلامة ووظائفها اللسانية، ومعرفته للملامح المميّزة للغات الطبيعية من أنظمة التواصل الأخرى، وأعلن عن اختصاص ومجال اللسانيات البنيوية والوظيفية للقرن العشرين[3].

عرف بمؤلَّفين هامّين هما: **Language and the study of language** "اللغة ودراسة اللغة" الذي طبع في لندن في **1867** ونيويورك في **1868**، وكتابه **The life and growth of language** ""حياة ونمو اللغة" الذي نشر في **1875**[4].

ولقد أبرز في كتابه "اللغة ودراسة اللغة" مفهوم القانون اللغوي والنظام اللغوي، والبنية اللغوية، وهي المفاهيم التي يقوم عليها علم اللغة الوصفي، الأمر الذي كان دافعا لسوسير للتفكير في وضع ما أطلق عليه اللسانيات السانكرونية أو الآنية، ممّا جعله أيضا يرفض نظرية هذا العالم ليعوّضها باللسانيات الاجتماعية، ويعتبر اللغة مؤسسة اجتماعية[5].

ج- شارل سندرس بيرس CHARLES SANDERS PEIRCE :

---

[1] – Voir, G.Mounin, Ibid, P : 30.

[2]– Voir, G.Mounin, Ibid, P : 15

والإحاثة اللسانية (Paléontologie linguistique) هو علم يبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة كما تمثلها المستحثات الحيوانية والنباتية.

[3] –Le Petit Robert, T :2, P :1913.

[4] – André Jacob ; Genèse de la pensée linguistique, librairie Armand Colin, Paris ; 1973, P : 153.

[5]– ينظر د.محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، ص: 182.

فيلسوف ومنطقي وسيميوطيقي أمريكي (**1839-1914**)، أسهم في تطوير منطق الرياضيات للعلاقات، ونشر مقالا أرسى به دعائم الذرائعية وحمل عنوان: (كيف تصبح أفكارنا واضحة) **(comment rendre nos idées claires)** في **1878**، كما تحدّث عن الدليل اللغوي[1]، وأسس الدراسة العامة للعلاقات أو السيموطيقا، فكان دافعا لسوسير لبناء ما يطلق عليه اليوم السيمائيات[2].

وهو القائل: "أنا على ما أعلم، الرائد أو بالأحرى فاتح الغاب، في توضيح وكشف ما أسمّيه بعلم السيماء، أعني مذهب الطبيعة الجوهرية والتنوّعات الأساسية للدلالة الممكنة"[3].

وقال أيضا: "أعتقد أنّني بيّنت أنّ المنطق بمفهومه العام، هو اسم آخر لعلم الإشارة **(Semiotique)** المبدأ شبه الضروري أو الشكلي للعلامات، وأعني عندما أصف هذا المبدأ شبه الضروري أو الشكلي، إنّنا نلاحظ خواص مثل هذه العلامات كما نعرفها، وعن طريق هذه الملاحظة وبعملية لا أعارض بتسميتها بالتجريد، ننقاد إلى أقوال عرضة للخطأ بالتأكيد، وهي بهذا غير ضرورية أبدا، بخصوص ما يجب أن تكون عليه خواصّ كلّ العلامات التي يستخدمها الفكر العلمي أي الفكر القادر على التعلّم بالتجربة"[4].

وبذلك عدّ مؤسّس علم السيماء الحديث، وأوّل باحث تناوله منهجيا، فتسنّى له ضبط المفهوم العام للعلامة، ووضع أغنى قائمة لأصناف العلامات[5]، مع العلم أنّ المراجع تذكر أنّ كلاّ من دي سوسير وبيرس لم يلتقيا، والظاهر أنّ دي سوسير يكون قد اطّلع على أعماله.

د- دوركايم إميل EMILE DURKHEIM:عالم اجتماع فرنسي **(1858-1917)** أستاذ البيداغوجيا والعلوم الاجتماعية، ببوردو **Bordeaux** في **1887**، وبعد ذلك في السوربون **1902**، فأصبح هذا المنصب كرسيا لمادّة علم الاجتماع في **1913**، مخصوصا به؛ أيّ أسّس كرسيا لعلم الاجتماع.

---

[1]–Le Petit Robert, T :2, P :1986

[2]– ينظر د. محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 182.

[3]– عن د. عادل فاخوري، السيماء عند بيرس، مجلة دراسات عربية العدد 6، أبريل 1986، بيروت، ص: 115.

[4]– عن ترنس هوكز، البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة: مجيد الماشطة، مراجعة د. ناصر حلاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق، ص: 113.

[5] –Le Petit Robert, T :2, P :560.

وهو مؤسّس مجلة " السنة السوسيولوجية" 1896 فأراد تحديد مادة علم الاجتماع ومنهجيته بدراسة المجتمعات والقوانين التي تحكمها وتسيّرها، والأخلاق والعادات، ومن كتبه:

- تقسيم العمل الاجتماعي **La division du travail social 1893.**
- تقسيم المنهج الاجتماعي **Règles de la méthode sociologique 1895.**
- الانتحار **Suicide 1897**[1].

ولقد كان لدوركايم التأثير البالغ في فكر دي سوسير، الذي في ضوء آراء البحث في الظواهر الاجتماعية قدّم نظريته في بحث الظواهر اللغوية، ذلك أنّ اعتبار اللغة شيئ، ليس مثل الوقائع الاجتماعية، هو الذي يسّر السبيل إلى تطبيق قوانين العلم في دراستها[1].

3- حياة دي سوسير:

ولد دي سوسير في جنيف عام 1857، من عائلة عريقة، أعطت العديد من العلماء، وهو من أصل فرنسي، وبعد دراسته في جنيف انتقل إلى ليبزغ ليبدأ دراسته الجامعية وهو في الثامنة عشرة من عمره.

تتلمذ على الفيلولوجي الألماني **G.CURTIUS** وكان من زملائه حينذاك قطبي "حركة النحويين الشبان" لسكين* (1840-1916)LESKIEN وبروجمان(1849-1919)* **BRUGMANN**[2].

حصل على درجة الدكتوراه سنة **1880** بعد أن تقدّم بأطروحة تناولت اللغة السنسكريتية، وهو بحث كتبه لمّا بلغ من العمر واحد وعشرين سنة (21)، ووصف كالآتي:"أجمل كتاب في اللسانيات التاريخية الذي لم يؤلف شبيهه".

[3]" **Le plus beau livre de linguistique historique qui n'est jamais écris** "

---

[1]– ينظر د. عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث، ص: 26.

*-أوجست لوسيان،عالم لسانيات ألماني، ومتخصّص في اللغات السلافية واللتوانية، كان أستاذا بليبزيخ.

*-كارل بروجمان،عالم لسانيات ألماني ومتخصّص في اللغات الهندو-أوروبية.

[2]– ينظر د. عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث، ص: 25

[3]–De Saussure, Cours De Linguistique Générale, Payothéque, Paris, 1979, P :II.

ونشر في سنة 1879 عملا بعنوان:"رسالة في التنظيم البدائي للمصوّتات في اللغات الهندية الأوربية"، وبعد حصوله على الدكتوراه اختار العاصمة الفرنسية مستقرّا له، وكان يحضر الدروس التي كانت تلقى في مدرسة الدراسات العليا من لدن كثير من العلماء آنذاك أمثال بريال* (1832-1915) **(BREAL)** ودارمستتر (1846-1888) ***(Darmesteter)**، ليعمّق معارفه حول اللغات الهندية الأوربية، الإيرانية واللاتينية.

ولكن سرعان ما يطلب منه في سنة **1881** التدريس في معهد الدروس العليا، لينال منصب أستاذ محاضر للقوطية والألمانية القديمة في مكان ميشال بريل، وهو لا يزال في الرابعة والعشرين من عمره، وهكذا سوف يميّز سوسير المدرسة اللسانية الفرنسية بدروسه القيمة حول النحو المقارن للغات الهندية-الأوربية، وسيتكوّن على يده جيل من اللسانيين الأوربيين العباقرة ذوي السمعة والصيت العالميين.

ودام تعليمه في المعهد عشر سنوات، نشر خلالها عدّة مقالات في مجلة: **Mémoires de la société des linguistes** التي أصبح أمينا مساعدا فيها سنة **1882**[1].

ولأسباب لم توضّح، غادر سوسير باريس ليعود إلى مسقط رأسه، ليحصل عندئذ على منصب أستاذ كرسي للغة السنسكريتية خاصة؛ واللغات الهندية - الأوربية عامة، وظلّ يقوم بتلك الوظيفة من **1901** إلى **1906** على أكمل وجه، ولم يتخل عنها إلاّ حينما كلّفه معهد الآداب والعلوم الإنسانية تدريس مادّة اللسانيات العامة مع تاريخ ومقارنة اللغات الهندية- الأوربية عوّض رتمير **(RITMER)** الذي أحيل على المعاش أو التقاعد[2].

عاد إلى جنيف سنة **1891** حيث مارس التعليم في جامعتها؛ فدرّس مادّة الدراسات اللغوية المقارنة، وفي هذا الإطار بالذات أعطى سوسير ثلاث محاضرات قيّمة في اللسانيات العامة، الأولى **1906-1907** والثانية بين سنتين **1908-1909** والثالثة بين سنتين 1910-**1911**[3].

*-ألّف كتابا مهمّا أسّس به علم الدلالة بعنوان: مقال في علم الدلالة- علم المعاني.

*- ألف كتابا مهمّا بعنوان: حياة الكلمات.

[1]- ينظر د.دراقي زوبير، محاضرات في اللسانيات التاريخية، ص: 59.

[2]- ينظر د.دراقي زوبير، المرجع نفسه، ص: 59.

[3]- ينظر د.ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادئ وأعلام، ص: 224.

وهي محاضرات ألقيت جميعها شفوية على الطلبة، ولم يرض سوسير كتابتها البتة، وهي التي كوّنت كتابه: "دروس في الألسنية العامة" الذي قام بجمع مواده بعد وفاته تلميذاه الألسنيان ألبير سيشهاي وشارل بالي[1]، ولم يكن يضع لها التاريخ.

ومن الإنصاف القول، إنّ آراء سوسير اللسانية كثيرا ما التقت بتلك التي كانت موجودة في العالم الغربي، ومنذ العهد اليوناني، ولكنه أضفى عليها طابع الوضوح، وأخرج أكثرها في شكل ثنائيات، كما وصف اللغة في نظام منسّق لا تقلّ دقّته عن دقّة أسلوبه المركزي الذي يعود أساسا إلى خاصية تعليمه الشفوي[2].

وبعد وفاته في **1913**، كتب أحد تلاميذه بأنّه عاش منعزلا **Vécu en solitaire**، وتبرّر صورة الوحدانية بالعزلة المتنامية، والمتطوّرة بالصمت عن العلم المتواصل، ببعض الملامح لحياته الخاصة، وتظهر هذه العزلة في الحزن الذي كان يخيّم على لقاءاته الأخيرة مع تلاميذه، وبعض الرسائل التي كتبها، ولكن من غير المفيد العناية بتلك العزلة.

فصحيح كان أصدقاؤه قليلين، ولكن كيف نتحدّث عن عزلته، وأفكاره ومبادئه التي ظلّت تسير وتتحرّك في ثقافة النصف الثاني من القرن العشرين، وفي اللسانيات وعلم النفس اللغوي، وفي الصوتيات ولدى البراغيين وغيرهم.

ويكفي المصطلحات اللسانية التي وردت في كتابه لأوّل مرّة نجدها مستخدمة في مدارس لسانية متعدّدة مثل: **(Diachronie, Code, Langue, Parole, Chaine, Sème, Synchronie**

(Economie linguistique, Phonologie, Conscience linguistique, Structure, Système[3]

ولا شكّ في أنّ التقدير الذي نوجّهه إلى أصالة وقوّة تفكير دي سوسير يتجلّى في أنّ اللسانيين بذلوا ويبذلون قصارى جهدهم في مناقشة أفكاره:

- إمّا لتبنّيها كاملة.
- وإما لإدخال تعديلات عليها، وتطويرها لتبقى آنية، أو رفضها بعد الانطلاق منها.

---

[1]– ينظر د.دراقي زوبير، المرجع السابق، ص: 59، ود. ميشال زكريا، المرجع نفسه، ص: 244.

[2]– ينظر د.دراقي زوبير، المرجع نفسه، ص: 62.

[3] –C.L.G.p : 4.

وفي كلا الأمرين يبقى دي سوسير الملهم المباشر وغير المباشر لجلّ الدارسين، وتظلّ أفكاره موردهم ومرجعهم الأساسي، وقلّما نجد رجلا مثله تعدّى عطاؤه الحدود والاختصاصات، فملأ بفكره الدنيا وشغل الناس، وكان له في كل أمر شأن وبأس[1].

4- محاضرات دي سوسير ومنهج إعادة بنائها:

تعدّ محاضرات دي سوسير جمعا وخلاصة كاملة لفلسفته، وعلى الرّغم من أنّ القسم الأكبر من أعماله لم يصلنا ولا نعرف عنه إلا أشياء عامّة، وما وصلنا هو ما استطاع تلامذته نقله وتسجيله على شكل نقاط أثناء إلقائه لمحاضراته حول علم اللغة العام، والتي كانت في ثلاث حلقات ألقاها بين **1906** و**1911**.

إنّ الذين حضروا وتابعوا التعليم الخصب والثريّ والمحاضرات التي قدّمها سوسير تأسّفوا لعدم إصداره كتاب خاصّ بها، فكان ذلك حافزا للطالبين شارل بالي**(1865-1946)** وألبير سيشهاي **(1870-1947)** ليبحثا عن الكراريس عند دي سوسير أو عند من تتلمذ عليه؛ لعلّهم يعثرون على الصورة الحقيقية لمحاضراته.

ولكنّهما لم يجدا ضالّتهما، لأنّه كان يمزّق مسودّاتها، ويغيّر من تصوّره لها ومن خطّته، كما كان من أولئك الذي يتجدّدون باستمرار، وفكره متشعّب في كلّ الاتّجاهات دون أن يتناقض مع نفسه[2].

وكان عمل التلميذين هو إعادة بناء المحاضرات وصياغتها من جديد، وليتمّ لهما ذلك اتّبعا الخطوات الآتية:

أ- بعد وفاة دي سوسير اتّصلا بزوجته لتضع بين أيديهما المخطوطات التي لم تكن الصورة الشاملة والكاملة والكافية لتلك الدروس المهمّة التي ألقاها على طلبته، ليوازنا بينها وبين النقاط التي كان قد سجّلها طلابه.

ب- تمّ الاتّصال بكاتبته التي لم يكن لديها في أدراج مكتبه سوى أوراق ليست ذات قيمة، ولا تمثّل حقيقة مادة المحاضرات الثلاث.

---

[1]- ينظر د. دراقي زوبير، المرجع السابق، ص: 62.

[2]- C.L.G.P : 7-8.

ج- وفي الأخير لجآ إلى الطريق الثالثة، وهي ما كتبه طلاّبه، فأخذا الكراريس كاملة، وهي خاصة بالمحاضرتين الأولى والثانية، والتلاميذ الذين سلّموا كراريسهم هم: **Albert Riedinger** و**Louis Caille, Paul Regard** و**Léopold Gautier**ه **Emile Constantin** و**Marguerite Sechehaye**.

أما الدرس الثالث وهو المهمK فقد عتمدا فيه على كراريس: **Francis Joseph**[1].

George Dégallier, Albert Sechehaye,[2].

وكتاب دي سوسير في الأصل هو عبارة عن ملاحظات ونقاط سجّلها بعض طلبته، ومن ثمّ فهي تحتوي على الشيء الكثير من كلام دي سوسير، إلا أنّه يصعب علينا اليوم التمييز بين ما هو لطلاّبه، أي من استنتاجاتهم الخاصّة التي قد تكون دقيقة، ولكنها تناقش دائما، وبين ما ذكره حقيقة هو حقيقة أستاذهم.

ومازالت هذه النقطة محلّ نقاش في أوربا إلى اليوم، ولذلك فإنّ كتاب دي سوسير يقع في خضم هذه الاهتمامات المختلفة، ممّا سمح لبعض النقاد القول إنّ هناك أكثر من دي سوسير واحد في تلك المحاضرات، وعلينا أن نبحث عنه تحت سطورها[3].

وفي ضوء ما سبق يمكننا تسجيل ما ذكره أنطوان مايه **ANTOINE MELLET** في **1916** حيث قال: "لقد تردّد دي سوسير كثيرا في التحرير النهائي لأفكاره، ولم يترك بعد وفاته عمله منشورا، فالمحاضرات التي ألقاها على طلبته لم تكن لغرض الطبع، كما رفض نشرها وهو على قيد الحياة.

ومن جهة أخرى فقد جاءت المحاضرات الثلاث التي سجّلها طلبته متباينة، مع العلم أنّ كل قسم منها مهمّ، وكان من المؤسف أن يتلفه الضياع.

ولذا تحمّل تلميذاه شارل بالي، وألبير سيشهاي – بجرأة- كتابة المحاضرات الثلاث وصياغتها (إعادة بنائها)، مع ذكر نظريات دي سوسير وأمثلته، فظهرت في كتاب لم يُقْدِم الأستاذ (المعلّم) على فعله، ولا ريب في أنّه لم يفعل ذلك قط.

والكتاب المعروض للجمهور اليوم، ما هو إلا تحرير لأفكار دي سوسير حول اللسانيات العامّة من هذين التلميذين السويسريين الأساسيين"[1].

---

[1]- C.L.G.P : 7-8.

[2]- C.L.G.P : 7-8.

[3]- ينظر د.محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 181.

ولكن لماذا هذا النقاش وهذا الغموض في تأليف كتاب دي سوسير؟

لقد كان الجدل وما يزال حول كتابه، وما اكتنفه من غموض تأليفه ناتجا عن الأسباب الآتية:

أ- في طريقة جمع وإعادة بناء محاضراته، وصياغتها.

ب- لم يكن دي سوسير يهتمّ فقط بعلم اللغة، وربّما كان هذا آخر ما يمكن أن ينسب إليه من الاختصاصات المتعدّدة التي كان يعمل فيها، فقد كان شديد الاهتمام باللغات الهندو-أوربية وخاصة السنسكريتية.

3- كان يولي العناية للغة والأدب الألمانيين، وهو مؤلّف كتاب حول الحركات **(Voyelles)** نشره في **1878**، وهو أيضا أستاذ النحو المقارن في جامعة السوربون.

4- كما كان شديد الاهتمام بالتصحيف* في الشعر الإغريقي واللاتيني[2].

5- تلاميذ دي سوسير:

على الرّغم من أنّ قاعات الدرس التي ألقى فيها دي سوسير محاضراته كانت تبدو شبه فارغة من الطلاب، إلا أنّ تلاميذه أصبحوا بعده يشكلون العمود الفقري للجامعتين الفرنسية والسويسرية، وركائزها الفكرية والعلمية؛ كما وجّهوا اللسانيات الحديثة في ضوء منظوره وتصوّراته، ومن هؤلاء الطلاب:

أ- بول باسي (1859-1940) PAUL PASSY : ويعدّ من الأوائل الذين طوّروا النظرية الوظيفية للظواهر الصوتية.

ب- موريس جرامون (1866-1946) Maurice Grammont : وهو من المختصّين في علم وظائف الأصوات النطقي في القرن العشرين، ومن الأوائل الذين اقترحوا تحليل تغيرات الأنظمة الصوتية[3].

---

[1]–C.Nommand et Autres, Avant Saussure, choix de textes (1875–1924), édition complexes, P : 163.

*التصحيف هو تحريف كلمة بتغيير وضع حروفها أو تحويل أحدها إلى آخر يشبهه في الرسم ويخالفه في النقط. ويكون من تشابه الخروف مثل الباء والتاء وغيرهما.

[2] - C.Nommand et Autres, Avant Saussure, choix de textes (1875–1924), édition complexes, P : 163.

[3] – Voir, CLGP :III.

ج- أنطوان ماييه Antoine Meillet: ولد في **1866** ونشأ في عائلة من الموثّقين (NOTAIRES)، تابع دراسته في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا منذ **1885**، درس اللغات السلافية، والإيرانية، والسنسكريتية، والإرلندية، واللغات الرومانية والنحو المقارن.

أقام في القوقاز في **1890**، اهتمّ بالأرمينية مبكّرا، ودرّسها في مدرسة اللغات الشرقية بين **1902** و**1906**، وخلال سنة **1889-1890** أخذ دي سوسير عطلة مرضية فخلفه ماييه **(Meillet)** كأستاذ إضافي في **1891** تخلّى عنه ليترك المنصب لصديقه بنفنيست **Benveniste** كما فعل بريل **(Breal)** مع دي سوسير.

واعتبر **Giorgio Pasquali (1855-1952)** أنطوان ماييه أكبر الفيلولوجيين؛ بل إنّه اللساني العبقري للقرن العشرين **"Le linguiste le plus génial du 20° siécle"**، وهو رائد بلا منازع للمدرسة الفرنسية في اللسانيات التاريخية، ويتميّز بأنّه ربطها بتحليل علم الاجتماع. ومن كتبه:

أ- النحو الإيراني القديم **Grammaire du vieux perce 1925**

ب- مقالة في النحو المقارن للغات الكلاسيكية **(Traité de grammaire comparée des langues classiques 1924)**

كما أسهم في المعجم الإيتيمولوجي للغة اللاتينية في **1932**، وتوفّي في سنة **1936**[1].

د- شارل بالي Charles Bally: ولد بجنيف **(1865-1947)**، عالم لسانيات سويسري والفيلولوجيا، ومختصّ في الإغريقية والسنسكريتية، اهتمّ باللسانيات الوصفية والبنيوية، وجدّد علم وسائل التعبير أو الأسلوبية التي اختصّ فيها، وممّا ألّفه: (مختصر الأسلوبية 1905)، واللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية 1932[2].

ب- ألبير سيشهاي ALBERT SECHHAYE: تلميذ دي سوسير، أعاد صياغة محاضرات أستاذه، اقتحم ميدانا خصبا تجلّى في العلاقة بين علم النفس واللسانيات[3].

6- مبادئ دي سوسير:

لقد حصلت الدراسة اللغوية على الشرعية العلمية في القرن العشرين بفضل فريدينان دي سوسير الذي ظهر مجدِّدا في منهج البحث الذي يعالج اللغة ويحلّلها.

---

[1] – Voir, Le Petit Robert, T : 2 ; P : 1183.

[2] – Voir Ibid, T : 2, P : 1183.

[3] – C.L.G.P : III.

وكرسّ حياته القصيرة لمجموعة من المبادئ، أسّست مدرسة لسانية قائمة بذاتها، وشقّ خطوة علمية في اللسانيات، لها مفاهيمها ومصطلحاتها ومناهجها الخاصة، فباتت نموذجا رائدا في العلوم الإنسانية تضارع العلوم الدقيقة في علميتها ونتائجها الخاضعة للمنهج العلمي.

فكان لها الأثر البيّن في العلماء الذين عاشوا في عصره، وفي المدارس اللسانية التي تأسّست بعده، فغدت علما واصفا ومحلّلا للظاهرة اللغوية، وليس مادة معيارية. كما اقتحمت معارف شتّى مثل الخطاب الإعلامي والأدبي والبيداغوجي والأنثروبولوجي والسيميائي والاجتماعي، وأصبحت تزوّدها بالرؤية والمنهج والمصطلحات.

ولقد صاغ دي سوسير مجموعة من الآراء[1] تجلّت في تصنيفه لثنائيات لسانية، ظلّت تردّد في اللهوات، على ألسنة الباحثين والدارسين، وفي المدارس اللسانية الحديثة بصيغ مختلفة وأشكال متنوعة، ومن هذه الأفكار.

أ- اللغة مادّة الدراسة اللسانية.

ب- اللغة واللسان والكلام.

ج- اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة.

د- الفوناتيك والفونولوجيا.

هـ- الدراسة الآنية والدراسة التعاقبية.

ز- الدال والمدلول.

و- جغرافية اللغة.

ونتعرّض في هذا المقام إلى بعض هذه المبادئ.

أ- اللغة والكلام واللسان:

لقد فرّق دي سوسير بين ثلاث مصطلحات أساسية في الدرس اللساني، ويعدّ هذا التحديد إنجازا جديدا وعملاقا في البحث اللساني الحديث، وتلك المصطلحات هي:

- اللغة Le langage فهي بمعنى الظاهرة الاجتماعية، وهي إنسانية عامّة، لها أشكال كثيرة تنتج من الملكة اللغوية، وهي بمعناها الأعم "مجموع الكلام الفردي، والقواعد

[1]– لمزيد من معرفة هذه المبادئ، ينظر كتاب دي سوسير. دروس في الألسنية العامة. وإنّ متصفح كتابه وبعض كتب التراث العربي، وبخاصة الخصائص لابن جني ليندهش من التوافق في الموضوعات المعالجة عندهما،على الرغم من الفروق الزمنية بينهما.

العامة للغة الإنسانية، وهي أيضا ليست واقعة اجتماعية؛ لأنّها تتضمّن العوامل الفردية المنسوبة إلى المتكلمين الأفراد"[1].

فهي بهذا المفهوم النموذج المثالي الذي يوجده كلام الأفراد، وبعبارة أخرى إنّ اللغة هي نظام **(Systéme)** محكم، وقائم على التضامن بين مختلف أجزائه المكونة له، بحيث إنّ قيمة الجزء الواحد منه لا تظهر أو تتمّ إلا باقترانها مع الكلّ[2].

- اللسان La langue وهو اللغة المعيّنة مثل اللسان العربي **(La langue arabe)**، الفرنسي **(La langue française)**، والإنجليزي **(La langue anglaise)**، أي ما نطلق عليه عادة في العربية وفي الاستعمال الشائع كلمة لغة[3]، وهي موضوع الدراسة والبحث.

واللسان وحده هو الواقعة الاجتماعية؛ لأنّها – عامّة – داخل المجتمع، وتمارس فرضا وسلطة على المتكلمين الأفراد من حيث لا يدرون، وهي لا توجد كاملة عند كلّ فرد شأن ما تحدّث عنه دوركايم **(Durkeim)** عن الوعي الجمعي، إنّها عنده نظام من القيم النقية[4].

واللسان اجتماعي في جوهره، وعرفي، ومكتسب، ولكنّه مستقلّ عن الفرد، وهو مستودع العلامات ومجموع العادات اللغوية التي تتحقّق فيما يسمّيه دي سوسير كلاما **(Parole)**، وهو خارج عن الفرد، ولذلك دعا إلى دراسته وبحثه، وحدّده في هذه الصيغة:

La langue = le langage moins la parole

اللسان= اللغة - الكلام.

- الكلام La parole وهو ما يمثّله كلام الفرد، وهو ليس واقعة اجتماعية؛ لأنّه يصدر عن وعي، وهو نتاج فردي كامل، على حين إنّ الوقائع الاجتماعية يفترض أن تكون عامّة تمارس فرضها على المجتمع، فالكلام هو النشاط العضلي الصوتي الفردي.

ولمّا فرّق دي سوسير بين اللغة والكلام قال إنّهما ليسا شيئا واحدا، وإنّما هي منه بمثابة قسم معين، وإن كان أساسيا والحق يقال، فهي في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة من المواضعات يتبنّاها الكيان الاجتماعي ليمكّن الأفراد من ممارسته هذه الملكة.

---

[1]– د.عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث، ص: 25.

[2]– د.زوبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة. ص: 71.

[3]– ينظر أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 18.

[4] –Ferdinand De Saussure.C.L.G.P, 32.

وإذا أخذنا الكلام جملة بدا لنا متعدّد الأشكال متباين المقومات، موزّعا في الآن نفسه بين ميادين مختلفة بما فيها الفيزيائي والفيزيولوجي والنفسي، منتميا في الآن نفسه إلى ما هو فردي، وإلى ما هو اجتماعي، ولا يتسنّى لنا ترتيبه ضمن أيّ قسم من أقسام الظواهر البشرية؛ لأنّنا لا نستطيع أن نستخرج وحدته[1].

ب- الدّال والمدلول

لقد أفاض دي سوسير في التعريف بالعلامة اللسانية، ورآها ذات شقّين أو وجهين لا ينفصل أحدهما عن الآخر، هما الدال **Signifiant** وهو الصورة السمعية، والمدلول **Signifié** وهو الصورة المفهومية التي تعبّر عن المتصوّر الذهني الذي يحيلنا إليه الدال.

وتتمّ الدلالة باقتران الصورتين الصوتية والذهنية، وبهما يتمّ الفهم، وقد ألحّ دي سوسير على أنّ العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية غير معلّلة، أي إنّ الدال غير مبرّر، فهو اعتباطي بالنسبة إلى المدلول، وليس له أيّ رابط طبيعي موجود في الواقع، إذ يقول: "الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول رابط اعتباطي أو بعبارة أخرى، وبما أنّنا نعني بكلمة دليل المجموع الناتج عن الجمع بين الدال والمدلول يمكننا أن نقول بصورة أبسط:"إنّ الدليل اللغوي اعتباطي"[2].

فقد أطلق على الأوّل الدال وعلى الآخر مدلول، والعلاقة بينهما اعتباطية؛ أي لها صفة القسرية **Arbitraire**، ويعني بذلك عدم التلازم أو الارتباط الطبيعي بين العلامة وما تدلّ عليه.

والعلامة اللسانية هي التي أدّت بدي سوسير إلى اعتبار اللغة نظاما من العلامات، يتّخذها الفرد وسيلة للتواصل والتبليغ، ويمثّل هذا النظام كيانا مستقلا من العلاقات الداخلية يتوقّف بعضها على بعض، وتحليل هذا الكيان يسمح لنا باكتشاف عناصر تربطها علاقات التبادل أو التقابل[3].

فإذا قلنا مثلا "كتاب" في العربية، نرى ما يقابلها في الفرنسية **Livre** وفي الانجليزية **Book**، وفي الألمانية Buch، فليس بين الدال وهو المجموعة من الأصوات التي تكوّن كتاب، وبين ما تدلّ عليه الأصوات أية علاقة، فلا يوجد الارتباط الطبيعي بين أصوات هذه

---

[1]- ينظر فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص: 29.

[2]- فردينان دي سوسير، المرجع نفسه، ص: 111-112.

[3]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 54.

الكلمات وما تدلّ عليه هذه الأصوات، وكذلك في الفرنسية، فليس هناك تطابق طبيعي بين الكلمة والجسم المادي الذي نسمّيه كتابا المتكوّن من ورقات جمعت معا[1]، وفيه مضمون معيّن، مجزّأ إلى فصول ومباحث وعناصر.

وهذا ما يفسّر اختلاف اللغات؛ إذ كلّ مجتمع يتّفق على تسمية الشيء باسم بعينه، وهي تختلف في تسمية الشيء نفسه بأسماء مختلفة، وهو ما يجعل الترجمة من لغة أخرى صعبة التطبيق والممارسة؛ لأنّ مقابلات المفردات والدلالات بين اللغات ليست واحدة.

فلو كان هناك ارتباط طبيعي بين الكلمة وما تدلّ عليه، لأصبح من الممكن أن نتوقّع التقارب بين أصواتها، وإذا كان هناك تماثل بينها لتعبّر عن الشيء الواحد، لوجب أن يكون هناك تقارب بين كتاب و **Book** و **Livre** بأكثر ممّا نراه بينها[2].

ويقدّم دي سوسير مثالا لتوضيح اعتباطية العلامة اللسانية وهو الأخت التي أصواتها (الهمزة و الخاء والتاء) وهي الدال، وهي غير مرتبطة بما تدلّ عليه، بدليل أنّ المجتمعات المختلفة لها دوال أخرى تعبّر بها عن المفهوم أو المتصوّر نفسه، فالانجليزية تستعمل **Sister** والفرنسية **Soeur**، والأمانية schwester وهكذا فهناك اختلاف في الدال على الرغم من أنّ المدلول واحد[3].

وهذا ما يفسّر ويؤكّد أن طبيعة العلامة اللغوية ليست ربطا بين الشيء المسمّى في الخارج واسمه، وإنّما هي ربط بين مفهوم (مدلول) ونموذج صوتي (دال).

ولهذا قال دي سوسير:" إنّ الدليل اللغوي لا يجمع بين شيء واسم، بل بين متصوّر ذهنيّ وصورة أكوستيكية، وليست الصورة الأكوستيكية هي الصوت المادّي أي ذلك الأمر الفيزيائي المحض؛ بل هي الأثر النفسي لهذا الصوت، أي الصورة التي تصوّرها لنا حواسّنا، وهي صورة حسّية وإن صادف أن نَعَتْناها فقلنا إنّها مادية بالمعنى الذي ذكرناه فقط. وللمقابلة بينها وبين الطرف الآخر من عملية الترابط أي المتصوّر الذهني، وهو غالبا ما يكون أبعد في التجريد، فالدليل اللغوي أو العلامة اللسانية هي كيان نفسي ذو وجهين أو جانبين، يمكن تمثيله بالشكل التالي:

---

[1]– ينظر د.محمد محمود غالي، المرجع السابق، ص: 26.

[2]– ينظر د.محمد محمود غالي، المرجع نفسه، ص: 27.

[3]– ينظر فردينان دي سوسير، المرجع السابق، ص:112.

العلامة اللسانية=

"وهذان العنصران ملتحمان التحاما شديدا، ويستدعي وجود أحدهما وجود الآخر، وسواء بحثنا عن معنى الكلمة العربية "شجرة" أو عن الكلمة التي تشير بها اللغة العربية إلى المتصوّر "شجرة"، فمن الواضح أنّ التقريبات التي شاعت واطّردت في اللغة هي التي تبدو لنا دون سواها مطابقة للواقع، بينما نطرح كل تقريب يمكن أن نتخيّله نحن طرحا:

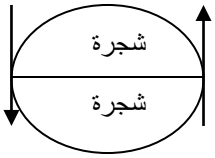

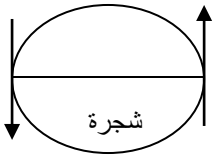

وإذا كان مقوما العلامة هما الدال والمدلول في نظر دي سوسير، فإنّنا نجده أهمل المقوّم الثالث وهو المرجع **Référent**، وهو الواقع الخارجي الذي تعود إليه العلامة، ويضع فاصلا بين العلامة من حيث هي جوهر نفسي، والشيء الذي تشير إليه في الواقع، ويؤكّد ذلك قائلا: "إنّ العلامة لا تربط بين الشيء والاسم؛ بل بين المفهوم والصورة السمعية"[1].

والحقيقة إنّ إقصاء المرجع من تحليل معنى الكلمة هو إقصاء للفكرة أو المدلول، لأنّ الشيء الخارجي هو أساس الفكرة، فهل يمكن أن تنطبع صورة الطاولة في الذهن دون أن توجد في الواقع الخارجي؟

وعلى الرغم من أنّ العلاقة التي أقامها دي سوسير بين عنصري العلامة، هي علاقة التلازم والتكامل والتي نراها ترسّخت في التصوّر بمرور الزمن، وكأنّهما أصبحا شيئا واحدا، فلا يكون أحدهما دون الآخر، إلا أنّ هذا لم يمنعه من الحكم على هذه العلاقة بالاعتباطية، أو يعرف عنده ب **L'arbitraire du signe**؛ لأنّه أكّد عدم وجود أيّ ارتباط داخلي

[1]– ينظر فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص: 110–111، و Voir C.L.G.P : 98

بين المدلول لكلمة "أخت" بمعناها: الإنسان الأنثى التي لها أم وأب وبين تتابع الدال (أ، خ، ت).

ويعني دي سوسير بالتصوّر **(Signifié)** أو الشيء المعني، وبالصورة السمعية (Signifiant)، والعلامة ليست أحد العناصر دون الآخر، فهما معا أو هي كالورقة لا يمكن أن نقطع وجها دون أن نقطع الوجه الآخر.

إنّ أي تغيير في الصورة السمعية لابد أن يؤدّي إلى تغيير في التصور، وأيّ تغيير في هذا الأخير يلحقه تغيير في الصورة السمعية[1].

ولذلك نلفي العلاقة غير معلّلة بين الدال والمدلول، لا طبيعيا ولا منطقيا، وإنّما الربط بين المفهوم والصورة السمعية ناجم عن العرف والاصطلاح والاتّفاق، فكما قال أبو إسحاق الأسفراييني(ت 418هـ): "إنّ الأسماء لا تدلّ على مدلولاتها، إذ لا مناسبة بين الاسم والمسمّى؛ ولذلك يجوز اختلافها باختلاف الأمم، ويجوز تغييرها، والثوب يسمّى في لغة العرب باسم، وفي لغة العَجَم باسم آخر، ولو سمِّي الثوب فرسا، والفرس ثوبا، ما كان ذلك مستحيلا"[2].

والحقيقة إنّ الفكرة التي يعرضها دي سوسير تنسجم مع المنهج الآني الذي سيتبنّاه في تحليله للظاهرة اللغوية ولذلك أهمل المرجع أو السياق.

وقد حدّد دي سوسير مفهوم القيمة اللغوية للعلامة؛ حيث اعتبرها تلك التي تحمله من جملة العلاقات التي تربط عناصرها داخل النظام، فحين نقول "قيمة الكلمة" فإنّ أوّل ما يتبادر إلى الذهن هو مدى قدرتها على تمثيل فكرة ما، فالقيمة من الناحية التصوّرية هي إحدى مكوّنات الدلالة، وتكمن الصعوبة في هذه العلاقة، إذ الدلالة هي علاقة ربط أساسا بين الدال والمدلول، أما القيمة فهي علاقة ثانية لمجموعة الدوال بمدلولاتها[3].

فهذا المبدأ المتّسم بالمفارقة المسيّر لجميع القيم، حتى تلك التي لا تمتّ بصلة إلى المجال اللغوي، تتشكّل من عنصرين، هما:

أ- شيء مغاير قابل لاستبداله بشيء يراد تحديد قيمته.

---

[1]- ينظر د. عبده الراجحي، المرجع السابق، ص 30-31.

[2]- السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج:1،ص:365.

[3]- ينظر دي سوسير، المرجع السابق، ص: 175.

ب- أشياء متماثلة بإمكاننا مقارنتها بشيء وضعت قيمته موضع بحث[1].

ولتوجد القيمة لابدّ من وجود هذين العنصرين، فلتحديد ما تساويه قطعة نقدية ذات عشر فرنكات مثلا يجب معرفة شيئين أساسيين وهما:

أ- إنّه بإمكاننا تبديل هذه القطعة (عشر فرنكات) بشيء مغاير ليس من جنسها، كالخبز، أو اللحم، أو اللّباس.

ب- إنّه بإمكاننا مقارنتها بشيء مماثل لها، من النظام نفسه الذي تنتمي إليه ويكون من جنسها، كمقارنة القطعة النقدية ذات العشر فرنكات بالدولار أو الدينار أو الريال.

وهذا شأن الكلمة في النظام اللغوي تماما، إذ يمكن استبدالها، ومقارنتها بكلمة أخرى تعبّر عنها و هي من طبيعتها[2]، وهي تتعلّق بعنصر احتيار الكلمة في الأسلوبية؛ أي مجموع المفردات التي تتقارب في الدلالة مع الكلمة الواحدة، فيمكن تغيير واحدة بالأخرى دون أن يختل المعنى، قد يكون هذا المعنى ناقصا لأنّ الكلمة المماثلة لا تعوّضه، وهنا تكمن مشكلة أخرى وهي هل ما نضعه بدل العلامة يعوّضه ويشبهه في كلّ العناصر ويؤدّي دلالته؟ ولربّما هذا ما ادّى ببعض الدارسين إلى نفي الترادف في اللغة.

وذلك ما بيّنه دي سوسير باستعانته بالمفاهيم الاقتصادية في مجال القيمة اللغوية، فمضمونها لا يتحدّد في الحقيقة إلا بما يوجد خارجها، أي إنّ قيمة المصطلح اللساني، تنتج أو تولد من خلال وضعيتها، داخل مجموعة النظام الذي يشكّل اللغة، أي شبكة المقابلات للعلامات فيما بينها[3].

ويستنتج من ذلك أنّ الدليل يشبه القطعة النقدية من جانبين وهما:

أ- تسمح لنا القطعة النقدية بانتقاء مادة استهلاكية، ويتيح لنا الدليل ب "اقتناء" الفكرة "مادة استهلاكية".

ب- ومثلما للقطعة النقدية قيمتها في علاقتها بالقطع الأخرى التي تقابلها، فللدليل قيمته في علاقته بباقي العلامات.

---

[1]- ينظر دي سوسير، ص: 176. و De Saussure, C.L.G.P : 159-160.

[2]- ينظر مبارك حنون، مدخل للسانيات سوسير، ص: 87.

[3]- كلود كرمان، وريمون لوبلان، علم الدلالة، ص 19.

وفرّق دي سوسير بين المفهومين بتقديم مثال آخر على ذلك، إذ يمكن كما يقول استبدال الفارس في لعبة الشطرنج بقطعة أخرى من النقود أو الحجر أو غيره، وذلك بمنح القطعة البديلة القيمة نفسها، من خلال وضعيتها بالنسبة إلى القطعة المستبدلة، وما تعطيه هذه القيمة هو مقابلتها بالقطع الأخرى للعبة، وهذا ما ينطبق تماما على النظام اللغوي.

ورأى أنّ كلمة "خروف" مثلا **(Mouton)** في اللغة الفرنسية لها مدلول الكلمة الإنجليزية **(Sheep)** إلا أنّها ليست لها القيمة نفسها، ذلك أنّ العربية مثلا تفرّق بين لحم الخروف نفسه أي الحيوان، فيقال اللحم والخروف، وهو ما تستعمله الإنجليزية، فلحم الخروف المقدّم للأكل تسمّيه **(Mouton)** والحيوان داخل الحقل هو **(Sheep)** في حين إنّ الفرنسية لا تستعمل سوى **(Mouton)**.[1]

"فلئن كان للكلمة الفرنسية "**Mouton** "أي "خروف" نفس الدلالة التي للكلمة الإنجليزية **Sheep**، فإنّه ليس لهما نفس القيمة، وذلك لأسباب عديدة يذكر منها بالخصوص، أنّهم يسمّون في الإنجليزية القطعة من اللحم التي تطبخ وتقدم للآكلين **mouton** لا **sheep**، فالاختلاف بين **sheep** وmouton من حيث القيمة راجع إلى أنّ لهم في الإنجليزية بإزاء كلمة **sheep** كلمة أخرى، وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى الكلمة الفرنسية"[2].

فقيمة كل رمز تنتج من مقارنتها برمز آخر يجاوره أو يساويه، ويحدّد كلّ واحد قيمته بالآخر، وهكذا تشكّل الرموز نسقا يأخذ كلّ عنصر فيه قيمته ومكانه بالنظر إلى العناصر الأخرى[3].

ولا شكّ في أنّ البحث في القيمة اللسانية التي جاءت بعد دي سوسير، وبخاصة المدرسة النسقية بكوبنهاجن التي ركّزت على البحث في العلاقات بين العناصر في النظام اللغوي، وبخاصة لدى لويس يمسلف[4] أوحت فكرة القيمة بتصنيف المدلولات إلى حقول دلالية طبقا لمبادئ دي سوسير اللسانية، وهذا واضح في فصل أسماه "العلاقات السياقية والعلاقات الترابطية"، وكانت قد ظهرت في شكلها المتطوّر عند تراير **Trier**.

---

[1]– ينظر دي سوسير، المرجع السابق، ص: 177. كلود كرمان وريمون لوبلان، المرجع السابق، ص: 20.

[2]– ينظر دي سوسير، المرجع السابق، ص: 175.

[3]– ينظر د. محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 207.

[4]– يملسف هو رائد المدرسة النسقية بكوبنهاجن، ت 1965.

وأوضح أنّه في نطاق اللغة الواحدة تحدّد الكلمات المعبّرة عن الأفكار المتقاربة بينها انطلاقا من القيمة التي تتضمّنها كلّ وحدة منها، فالمترادفات من قبيل **Redouter** أي (هاب) **(Craindre)** أي (خشي) و **(avoir peur)** (خاف) ليس لها قيمة خاصة بها إلا بتقابلها، حين تنعدم كلمة **Redouter** من اللغة الفرنسية ينتقل محتواها إلى منافستيها.

فالكلمات السابقة (هاب ـ خشي ـ خاف) ترتبط دلاليا فيما بينها، ولا نفهم واحدة منها إلا بالنظر إلى دلالة الأخريتين، ومن ثمّ يمكن معرفة قيمة كلّ وحدة منها، ولمّا كانت جميعها تشكّل حقلا دلاليا، فإنّ كلّ وحدة من وحداتها تتعلّق بالأخرى.

فافتراض وجود كلمتين فقط من هذا الحقل مؤدّاه أنّ معنى كلمة منه سينتقل إلى أخرى تنافسها لتصبح محتوية على معنى أوسع ممّا كانت تشتمل عليه سابقا.

ويمكن تشبيه هذا الحقل بالحواس الخمس عند الإنسان التي ترتبط فيما بينها ليتعرّف بها على العالم الذي يحيط به، فحرمان فرد من حاسّة البصر مثلا يجعلها تُعوّض في حاسّة أخرى كالسمع، وإن كانت لا تقوم بوظيفتها ومهمّتها.

وكذلك عندما يغيب أحد الأفراد من المؤسّسة، فلكي يستمرّ عملها ونشاطها، على شخص آخر أن يعوّضه ويقوم بوظيفته.

ويرى دي سوسير أنّ اللغة نظام من العلامات التي نعبّر بها عن أفكارنا وتواصلنا مع الآخر، ويستنتج من ذلك أنّ النظام اللغوي يتضمّن علامات تحمل معاني كثيرة يتعارف عليها أبناء المجتمع مثل العلامات العسكرية وإشارات المرور، فكلّ علامة أو إشارة لها دلالة خاصة ومن هنا تنوب العلامة عن الكلام.

واعتبار اللغة نظاما من العلامات يرتبط بعلاقة عضوية فيما بينها ابتكار حديث، وثورة لسانية قام بها دي سوسير في تحليل مكوّنات اللغة ذلك: "أنّ قيمة كلّ عنصر لا تتعلّق بسبب طبيعته أو شكله الخاص؛ ولكن بسبب مكانه وعلاقاته ضمن المجموع".

وحسب رأي دي سوسير إنّ العلوم الطبيعية تبدأ دراستها بوصف كلّ وحدة من الوحدات، كما أنّ وصف عناصر اللغة لا يمكن أن يتمّ إلا بالنظر إلى علاقة كلّ عنصر بغيره من العناصر، لأنّ كلّ واحد من هذه العناصر لا يمتلك قيمة ذاتية في نفسه إلا بتقابله مع العناصر الأخرى.

ومن هنا يجب اعتبار اللغة نسقا أو نظاما من الوحدات يتقابل بعضها مع البعض الآخر سواء أكان ذلك على مستوى الأصوات، أم دلالة الكلمات أم التراكيب النحوية[1].

ولعلّ تحليل دي سوسير للعلامة هو الذي قاده إلى إبداع علم السيمياء أو السيميائيات الذي أطلق عليه السيميولوجيا، مقابل مصطلح السيميوطيقا عند شارل سندرس بيرس .

وإن كان مصطلح دي سوسير هو الذي نال شيوع الاستعمال والإجراء لارتباطه أكثر بالإنسان وحياته الاجتماعية، ومن ثمّ كان تعريفه للسيميولوجيا بأنّها ذلك العلم الذي يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية.

ج- الدراسة الآنية (SYNCHRONE) والدراسة التعاقبية (Diachronie) لقد كانت اللغة وما تزال موضوع اهتمام الباحثين والدارسين، ولمّا كانت ظاهرة اجتماعية؛ فإنّها تخضع للتطوّر والتغيّر، ولا تبقى على حال في كثير من جوانبها الصوتية والصرفية وغيرها.

وكانت الطريقة الوحيدة في متناول اللغة في نظر دي سوسير هي الدراسة التعاقبية **(Diachronique)**، فعارض هذا المنهج معارضة شديدة، وألفاه لا يفي بالتحليل للظاهرة اللغوية الذي يؤدّي إلى فهمها، واعتقد أنّه يجب أن تدرس اللغة في زمان معين وحالة محدّدة.

واصطلح على هذه الدراسة بالآنية **(Synchronie)**، وهو يفضله ويصفه بالعلمية والموضوعية والدقّة.

وهكذا رأى دي سوسير أنّ اللسانيات تتفرّع إلى فرعين:

أ- لسانيات زمانية: ولا يمكن أن نطلق عليها لسانيات تاريخية **Linguistique historique**، أو كلمة تاريخ **(Histoire)**؛ لأن؛هما يثيران في الذهن أفكارا غامضة وغير دقيقة، ولكن يمكن أن نطلق عليها لسانيات تطوّرية **Linguistique évolutive**، بمعنى إنّه ينظر إلى تحوّل اللغة من حيث انفصال حال عن أخرى[2].

ب- ولسانيات آنية **Linguistique synchronique**، ويعتبر آنيا كلّ ما يتعلّق بالمظهر القارّ من اللسانيات، ويطلق على هذا النّوع من الدراسة اللغوية **Sciences des états de langue** أي علم حالات اللغة، أو **Linguistique statique** أي اللسانيات القارّة[3].

---

[1]- ينظر بيير جيرو، علم الدلالة، ص: 129.

[2]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 53.

[3]- ينظر دي سوسير، المرجع السابق، ص: 128.

وكلّ بحث في الدراستين قائم بذاته، على الرغم من أنّهما مترابطان.

ويُلاحَظ أنّ الدراسة اللسانية قد تطوّرت على يد دي سوسير بعدما فرّق بين البحث الآني للغة الذي أولاه أهمّية قصوى، حيث رأى أنّ ما يمكن وضعه من مقارنات فإنّ أوضحها بيانا "وأسطعها برهانا هي تلك التي يمكن أن نقيمها بين كيفية قيام اللغة بدورها وبين كيفية اللعب أثناء مبارة من مباريات الشطرنج، فنحن في كلتا الحالين أمام نظام من القيم ونشهد ما يلحقها من تغيّرات، فالذي نلحظه:

أولا: " أنّ أيّة مرحلة من مراحل هذه اللعبة توافق كلّ الموافقة حالا من حالات اللغة، فقيمة كل قطعة بالنسبة إلى بقية القطع، هي رهينة موقعها من الرقعة، وذلك أنّ لكلّ عنصر من عناصر اللغة تتحدّد قيمته بتقابله مع جميع العناصر الأخرى"[1].

ولكن الواقع يؤكّد أنّه لا يمكن الاستغناء عن الدراسة التاريخية التعاقبية في تحليل الظواهر اللغوية، فهي مفسّرة ومفيدة في فهم كثير من المسائل؛ بل الجمع بينهما هو المؤدّي إلى النتائج العلمية وتكون فوائده مثمرة.

وربّما الاقتصار على المنهج الآني فقط كان محلّ فشل التحليل البنيوي؛ بل ظلّ قاصرا في فهم الخطابات من جوانبها المختلفة؛ ولذلك ظهرت ما يطلق عليها اللسانيات التداولية التي لا تلغي السياق، والجانب الاجتماعي والتاريخي والثقافي، أو العوامل الخارجية في التحليل.

خاتمة

وهكذا نستشف أنّ دي سوسير كان مدرسة قائمة بذاتها، فقد ملأ الدنيا وفتن الناس وشغلهم بآرائه وأفكاره التي لم تعش في باريس وجنيف فحسب، وإنّما سافرت وهاجرت إلى أصقاع الدنيا، وأصبحت منهل الدارسين والباحثين، فتجلّت في أكثر من مدرسة لسانية، ولدى أكثر من متخصّص.

بل إنّه أصبح اليوم من اللامنهج وغير المعقول الكتابة في كثير من العلوم الإنسانية دون ذكر مصطلحاته، أو رأي من آرائه، فتلك هي العبقرية الحقّة.

ولكن جذور ثقافة دي سوسير ومنابع أفكاره ما تزال غير معروفة بدقّة، ولذا ينبغي التطرّق إلى منابعها ومناهلها والتأريخ لها علميا، لأنّ هناك أكثر من سؤال يطرح إزّاءها.

---

[1]- ينظر دي سوسير، المرجع السابق، ص :128-129.

الفصل السادس

المدرسة الوظيفية أو مدرسة براغ اللسانية

1- في تحديد المصطلحات

أ- مصطلح الوظيفي

ب- مصطلح الوظيفة

2- تأسيس المدرسة الوظيفية

3- مبادئ المدرسة الوظيفية

4- أعلام المدرسة الوظيفية

أ- نيكولاي تروبتسكوي

ب- رومان ياكوبسون

- نظرية التواصل عند ياكوبسون وتحليل الخطاب الأدبي

ج- أندريه مارتينيه.

تنسب كلّ مدرسة من المدارس اللسانية الحديثة إلى العالم الذي أسّسها، أو البلد الذي نشأت فيه، أو المنهج الذي تتبّناه في تحليل الظاهرة اللغوية. ولمّا نسبنا هذه المدرسة إلى منهجها في أوّل العنوان، يجدر بنا في بداية الأمر تحديد مصطلحي الوظيفي والوظيفة.

أ- مصطلح الوظيفي: يطلق على العلاقات النحوية التي تربط مكوّنات الجملة أو عناصرها، أو بين الجملة وما يلحقها من الجمل والتراكيب، وما يلاحظ أن الكلمات الوظيفية تتميّز عن الكلمات المعجمية؛ لأنّها غير مستقلّة، و هي لا تكتسب معناها إلا بالنسبة للبنى النحوية التي تدخل فيها[1].

ب- مصطلح الوظيفة: ويطلق على الدور التعبيري الذي يقوم به العنصر اللغوي في البنية النحوية، سواء أكان فونيما أم مورفيما أم كلمة أم جملة، فهو كل عنصر لغوي يُسهِم في صنع المعنى و بناء الدلالة في الخطاب.

وفي هذه الحالة يتمّ التمييز بين وظيفة الفاعل والمبتدأ، ووظائف الخبر التي تحدّد العلاقات الأساسية للجملة، بالإضافة إلى تحديد المفعولية التي تقوم بها بعض العناصر التي يكون من أغراضها تتمّة المعنى العام للجملة[2]، و البحث عن تلك الوظائف والعلاقات هو الذي أدّى إلى نشأة المنهج الوظيفي أو المدرسة الوظيفية ببراغ بالجمهورية التشيكية حاليا.

وسمّيت كذلك لأن الباحث يسعى إلى اكتشاف الوظيفة التبليغية للعناصر اللغوية التي يشتمل عليها النص، ومفاد ذلك هو أنّه يبحث عن العناصر التي تقوم بدور التمييز بين المعاني. وهو ما يدلّ – أيضا – على أن المدرسة الوظيفية تتّخذ المعنى مقياسا ضروريا في تحليل النصوص اللغوية، وترى الدلالة تتغيّر بتغيّر الدال، وهو ما يقتضي أمرين:

أ- يتغيّر اللفظ بتغيّر المعنى، كما يتغيّر المعنى بتغيّر اللفظ.

ب- وإذا ثبت اللفظ على حال واحدة، فلابد أن يثبت المعنى كذلك[3].

1- تأسيس المدرسة الوظيفية

تعود الجذور الأولى لتأسيس مدرسة براغ الوظيفية إلى العالم اللساني التشيكي ماثيسيوس **MATHESIUS**[1] الذي كانت من دعواته الأولى دراسة اللغة بطريقة جديدة، تختلف

---

[1]– ينظر د. محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، ص: 172.

[2]– ينظر د. محمد الحناش، المرجع نفسه، ص: 169.

[3]– ينظر د.خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص: 86.

عن الدراسة التاريخية، ومعنى ذلك إنّه من المؤسّسين لعلم اللغة الوصفي أو اللسانيات كما تعرف اليوم في جلّ الكتابات، وهو العلم الذي ظهر بشكل مستقلّ منذ قدّم دي سوسير محاضراته في سويسرا في 1911، وكذلك دراسات فرانز بواس[2] **FRANZ BOAS** في أمريكا[3].

وممثّلو المدرسة الوظيفية ينقسمون إلى قسمين:

أ- التشيكيون: فبالإضافة إلى ماثيسيوس نجد ترنكا **B.TRANKA**، وهافرانك * بوهنسلاف **Bohnslav HAVRANEK (1893-1978)**، وجوزيف فاشيك*(1909-1996) **Joseph.VACHEK.**

ب- واللّسانيون الروس: تروبتسكوي، وكارسفسكي، ويضاف إليهم رومان ياكوبسن على الرغم من أنّه من أصل بولندي[4].

وظهرت المدرسة الوظيفية في **1926**، أي بعد عشر سنوات من صدور كتاب دي سوسير الذي نشره تلميذاه في **1916**، فكوّنت جماعة من العلماء التشيكوسلوفاكيين حلقة دراسة ضمّت مجموعة من الباحثين من البلاد الأخرى.

وكان رائدهم رومان ياكبسون بالإضافة إلى تروبتسكوي وكارسفسكي، فقام هذا الثلاثي بعرض مجموعة من المبادئ اللغوية التي عرفت باقتراح رقم **22**[5]، أمام المؤتمر الأول للسانيين الذي انعقد بمدينة لاهاي[6] بهولندا سنة **1928**، تحت عنوان **"النصوص الأساسية لحلقة براغ".**

---

[1]- ماثيسيوس: تشيكي الأصل، (1882-1945) درس اللغة الإنجليزية، ودرس في جامعة كارولين و في براغ.

[2]- فرانز بواس: أنثروبولوجي واثنولوجي أمريكي من أصل ألماني (1882-1945)، أرسل للقيام بدراسة حول الاسكيمو بأرض بافين (1883)، ثم عاد واهتم بدراسة الهنود الأمريكيين، فكانت أبحاثه حول أثر البيئة في تغيرات الأجناس، والعادات والتقاليد والخرافات، ودراسته الدقيقة والصارمة أدّت إلى تأسيس المدرسة التحليلية.238 : Robert, T : 2, P .

[3]- ينظر، جيفري سامبسون، المدارس اللغوية – التطور والصراع – ترجمة أحمد الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، سنة 1993، ص: 106.

*-هافرانك: عضو في حلقة براغ اللسانية، درس الصوتيات واللسانيات العامّة، كما اشتغل على اللسانيات التاريخية والاجتماعية.

*-فاشيك:له كتاب بعنوان: لسانيات مدرسة براغ، ومقدمة إلى نظرياتها وتطبيقاتها.

[4] -Voir JU.D.APRESJAN, Eléments sur les idées et les méthodes de la linguistique structurale contemporaine, Dunod, Editeurs, Paris, P : 66.

[5]- ينظر د.دراقي زبير، محاضرات في اللسانيات التاريخية و العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 84.

[6]- لاهاي LA HAYE : مدينة بهولندا وبها مقر محكمة العدل الدولية

وبعد تقديم هذه النصوص، صاغوا منهج دراستهم اللغوية في بيان أصدروه في مؤتمر اللغات السلافية سنة **1929**، وركّزوا على العلاقة بين المنهج الآني والتاريخي[1]، كما ظهر في السنة نفسها المجلّدان الأوّلان (من أعمال جماعة براغ اللسانية)، وتركّزت هذه الأعمال حول الفونولوجيا بمعنى "علم أصوات اللسان"، أو "علم وظائف الأصوات".

وبعد سنة نظمت في براغ ندوة فونولوجية؛ شارك فيها ممثّلون من تسعة بلدان، وتقرّر فيها تأسيس جمعية للدراسات الفونولوجية، وفي المؤتمر العالمي الثاني لعلماء اللسانيات المنعقد في جنيف سنة **1931**، خُصّصت جلسة كاملة لموضوع الفونولوجيا، وأضحى جليّا أنّ العلم الجديد قد حاز رضى مجموعة من الدارسين وحلقات دراسية رعته منذ بدايته[2].

وما يمكن قوله هو أنّه على الرغم من الإمكانيات القليلة، وظروف الهجرة وأزمة الحرب الحروب إلاّ أنّ نشاطها تطوّر وظهر خاصّة في السنوات الثلاثين والأربعين، ولكن ضعُف إبداعها بعد ذلك بسرعة، وحُلّت كهيئة علمية في **1953**، وثمّ تجدّدت في **1964** من خلال بعض الأعمال الوظيفية.

2- مبادئ المدرسة الوظيفية:

اللافت للانتباه أنّه لولا المفاهيم التي أتى بها دي سوسير كالتمييز بين اللغة والكلام، والآنية والتعاقبية، والدال والمدلول، وغيرها من المصطلحات لما تسنّى لعلماء مدرسة براغ وغيرهم التوصّل إلى دراسة الأصوات من منظور جديد، خاصة إذا علمنا أنّ دي سوسير أولى عناية فائقة إلى الفونولوجيا، وركّز على الجانب الأكوستيكي (السمعي) للأصوات، وعَقَد فصلا خاصا لذلك بعنوان: "مبادئ في الفونولوجيا"[3].

وقد أفاد تروبتسكوي من ذلك، وأضاف رؤية جديدة حيث قال: "وفيما يتعلّق بإطلاق هذه التسميات على "علم أصوات الكلام" و"علم أصوات اللسان" ينبغي أن نلاحظ أنّ ما اصطلحنا عليه نحن من لفظتي الفونيطيقا والفونولوجيا لم يكن يستعمله جميع علماء اللسان بنفس المعنى. فهذا العلاّمة دي سوسير كان أوّل من اقترح تمييزا صوريا من هذا القبيل، إلا أنّه قد عدَّل من اقتراحه فيما بعد. وذلك بأن أدرج تحت مصطلح الفونولوجيا الدراسة

[1].ينظر تروبتسكوي،مبادىء علم وظائف الأصوات،ترجمة: عبد القادر قنيني،دار قرطبة للطباعة والنشر،الدار البيضاء، ط:1 سنة: 1994، ص: 5-6.

[2] -Voir JU.D.APRESJAN, Eléments sur les idées et les méthodes, P : 66.

[3]- فردينان دي سوسير، المرجع السابق، ص :69.

الستاتيكية السكونية للأصوات (و بتعبيره التزامن أو الوصف) وتحت اسم الفونيطيقا الدراسة التاريخية (التواترية الدياكرونية) للأصوات؛ أي تاريخ ما يطرأ على الأصوات من تعديلات حادثة في اللسان"[1].

ويتجلّى وضوح الفرق بين المصطلحين واضحا من النصّ، كما أنّ الانطلاق من فهم دي سوسير لهما أسّس الرؤية للتجديد.

ويعدّ البيان الذي أصدره مؤسّسو مدرسة براغ مرجع الأصول الأولى للبنيوية التي استخدمت لأوّل مرة في دراستهم، واعتبروها منهجا أساسيا في البحوث اللغوية، كما أكّدوا على ضرورة التمييز بين أصوات الكلام وأصوات اللغة.

وينظرون إلى اللغات كما ينظر أي شخص إلى آلة، باحثا عن فهم الوظائف التي تؤدّيها مختلف الأجزاء أو مكوّناتها العاملة، وكيف تؤثّر طبيعة كلّ جزء على طبيعة وعمل الأجزاء الأخرى، وكان سؤالهم الهام أثناء التحليل هو: لماذا سارت اللغات بهذا الطريق أو الكيفية، وهذا بخلاف معاصريهم الذين كانوا يسألون: أي شيء تشبه اللغات؟[2].

وجعلتهم نظرتهم إلى اللغة في جانبها الوظيفي يتميّزون عن المدارس اللسانية الأخرى المعاصرة لهم، إذ رأوا جميع عناصرها تعمل وتتشابك وترتبط فيما بينها من أجل خدمة الهدف التبليغي التواصلي.

وترى مدرسة براغ أنّ اللغة أداة لها، وظيفة تقوم بها، أو تنوّع واسع في الوظائف، كما اهتمّت باتجاهاتها الجمالية والأدبية وبخاصّة عند رومان ياكوبسون، وبذلك تأسّست العلاقة بين علم اللغة الوصفي (اللسانيات) والبنيوية في الشعور العالمي، ممّا أدى بباحثيها إلى اللجوء إلى أسبقية الدراسات اللغوية للآثار الأدبية قبل الاهتمام بالنقد الأدبي.

وما يمكن استنتاجه هو أنّه على الرغم من التطوّر الذي حدث في الدراسات الصوتية التي انتقلت من منهجيتها التعاقبية إلى استعمال الآلات المستحدثة، إلاّ أنّ بعض لسانيي براغ أدركوا منذ **1926** أنّ علم الصوتيات بقدر ما اقترب من العلوم الدقيقة بقدر ما ابتعد عن اللسانيات بمفهومها العلمي الإنساني، فكان أن بحثوا عن كيفية أخرى غير طريقة المخابر

[1]- ينظر تروبيتسكوي، علم وظائف الأصوات، ص: 9.

[2]– ينظر جيفري سامبسون، المدارس اللغوية، ص: 115.

والتجارب لدراسة أصوات اللغة[1]. ويفهم من هذا أنّ الدراسة المخبرية لا تهتمّ بالجانب الفكري والعاطفي لما تنقله الأصوات في تركيبها ومضامين أيضا إلى المتلقّي.

ومن هنا ظهرت نظرية الفونولوجيا التي تميّز بين أصوات اللغة من حيث وظيفتها ودلالتها، من الأصوات من حيث إنتاجها ومخارجها وصفاتها. ولذلك فإنّ خصائص أي لغة تقوم على أساس التقابلات بين الأصوات التي تميّز الكلمات، وأنّ لكل صوت مجموعة من السّمات، والملامح التي تميّزه من أصوات اللّغة الواحدة[2].

ونظرية الفونولوجيا هي التي طوّرها البراغيون على الخصوص، وهي معروضة في كتاب "علم وظائف الأصوات" لتروبتسكوي، وهو مؤلّف يضمّ وصف ما يقارب مائتي (200) نظام فونولوجي للغات مختلفة، فهو يفصل بين الفونتيك والفونولوجيا، فالفونولوجيا للفونتيك بمثابة الاقتصاد السياسي عندما يدرس السلع، أو بمثابة علم التجارة الذي يهتمّ بعلم النقود أو علم المسكوكات[43](NUMISMATIQUE) ، وهو الدراسة العلمية للنقود وتاريخها وقيمتها، ويبرهن على أنّها تاريخ للبشر ومصادر حياتهم وتاريخهم الاقتصادي.

ويرتبط مصطلح الفونيم أو الوحدة الصوتية بهذه النظرية التي كانت خطوة متطوّرة في الدراسة اللغوية، و دد الوحدات الصوتية محدود في كل لغة وهي تختلف عن الأصوات التي تعرفها لغة أخرى.

ولقد قدّم علماء براغ في ضوء شرحهم للفونيم وتطوير الفونولوجيا إسهامات في ميادين أخرى للسانيات مثل علم الأصوات الأسلوبي أو الأسلوبية الصوتية [5](PHONOSTYLISTIQUE). ويدرس الأصوات في الخطاب وعلاقتها بالمعنى، أو أسلوبية الكلام الشعري في مستواه الصوتي. وقد اهتمّ بهذا المبحث البلاغيون العرب القدامى مثل ابن سنان الخفاجي في سرّ صناعة الإعراب، وكانت الموضوعات التي تناولوها فصاحة الأصوات و التعبير عن أثرها فيه.

---

[1]– ينظر د.دراقي زبير، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة ، ص: 84.

[2]– ينظر د.كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ص: 57.

[3]– علم المسكوكات هو العلم الذي موضوعه خاص بدراسة ووصف العملات والميداليات والأوسمة.

[4]– Voir JU.D.APRESJAN, Eléments sur les idées et les méthodes, P : 67.

[5]– ينظر تروبتسكوي، المرجع السابق، ص: 30.

وإذا كان المبدأ الأساسي في نظرية الفونولوجيا يعتمد على فكرة دي سوسير التي ترى اللغة نسقا أو نظاما من العلامات يتقابل بعضها مع البعض الآخر، وأنّ وصف هذه الوحدات أو العناصر لا يتمّ إلاّ بالنظر إلى علاقة كلّ عنصر بما عداه من العناصر الأخرى، فهي – أيضا- تعميق منهجي لها؛ وتأخذ بثنائياته التي تفرّق بين اللغة والكلام. فالكلام يقابل مصطلح الفونتيك الذي يدرس أصواته، واللغة تقابل الفونولوجيا التي تدرس وظيفة هذه الأصوات.

وفي الأخير رأت مدرسة براغ أنّ المنهج البنيوي قابل للتطبيق في دراسة دلالات الكلمات، فالمعجم في نظر أصحابها ليس كلمات منعزلة؛ أو هي سجلّ من المفردات مرتّبة على طريقة معيّنة؛ بل هو نظام متناسق داخله الكلمات، ولابدّ من بحث الملامح والمعالم البنيوية لدلالاتها، كما أنّ الكلمة لا تحدّد إلاّ في ضوء علاقاتها بالكلمات الأخرى في المعجم أي بوصفها في النظام وليست مستقلّة عنه؛ لأنّ دراستها طبقا للترتيب الهجائي أو الصوتي دراسة يشوبها القصور[1].

3- أعلام المدرسة الوظيفية

أ- نيكولاي تروبتسكوي (NICOLAI TROUBETSKOY) (1890-1938):

ينتمي إلى عائلة مثقّفة من النبلاء الروس، كان والده أستاذا للفلسفة، ومديرا لجامعة موسكو، بدأ في مقتبل عمره دراسة اللغات الفنلندية الأغرية *(FINNO-UGRIE) ، وفقه اللغة، والتراث الشعبي القوقازي.

وكان طالبا في قسم علم اللغة الهندو-أوربية في الجامعة التي يديرها والده، ثم أصبح عضوا في هيئة التدريس في 1916.

هاجر من روسيا إلى النمسا حيث عمل أستاذا بجامعة فينا (VIENNE) التي بقي فيها إلى أن توفّي بعد بضعة أشهر من 1938 إثر نوبة قلبية حادّة.

وكان من كبار اللغويين المعروفين بجامعة براغ، ونشرت جماعة براغ بعد وفاته كتابه الشهير الذي تعرف أفكاره اليوم بشكل رئيسي منه، وكان قد صارع لإنهائه في الأسابيع الأخيرة من حياته، ونجح في ذلك على أرجح الروايات[1].

---

[1]– ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 57.

*الفينو أوغرية: لغات تنتشر من شرق أوربا شمالا إلى المجر جنوبا، وتنتمي إلى العائلة الأورالية الألطية، وتدعى هذه اللغات – أيضا– اللغات الأورالية، وأمثلتها الفنلندية، الإستونية، والهنغارية.

ترجم كتابه الذي كتب في الأصل باللغة الألمانية بعنوان **(PRINZIPIEREN DER PHONOLOGIE)**، إلى الفرنسية **1949** بعنوان **(PRINCIPES DE PHONOLOGIE)**، وإلى الإنجليزية، أمّا إلى العربية فحسب علمنا – فقد ترجمه عبد القادر قنيني سنة **1994** بعنوان "مبادئ علم وظائف الأصوات" (الفونولوجيا).

ويبدو واضحا تأخّر الترجمة في عالمنا العربي، كما هو الشأن في كثير من المصادر الأساسية للعلوم والمعرفة؛ إذ ظلّت الثقافة العربية تلجأ إلى الملخّصات الواردة في بعض المراجع الأجنبية للتزوّد بآراء تروبتسكوي وغيره، مما يدلّ كذلك على أنّ الثقافة العربية بقيت ما يربو عن النصف قرن، أو حينا من الدهر محرومة من أفكار مهمّة في الفونولوجيا ومن منهجها.

وتندرج أفكار تروبتسكوي في إطار المفهوم الوظيفي الذي قالت به حلقة براغ اللسانية، الذي ينظر إلى اللغة من حيث هي تنظيم وظيفي؛ أي تنظيم قائم على الوسائل التعبيرية المستعملة بهدف إقرار غاية معينة، وخاصّة التبليغ والتواصل، ويتوسّل اكتشاف هذا التنظيم[2]، ولذا تشمل دراسته مجمل المستويات اللغوية مرتبطة فيما بينها، ومتعلّقة ببعضها البعض: الفونولوجيا، والصرفية والمعجمية.

ومن مبادئه الأساسية التي اعتمدها في دراسته اللغوية:

- الفونتيك والفونولوجيا: حيث ميّز بين العلمين، واعتقد إمكانية استعمال المعطيات الفونيتيكية في التحليل الوظيفي للوحدات الفونولوجية، ومّيز بين ثلاث وظائف أساسية للوحدات الفونولوجية وهي:

أ- الوظيفة التزايدية: **(FONCTION CULMINATIVE)** أي إنّها تدلّ على كمّية "الوحدات" وعددها (كلمات- مجموعة من كلمات) ممّا تنطوي عليه الجملة المعبّرة أو المعنية، ومثال ذلك ما يقوم به دور التشديد والضغط على النبرة الأساسية في لفظ اللغة الألمانية.

---

[1]– ينظر جيفري سامبسون، المدارس اللغوية، ص: 110، و يوجد رأي يقول إنّ تروبتسكوي لم ينه كتابه.

[2]– ينظر د. ميشال زكريا، الألسنية ،المرجع السابق ص: 236.

ب- الوظيفة التحديدية: (**DELIMITATIVE,** FONCTION **DEMARCATIVE**) والتي تهدف إلى وضع الحدود بين الوحدات الفونولوجية؛ أي مجموعة ألفاظ مرتبطة أشد الترابط، (كلمات، أو بنية أصلية قائمة بذاتها).

ج- الوظيفة التمايزية **(DISTINCTIVE):** وهي تعدّ نواة التصوّر الفونولوجي عند تروبتسكوي[1]، فهو يعرف الفونيم من حيث وظيفته على أنّه أصغر وحدة صوتية يمكنها في مستوى الدال أن تظهر تقابل علامتين مختلفتين وتمايزهما.

بمعنى أن يوجد تضاد صوتي قادر على التمييز بين كلمتين من حيث المعنى، فمثلا الكلمتان: جاء وجال، فواضح أنّ وجود الهمزة في جاء/مكان اللام في جال/ قد ميّز بين دلالة الكلمتين، ولهذا فإنّ مفهوم الفونيم يأتي من مفهوم التغاير والتضاد في المجال الصوتي[2].

ب- رومان ياكوبسون ROMAN JACKOBSON

ولد سنة 1896، تخصّص في القواعد المقارنة وفقه اللغة السلافية عندما كان في جامعة موسكو، وأسّس سنة 1915 مع بعض الطلاب "نادي موسكو الألسني"، وعنه تولّدت مدرسة الشكلانيين الروس، كما ساهم في وضع بعض النظريات الأدبية الحديثة.

توجّه سنة 1920 إلى براغ حيث عمل ملحقا ثقافيا، وشارك تروبتسكوي في وضع أسس الفونولوجيا البنيوية. أصدر سنة 1921 دراسة تناولت الشعر التشيكي ومقارنته بالشعر الروسي الحديث، فاهتمّ لأوّل مرّة بالقيمة الصوتية للشعر وارتباطها بالمعنى، فكان البحث إرهاصا لتبلور مفهوم الفونيم من جهة، وثورة في علم الأصوات الحديث، وقد ركّز في دراسته اللغوية على الجانب الوصفي واتّخاذ الوظيفة أساسا للدراسة الصوتية، كما ارتبط اسمه بالنظرية البنائية [3]**(LE BINARISME).**

---

[1]- ينظر تروبتسكوي، علم وظائف الأصوات،ص:31و- Voir JU.D.APRESJAN, Eléments sur les idées et les méthodes, P : 67

[2]- ينظر د. ميشال زكريا المرجع السابق، ص: 237.

[3]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 56.و تقوم النظرية البنائية على وجود نظام مكوّن من عنصرين كالعلامة أو التوازي بين عنصرين.

أعدّ الدكتوراه في سنة **1930**، وشغل نائب رئيس نادي براغ الألسني سنة **1938**، وفي عام **1939** انتقل إلى الدانمرك والنرويج، فدرّس في كوبنهاجن وأوسلو، وتميّزت هذه المرحلة بأبحاثه في لغة الأطفال وعاهاتهم.

وفي سنة **1941** سافر إلى الولايات المتحدة حيث درّس في معهد الدروس العليا في نيويورك **(ECOLE DES HAUTES ETUDES)** في الفترة ما بين **1942** و**1946**، ودرس من سنة **1943** حتى **1949** في جامعة كولومبيا، وفي جامعة هارفارد من **1949** إلى **1957**.

ويمثّل ياكوبسون إحدى حلقات الاتصال العلمية القليلة بين التقاليد اللغوية الغربية والأمريكية، وأصبح صاحب الحقّ الذي لا ينازع في تلك الدراسة، ولقد غيّرت أفكاره تغييرا جذريا الاتّجاه الذي ظهر في علم اللغة الأمريكي في العشرين سنة الأخيرة[1]؛ بل كانت لبحوثه تاثير واضح في الدراسات النقدية الغربية والعربية.

ومن كتبه:

- البينة الصوتية للغة **LA CHARPENTE PHONETIQUE DU LANGAGE**
- قضايا الشعرية **QUESTION DE POETIQUE.**
- مقالات في اللسانيات العامة **ESSAIS DE LINGUISTIQUE GENERALE**
- ست محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة حسن كاظم وعلي حاكم صالح.

اطّلع على أعمال دي سوسير وهوسرل، وكشف ما في اللغة من طاقة خلاّقة وإبداع فاجتمعت لديه الدراسة اللغوية والأدبية، واهتمّ باللغة واللهجة والفلكلور منذ الصغر.

ويعتمد ياكوبسون على عدد معيّن من الوظائف الكلامية انطلاقا من نظرية التواصل القائمة على المرسل والمستقبل، والرسالة، والسياق أو الإحالة، والعلاقة بين المرسل والمستقبِل، والقانون المحدّد للوظيفة التعبيرية والوظيفة الشعرية[2].

- نظرية التواصل عند ياكوبسون وتحليل الخطاب الأدبي

من المعلوم أنّ الباثّ يسعى إلى تبليغ وإيصال أفكاره بعدة أنظمة تواصلية، إذ يمكنه أن يوصل باللغة الرمزية كتلك المستعملة في أبراج المطارات والموانئ، وبالكتابة كأن تتّصل مؤسّسة أو إدارة بعمّالها عن طريق المنشورات، وملصقات، ورسائل إذاعية وتلفزيونية...

---

[1]– ينظر جيفري سامبسون، المدارس اللغوية، ص: 121–122.

[2]ينظر د.محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 170. و ينظر عبد السلام المسدي الأسلوب والأسلوبية، ص: 157.

ويهدف كلّ نوع من أنواع الاتّصال إلى نقل رسالته، وما يهمّنا هو تواصل أديب أو كاتب بقرائه أو جمهوره مستعملا لغة يشترك فيها معهم، وهي اللغة التي اصطلح عليها العلماء – ومنهم دي سوسير – على أنّها نظام من العلامات المعبّرة عن الأفكار والمعاني والمتمثّلة في اللغة الإنسانية، وهي الأكثر سعة وانتشارا وغنى من أنظمة التواصل الأخرى.

ويتضمّن فحوى مرسلاتها عددا من العناصر كما يوضّحها الرسم الآتي[1]:

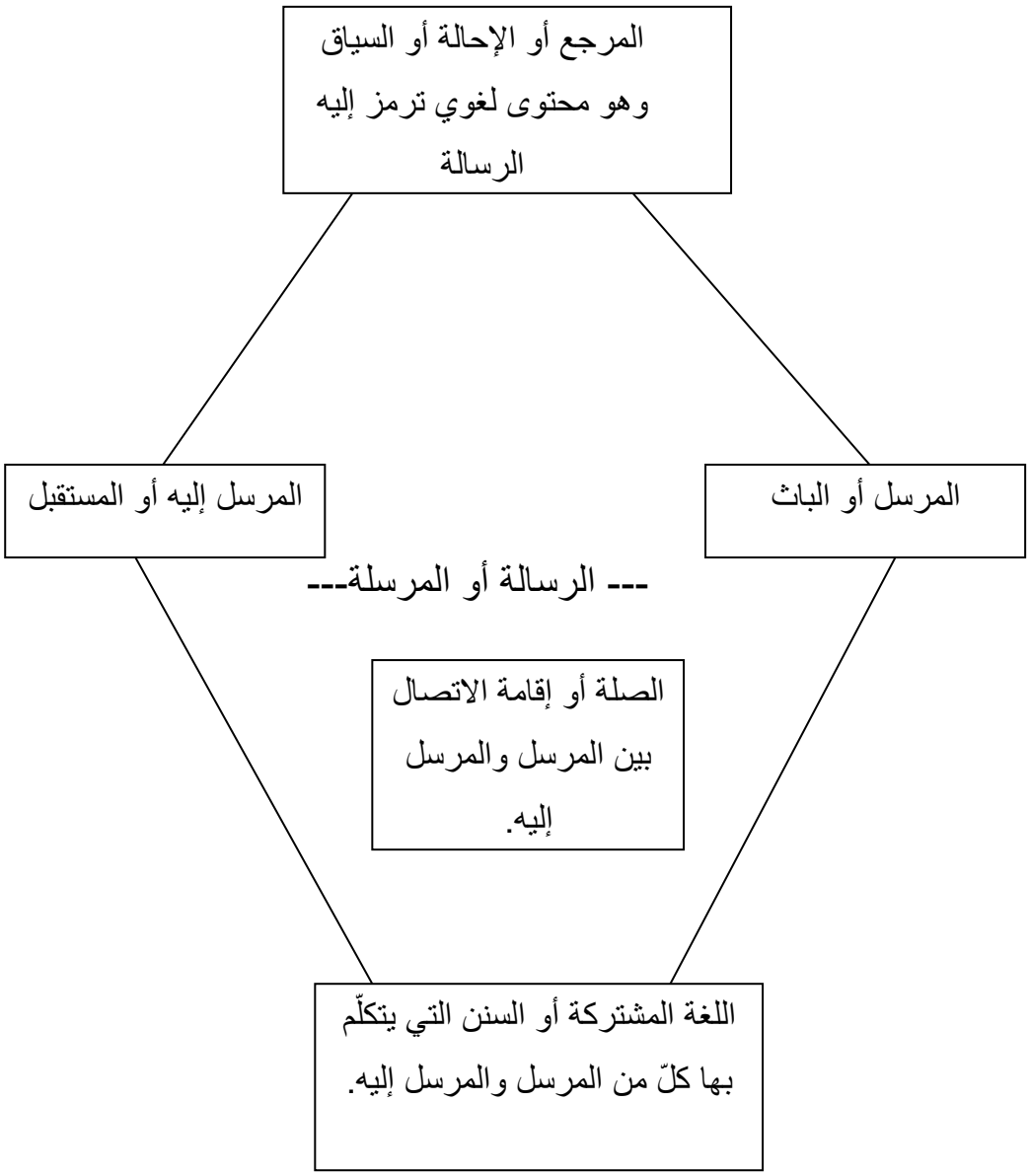

ولتوضيح تلك العناصر التي اشتمل عليها الرسم، نقول:

[1] -Voir, J.M .Adam ; linguistique et discours littéraire, P : 28.

أ- إنّ الباثّ أو المرسل: هو الذي يرسل الرسالة، ونلفيه مرّة شخصا وتارة مؤسّسة، وطورا جمعية، وأحيانا غير هذا ولا ذاك. وعلامته هي ضمير المتكلّم المفرد وضمير المتكلّم الجمع.

ب- المرسَل إليه أو المستقبل: وهو الذي يستقبل الرسالة ونجده متنوّعا أيضا، فمرّة يكون شخصا، وتارة مجموعة من الأشخاص، وطورا آلة كمبيوتر أو جهاز حاسوب. ويتمّ الاتصال إذا لوحظ سلوك يدلّ على الاستقبال، وينبغي التمييز بين الاستقبال والفهم؛ لأنّ الرسالة قد تستقبل ولكن قد ينعدم تفهّمها.

ج- الرسالة: وهي مضمون المعلومات والأفكار المنقولة من المرسِل إلى المرسَل إليه، كموضوع الإصلاح الذي تضمّنه خطاب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، أو مضمون الثورة الذي احتوته قصائد مفدي زكريا...

د- قناة الاتصال: وهي خط مرور الرسالة أو الوسيلة التي يعمِد إليها الباث لنقل رسالته، ويمكن أن تكون سمعية كالهواء أو مدركة بالعين كالجريدة أو المجلّة أو الكتاب...

هـ - اللغة أو السنن: وهي مجموعة العلامات المركّبة والمرتّبة في قواعد، وليس من السهل تأليف رسالة بها، إذ أنّ الباث كثيرا ما يعاني، ويشكو من عدم معرفتها معرفة جيّدة، خاصّة عندما يجد نفسه أمام موضوع تشابكت أجزاؤه، أم لم يكن على علم به، أو أمام شخص لم تسمح له الظروف أن خاطبه من قبل.

ويتعرَّف المرسَل إليه على هذا النظام من العلامات وعملية فكّها، إذا كان يملك القاموس اللساني نفسه الموجود لدى الباث، وهي عملية تظهر في عدّة حالات[1]:

1- لا يتمّ التواصل: إذ الرسالة تستقبل، ولكنّها غير مفهومة، لأنّ كلاّ من المرسِل والمرسَل إليه ليس لهما العلاقات اللغوية المشتركة، ومن ذلك حديث أو كتابة بين عربي وإنجليزي وكل منهما يجهل لغة الآخر؛ ويوضّح الرسم البعد العاطفي، وعدم فهم بعضهما البعض:

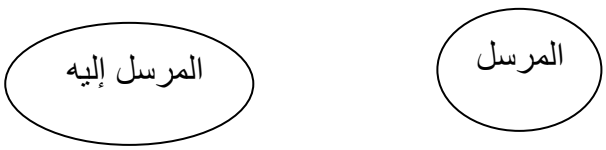

[1] - Voir, Français Vanoy, Expression et Communication, P : 15.

2- يكون التواصل محدودا، إذ العلامات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه قليلة مثل مناقشة بين فرنسي وطالب عربي يدرس اللغة الفرنسية منذ سنة؛ فقد يفهم المرسَل إليه بعض الكلمات أو بعض الجمل فقط، ولكن قد تبقى الرسالة غامضة لديه:

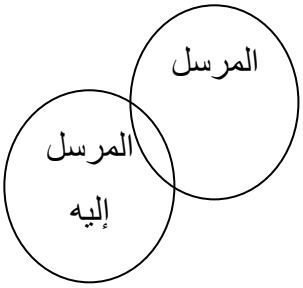

3- التواصل أوسع، لكن وضوح العلامات ليس جيّدا، إذ بعض عناصر الرسالة غامض لدى المستقبل مثل تقديم درس بمستوى عال لطلاب ليسوا مهيّئين لفهمه، فيلاحظ اتّساع دائرة الفهم، لأنّ نقاط التشارك بين المتخاطبين زادت، أو فيها الفهم أوسع من قبل المتلقّي للرسالة:

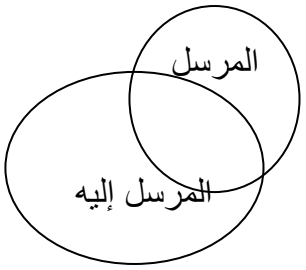

4- التواصل تامّ، فكلّ العلامات المرسَلة من الباثّ إلى الملتقّي مفهومة لديه، والعكس ليس صحيحا؛ لأنّه ليس من الضروري أن يملك الشخصان ثروة لغوية واحدة ويسيطران على التراكيب النحوية نفسها وكذا الأساليب.

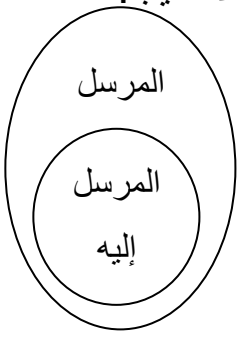

بمعنى إن المرسل إليه قد فهم الرسالة واستوعبها ويمكنه أن يتأثّر ويقتنع بها...

و- المرجع: وهو مؤلّف من السياق والمواضيع التي ترمز إليها الرسالة، وإذا أخذنا خطاب الإبراهيمي نموذجا، وجدنا مرجعه يتضمَّن التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية التي تنتمي إليها الأمة الجزائرية، وكذلك الواقع الذي يحياه يوميا ويعيش في خِضمِّ أحداثه والتي تحاول تجاوزه بتقديم الغالي والنفيس من أجل استرجاع الاستقلال..

وما يمكن ملاحظته هو أنّ العناصر المذكورة ليست منفصلة عن بعضها البعض.

وفي ضوء العناصر الستة لعملية التواصل صاغ ياكوبسون نظريته الشهيرة في التواصل، ووظائف الخطاب. فأصبحت لها مكانتها وجدواها في تحليل الخطابات المختلفة الإعلامية منها والأدبية وغيرها.

فقد رأى كلّ عنصر من العناصر السابقة يولّد وظيفة لسانية تختلف نوعيا عن الأخرى، وترتبط بها في الوقت نفسه[1]، فعرّف كل وظيفة تعريفا دقيقا وهي كالآتي:

أ- الوظيفة التعبيرية: وتسمّى أيضا الانفعالية، وينتجها المرسِل، وتمثّل شخصيته في الخطاب[2]، وهي تنزع إلى التعبير عن نفسية المرسِل ومواقفه إزّاء الموضوع الذي يعبّر عنه، "وتشير بصورة مباشرة إلى موقفه من مختلف القضايا التي يتكلّم عنها"[3]، ويتجلّى ذلك في طريقة النطق مثلا، أو في أدوات لغوية تفيد الانفعال كالتأوّه أو التعجّب أو صيحات النجدة والاستنفار، كقول الإبراهيمي:

" وا ذُلاّه...وا ذُلاّه... أما يكفينا ضعة وهوانا، أن نستجدي ونمدّ أكف (الشحاتين) في شؤون الدنيا"[4].

ب - الوظيفة الندائية: وهي تتمحور حول المرسل إليه وما يتعلّق به، ويضعه في المرسلة لإثارة انتباهه، والطلب منه القيام بعمل معيّن، وتدخل الجملة الأمرية والدعائية في ذلك، وهما من الأساليب الإنشائية، ونحو ذلك ما قاله الإبراهيمي(ت1965م): "وأوصيكم بحسن العشرة مع بعضكم إذا اجتمعتم، وبحفظ العهد والغيب لبعضكم إذا افترقتم"[5].

---

[1]- ينظر د.عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص: 158.

[2] –Voir, Français Vanoy, Expression et Communication, P : 55.

[3]- ينظر د. ميشال زكريا المرجع السابق، ص: 25.

[4]- الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 25.

[5]- الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 25.

و قول المعري (363هـ - ت 449هـ)

غَدَوت مريضَ العَقلِ والدِّين فالقَنِي لِتَسْمع أَنْبَاء الأُمُور الصَّحَائحِ

فلا تَأْكُلَن مَا أخْرَج الماءُ ظَالِما ولا تبْغِ قُوتا غَرِيض الذبَائِحِ

ولقد ميّز البلاغيون العرب بين الأساليب الإنشائية والخبرية ووضعوها في قسم علم المعاني الذي عرّفه السكّاكي بقوله: "هو تتّبع خواص تراكيب الكلام على ما تقتضي الحال ذكره"[1].

والخطاب يكون إما إنشاء وهو ضربان: طلبي وغير طلبي، أو خبرا و"اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنّه منحصر فيها، ثمّ اختلفوا فقال الأكثر منهم: صدق مطابق حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابق حكمه له"[2].

وهو عين ما لجأ إليه ياكوبسون عندما فرّق بين الجملة الاقتضائية الطلبية والجملة التقريرية (الخبرية)، إذ يراهما تختلفان؛ إلا أنّ الأولى لا يمكنها أن تخضع لاختبار الحقيقة – الصدق- أما الثانية فإنها تخضع لها[3].

ج- الوظيفة المرجعية: وتسمى بالدلالية وهي متمركزة حول السياق، وتظهر في المرسلة ذات المحتوى الذي يتناول موضوعات وأحداثا معيّنة، وتشكّل التبرير الأساسي لعملية التواصل، ذلك أنّنا نتكلّم بهدف الإشارة إلى مضمون خاص نرغب إبلاغه للآخرين، وتبادل الآراء حوله معهم، وهي وظيفة تؤدّي الإخبار؛ لأنّ اللغة في هذه الوظيفة تحيلنا على أشياء موجودة نتحدّث عنها، وهي تقوم بالرمز إلى الموجودات والأحداث المبلغة[4].

ففيما كتبه الإبراهيمي مشيرا إلى أنّ " الإسلام في الجزائر ثابت ثبوت الرواسي"[5]، فنلاحظ الوظيفة المرجعية في هذا الخطاب تتعلّق دلالاتها بتاريخ الإسلام في الجزائر الذي يعتبر ثابتا وراسيا فيها، ولا يمكن لأحد زعزعته أو تحريكه مثل استحالة تحرّك الرواسي من مواضعها و أماكنها.

---

[1]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 12.

[2]– الخطيب القزويني، المرجع نفسه، ص: 13.

[3]– ينظر عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص: 159.

[4]– ينظر عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص: 159.

[5]– الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 66.

د- وظيفة إقامة الاتصال: أو الصلة وتسمّى بالانتباهية، وهي تتمحور حول إقامة الاتصال أو قطعه، وتكمن في الحرص على إبقائه بين المرسِل والمرسَل إليه أثناء التخاطب، ومراقبة عملية الإبلاغ، كما تظهر هذه الوظيفة في المرسلات التي تراعي تأمين استمرار التواصل، ويندرج فيها كلّ ما يلفت الباثّ به انتباه سامعه أو قارئه، من تأكيد وتكرار أو إطناب[1].

وقد انتبه البلاغيون إلى هذه الوظيفة واعتبروا بعض جوانبها مرتبطا بالعيّ الذي يناقض البلاغة والفصاحة، فقد سئل العتابي: "ما البلاغة؟ فقال: كلّ ما أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ... فقيل له: قد عرفنا الإعادة والحبسة، فما الاستعانة؟

قال: أما تراه إذا تحدّث قال عند مقاطع كلامه: يا هناه، ويا هذا، ويا هيه، واسمع مني، واستمع إليّ، وافهم عني، أو لست تفهم، أو لست تعقل، فهذا كلّه وما أشبهه عيٌّ وفسادٌ"[2].

ويمكن أن نمثّل لوظيفة إقامة الاتصال بما ورد عن الإبراهيمي حيث يقول:

"من أراد الحقيقة في كلمة فهي: إنّ المسيحية هي الاستعمار، وسيأكلها يوم لا يجد ما يأكله، يا قوم... ، يا قوم... إنّ الأيّام دول، وإن دين الله لا يثبّت بالمزامير ولا بالمسامير؛ وإنما يثبت بحقائقه وفضائله".[3]

يعتبر استعمال كل من التأكيد والقصر والنداء أدوات لإقامة الاتصال حتى يظلّ التواصل مستمرا، ويقتنع القارئ بالرسالة الموجّهة إليه، وينتبه إليها ويتأثّر بها.

هـ - وظيفة تعدّي اللغة أو السنن: وهي متعلّقة باللغة المستعملة ذاتها في المرسَلات، وكلّ ما يساعد على توضيحها، فتشمل عناصر البنية اللغوية، وتعريف المفردات، ليتأكّد طرفا الخطاب من أن التخاطب قائم على التفاهم المتبادل، ولتوضيحها نورد هذا الشاهد، يقول الإبراهيمي: "إنّ الوطن – وهو أبو الجميع- يتطلّع من وراء الهجرة إلى إحياء تعمير وإعادة مجد وبناء تاريخ"[4].

فالمرسِل يبيّن في هذه السلسلة من الجمل أنّ هجرة أبناء الوطن إلى كلّ من المشرق المغرب وتونس وأوربا لا ينبغي أن تكون لهدف الغنيمة، ولا جمع الأموال، والتعلّم لنيل

---

[1]- ينظر د.عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص: 159.

[2]- الجاحظ البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، ج1:، ص: 113.

[3]- الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 124.

[4]- الإبراهيمي، المصدر نفسه، ص: 215-216.

الشهادات لنفع الذات والأهل فقط، وإنّما يجب أن تعود هجرتهم بالفوائد على الوطن؛ ولكن لماذا؟ لأنّ الوطن أبو الجميع، وهو يضحّي في سبيله الناس جميعا دون، انتظار مقابل. وهل يفرّط أحد في أبيه، فالأب هنا هو الوطن وبدل منه.

فهو الذي يستحقّ أن تكرّس من أجله، وفي سبيله المشاقّ والمتاعب والأعمال الجليلة ليتحرّر من المستعمِر ويستقلّ، وليعمَّر ويعاد مجده، ويُعزّز تاريخه وتراثه، لأنّ حرّيته في الآباء حرية للأبناء، وفي تعميره تعمير للأهل.

ولهذا فالإبراهيمي يبيّن مفهوم الوطن بأنّه أبو جميع الأفراد الذين يعيشون داخله وخارجه، وكذلك تطلّعاته التي ينتظرها من وراء هجرة أبنائه.

و- الوظيفة الشعرية: وتسمّى بالإنشائية، وتتمحور حول الرسالة كعنصر قائم بذاته، والجانب الملموس من المعلومات حسب ياكوبسون. وهي لا تنحصر في الشعر فحسب، ولكن تتجاوزها لتشمل جميع المرسلات الخطابية، فهي الوظيفة التي تكون فيها الرسالة "غاية" في حدّ ذاتها، لا تعبّر إلا عن نفسها، فتصبح هي المعنية بالدرس والتحليل.

وقد أدّى البحث في العلاقة بين الرسالة والوظيفة الأدبية إلى بعض المواقف المتباينة، إذ ذهب بعضهم إلى أنّ هذه الوظيفة ليست موجودة في الكلام العادي التي تؤدّي فيه اللغة وظيفتها الاجتماعية الأساسية قائلين إنّ الوظيفة الأدبية تكون إذ ذاك في الدرجة الصفر.

واعترض عليهم آخرون محتجّين بأنّ ذلك يدفع بالبحث في شعاب تقف دون تقدّمه، لأنّه يصعب تحديد نقطة الانطلاق أو المعيار الذي تكون فيه اللغة في الدرجة الصفر، وحسم ياكوبسون هذا النزاع مبيّنا أنّ كلّ رسالة مهما كانت غايتها تتضمّن وظيفة أدبية، بقي أن درجة هذه الوظيفة تختلف من نص لآخر[1].

وتتّضح الوظيفة الشعرية في النص الآتي للإبراهيمي: "إنّنا نعلم أنّكم تنطوون في أيّام الطلب على خيالات وأماني من الرّاحة ورفهنية العيش، وعلى آمال فسيحة في المستقبل، يوم تنتقلون إلى العمل، وتنتقلون إلى أهليكم وتحملون الشهادات والألقاب"[2].

فما نستشفّه هو أنّ الكاتب وظّف في خطابه السجع الذي حقّق الانسجام بين المستقبل والعمل، وتنطوي تحتهما دلالات إيحائية تبرز الارتباط بينهما، إذ كلاهما يكمّل الآخر، فلا

[1]– ينظر د.عبد السلام المسدي الأسلوب والأسلوبية، عن حمادي صمود، معجم مصطلحات النقد الحديث، القسم الأول.

[2]– الإبراهيمي، المصدر السابق، ص: 219.

يمكن أن يبنى المستقبل إلاّ بالعمل الذي يحقّقه، وكذلك توظيفه "رفهنية" التي تعني رفاهية العيش ورغده، وهي تحمل دلالة أقوى من الرفاهية.

وترسم الوظائف الست بالشكل الآتي[1]:

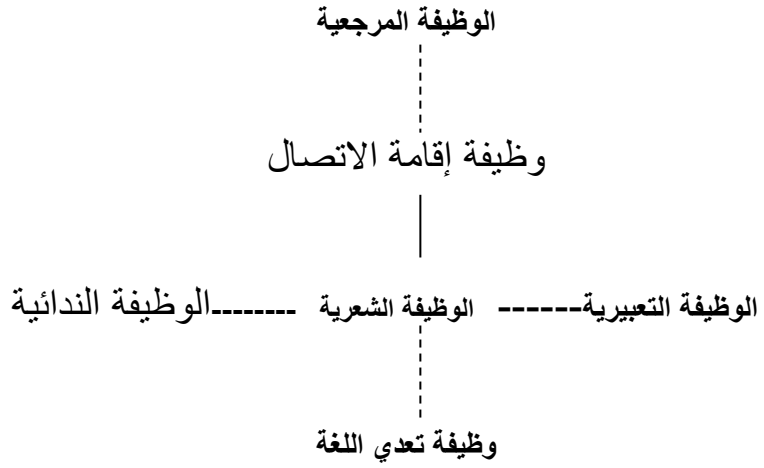

وتعتبر وظائف اللغة التي حدّدها ياكوبسون مدخلا لتحليل النصوص والتعابير والخطابات المختلفة، الإعلامية منها والأدبية والسياسية وغيرها، فتساعد على فهمها.

وعلى الرّغم من الانتقادات التي وجّهت إليها، والتي كان منها أنّ هذه الوظائف مرتبطة فيما بينها في رسالة لغوية معيّنة أو خطاب معيّن، إذ من النادر أن نعثر على وظيفة واحدة قائمة بذاتها ومستقلة عن غيرها من الوظائف، كما لا توجد مميزات لسانية خاصة بكل وظيفة ، فجملة واحدة يمكنها أن تكون تعبيرية وندائية وتعدّي لغوية[2] إلى غير ذلك.

ولكن مع ذلك فقد قدّم تحليلا للرسالة أو الخطاب مشتملا على منطلقات لفهمه، ولا يمكن تجاهلها وإغفالها.

ج- أندريه مارتينيه:

ولد أندريه مارتينيه عام **1908**، درس في السوربون، ثمّ في برلين شغل منصب أستاذ في كلية الدراسات العليا في باريس، وانتقل إلى كولومبيا في نيويورك ليشغل منصب أستاذ اللسانيات العامة، ورئيس قسم اللغويات **(1947)**، وعاد في **1955** إلى المعهد الذي كان يدرس فيه في باريس، كما كان عضوا في الأكاديمية الدانمركية والفرنسية، ومهما يكن فإنّ ماتيني

[1]– ينظر د.عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص: 161.

[2] – Voir, J.M .Adam ; linguistique et discours littéraire, P : 86-87.

قد تأثّر بشكل كبير بالتفكير البراغي والوظيفية في مرحلة مبكّرة، على الرغم من أنّه لم يعش في براغ[1]. وتوفي عام **1999**. ومن مؤلّفاته:

1- **Linguistique synchronique.**
2- **Linguistique diachronique.**
3- **La phonologie du mot danois (1937).**
4- **La prononciation du français contemporain (1945).**
5- **La description phonologique (1956).**
6- **Eléments de linguistique générale (1960).**

وتكمن الفكرة الأساسية في تيّار مارتيني في مفهوم التمفصل المزدوج، ويتمثّل الأوّل في المونيم، والثاني في الفونيم، فالأوّل يدخل في مستوى التعبير ومستوى المحتوى الذي بفضله إنّ عددا لا نهائيا من التعبير يصبح ممكن الوجود انطلاقا من عدد محدّد من المونيمات.

بينما التمفصل الثاني فإنّه لا يتعلّق بالتعبير، فتبادل جزء معيّن مع جزء آخر لا يؤدّي دائما إلى نفس التعبير المعنوي، وبفضل هذا التمفصل فإنّ عشرات المونيمات تسمح بتكوين عشرات الآلاف من الدوال المختلفة[2].

بمعنى آخر إنّ مارتيني يعطي اهتماما بالغا لوظيفة الوحدات التي تحمل معنى وصيغة صوتية، وهذه الوحدات ذات وجهين يمثّل:

- وجهها الأوّل: مدلول الدليل (المعنى).
- ووجهها الثاني الدال على المدلول، ويتألّف الدّال من وحدات التقطيع الثانوي الذي تسمىّ كل منها (وحدة صوتية) **(Phonème)**. واللغة عنده يجب أن تخضع لتقطيعين:

*- الأول هو "ذلك التقطيع الذي يمكن معه تجزئة كلّ موضوع من موضوعات التجربة البشرية عندما يراد نقلها للآخرين، وكذلك كلّ حاجة يراد تعريف الآخرين بها إلى سلسلة من الوحدات يكون لكلّ منها معنى وصيغة صوتية"، ونمثّل لهذا بالجملة التالية: "أمامي رجل في السيارة"، فهي تتألف من : /أمام/ي/رجل/في/ال/سيارة/.

[1]– ينظر جيفري سامبسون، المدارس اللغوية، ص: 117.

[2]– ينظر د.محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، ص: 170.

فليس بين الوحدات وحدة تستطيع أن تعبّر بمفردها عن خصوصية (سيارة) مثلا؛ بل كلّ وحدة تستطيع أن تدخل في تراكيب مختلفة لتعبّر عن خبرات بشرية[1]، وحتّى إن حاولنا بها ذلك فيبقى عامّا وغير محدّد، يحتاج إلى أن يوضع في التركيب ليكون أكثر تحديدا ومعرفة للمتلقّي.

- أمّا التقطيع الثاني فهو التقطيع الثانوي، إذ يرى مارتيني أنّه بفضله تستطيع اللغات أن تكتفي بعدد لا يتجاوز بضع عشرات من الأصوات المتميّزة التي إذا جمعنا عددا منها إلى بعضها بعض أعطتنا الصيغة الصوتية لوحدات التقطيع الأولي، وما يلاحظ هنا أنّ عددا من الأصوات يستطيع أن يؤلّف عددا غير متناه من الكلمات التي منها يتكوّن عددا غير متناه من الجمل والنصوص والخطابات.

فالوحدات التي نتجت عن التقطيع الأولي هي دلائل لأنّ لها مدلولا ودالا، وهي أصغر الوحدات في الواقع، ويسمّيها الوحدات الدالّة **Monèmes** التي تندرج تحت ما اصطلح عليه (الكلمة)، فكلمة /أمامي/ وحدة معنوية، والياء وحدة نحوية، واستنادا إلى هذا نرى الوحدات الصوتية وحدات مقطّعة، وتحافظ في جميع الظروف على قيمتها اللغوية، دون أن يكون لبعض الانحرافات الجزئية التي يستدعيها سياق الكلام أيّ تأثير على تلك القيمة.

ويرى مارتيني هذا التقطيع ممثّلا الطريقة "التي يمكن بها تصنيف الخبرة البشرية بين جميع أعضاء الجماعة اللغوية، وفي إطار هذه الخبرة يجري التفاهم اللغوي، كما أنّ هذه الخبرة غير قابلة للنقل؛ ولكنّها قابلة للتحليل إلى سلسلة من الوحدات والصيغ الصوتية، كما لا تقبل الوحدات تجزئتها إلى وحدات أصغر، فهذا كلّه يخص التقطيع الأول"[2].

[1]- ينظر صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة: 1994، ص: 59-60.

[2]- ينظر صالح بلعيد، المرجع نفسه، ص: 59-60.

الفصل السابع

المدرسة النسقية بكوبنهاجن

1- مبادىء المدرسة

2- تأسيس المدرسة

أ- أوتو يسبرسن

ب- هولدر بدرسن

3- تطوّر المدرسة

4- لويس يلملسف

أ- حياته وأفكاره

ب- مؤلّفاته

5- الكلوسيماتيك

6- منهجية وطريقة يلملسف في التحليل

خاتمة.

لقد شهد الشمال الأوربي حركة لسانية نشيطة، تأثّرت في أول الأمر بمبادئ دي سوسير، مؤسس البنيوية التي تفرّعت إلى اتّجاهات متعدّدة في أوربا وأمريكا، ذلك أنّه لم تعد بنيوية واحدة اليوم؛ وإنّما بنيويات؛ ثم طوّرتها فاستقلّت بمنهج متميّز وآراء جديدة.

وسمّيت المدرسة النسقية أوالكلوسيماتيكية أو نحو العلاقات على حدّ تعبير جيفري سامبسون[1]، أو كوبنهاجن نسبة إلى العاصمة التي نشأت بها. وتعتبر هذه المدرسة نفسها نظرية لسانية عامّة، وليست تقنية تجريبية فقط في معالجة النصوص[2].

1- مبادئ المدرسة النسقية

ترى هذه المدرسة أنّ لجميع الألسن خاصية مشتركة تتمثّل في مبدأ البنية، ولا تختلف فيما بينها إلا في كيفية تطبيقها، والاختلاف بينها أو التشابه يرتبط بالشكل، وليس بالمادّة التي يمكن وصفها علميا عن طريق الشكل، وليس عن طريق الأصوات أو المعاني، وهذا ما يؤكّد مثلا إمكانية وجود نظام صوتي عالمي[3].

ويعود ذلك إلى أنّ المدرسة النسقية اعتبرت اللغة كيانا صوريا مستقلا، وأنّها شكل أكثر من كونها مادّة، ويخضع هذا الشكل أو الكيان لنسق من العلاقات الداخلية يمكن دراستها بنوع من المعادلات الجبرية، ومن هنا فهي ترى اللغة تركيبا رياضيا، أو شكلا صوريا بعيدا عن المظهر الدلالي أو الصوتي[4].

وتأسيسا على ما سبق، فالمدرسة استمرار للاتّجاه البنيوي الذي بدأته مدرسة براغ، متأثّرة بالنسق أو النظام الذي أولاه دي سوسير المرتبة الأولى على العناصر المفردة.

وكما يقول يلمسلف: إنّه لا يكفي أن نقول إنّ الوحدة اللغوية لا تعرف إلا بغيرها من الوحدات؛ بل يجب أن نقول إنّها مكوّنة من مجموع علاقاتها بباقي الوحدات[5].

---

[1]- جيفري سامبسون، مدارس اللسانيات –التسابق والتطور، ترجمة د.محمد زياد كبة، ص: 175.

2-Voir Ju.D.Apresjan, Elément sur les idées et les méthodes de la linguistique contemporaire, P 55.

[3]- ينظر سليم بابا عمر عميري، اللسانيات العامة الميسرة، 1 –علم التراكيب، أنوار الجزائر، سنة 1990، ص: 31.

[4]-ينظر د.كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ص: 61.

[5]- –ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع نفسه، ص: 60.

بل إنه يضيف فيقول: "إن البنية كيان مستقل من العلائق، بينها تبعية وخضوع داخليين، وهي كلّ لا يتجزّأ، وتشكّل وحدة مستقلّة، وترتبط العناصر فيما بينها، ولها قوانينها الخاصّة[1]. "ذلك أننا إذا انطلقنا من منظور الشمولية الذي تتميّز به البنية نجد كلّ العناصر الداخلة في تكوينها تعمل في بعضها بوظيفة حركية؛ بناء على قوانين جدّ متميّزة داخل النظام الثابت، لها خصوصيتها داخل هذا النظام، وتشكّل بذلك وحدة كلّية غير قابلة للتجزيء، وبهذا المنهج استطاعت البنيوية وصف نظام الفونيمات الصوتية في اللغة"[2].

"كما أنّنا لا ندرس العلاقات بين هذه العناصر على أساس تحديد طبيعة كل عنصر، وإنّما على أساس نوع العلاقة أو العلاقات التي تربطه ببقية العناصر، وهنا يظهر الأساس النظري لنظرية التعليق **Glossématique** [3]".

2- تأسيس المدرسة النسقية:

لقد تأسّست المدرسة النسقية على يد عالمين بارزين هما:

أ- أوتو يسبرسن Otto Jespersen

ولد في كوبنهاجن في **1860**، وتوفّي في **1904**، كان عصامي التعلّم في بداية حياته، وهو أمر نادر في اللسانيات، وبعد تكوينه الثانوي والتقليدي التحق بقسم الحقوق انسجاما مع تقاليد عائلته، إلاّ أنّه اهتمّ في دراسته الجامعية باللغات الهندو-أوربية[4].

وأصبح كاتبا مختصّا في الاختزالا **(Sténographe)** في غرفة النواب الدانيماركية، وهو ما قاده إلى العناية بالصوتيات. وفكّر في ذلك حينما اطّلع على أوّل مقال نشره **Sievers Eduard** في هذا الاختصاص (الصوتيات) في **1876**، ثم ربطته به علاقات منذ **1888** وكذلك مع بول باسي **Paul Passy**، لتطوير الأبجدية الصوتية العالمية.

وبذل يسبرسن في ذلك جهدا مزدوجا، إذ ساعد من ناحية في تشكيل الأبجدية الصوتية الدولية بنظامها القائم على الألفبائية اللاتينية، وكان من ناحية أخرى مشغولا بتطوير رموز

---

[1]– – ينظر د.محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، ص: 103.

[2]– .محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 101.

[3]– ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 61

[4]– ينظر د. ميشال زكريا، المرجع السابق، ص:277.

غير ألفبائية* **(Analphbétique)** (وهو واضع ذلك المصطلح)، و يرى أنها أكثر علمية، وتتخلّص من عيوب وقصور الألفبائية اللاتينية[1].

وقد وقع في هذه المحاولة تحت تأثير التطوّر السريع لعلم الكيمياء، وعلم وظائف الأعضاء، في النصف الأخير من القرن التاسع عشر[2].

درس يسبرسن في باريس وبرلين وليبزيج ولندن، وكانت هذه الجولة ما بين **1888** و**1891** بهدف التعمّق في الدراسات اللغوية، فتأثّر بنظرية داروين في النشوء والارتقاء، وبفلاسفة فرنسا في القرن الثامن عشر[3].

وحصل على كرسي الأستاذية في الإنجليزية بكوبنهاجن من **1893** إلى **1925**، وهو التاريخ الذي قرّر فيه ترك المنصب للشباب[4].

ويعدّ يسبرسن من روّاد اللسانيات الحديثة، إذ أولى عناية كبيرة للغات الرومانية، وكان مولعا بتدريس اللغات الأجنبية وبمشاكلها البيداغوجية، ولذلك كتب كتابا بعنوان: **"كيف تدرس لغة أجنبية"** [5]**« How to teach a foreign language ».**

ومن الكتب المؤثّرة في البحث اللغوي – أيضا- **"اللغة"** الذي صدر في **1922**، وهو في اللسانيات العامّة، وله مؤلف آخر موسوم بـ **"فلسفة النحو"** نشر سنة **1924.**

هولدر بدرسن: Holder Pedersen

وهو العالم الثاني الذي ظهرت على يده المدرسة النسقية، وتقلّد منصب أستاذ كرسي للسانيات المقارنة إلى **1937**، وهو من النحويين الجدد[6]، وممّا ألفه "علم اللغة في القرن 19".

3- تطور المدرسة النسقية

---

* وقد يقصد بذلك عدم اعتماد الحروف الألبائية التي اعتمدها الناس، وهي التي كتبت النصوص اللاتينية.0

[1]– ينظر أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 57.

[2]– ينظر أحمد مختار عمر، السابق، ص: 57.

[3]– ينظر د. ميشال زكريا، المرجع السابق، ص: 277.

[4] –Voir, Georges Monin, La Linguistique du 20° siècle, Presses universitaires de France, 2° édition, 1975, France, P : 67.

[5] – Voir Georges Mounin, Ibid, P: 70.

[6] – Voir Georges Mounin, Ibid, P: 126.

لقد تأسّست المدرسة اللسانية النسقية الدانمركية بكوبنهاجن سنة **1931**، على يد مجموعة من العلماء أمثال أولدال يورقن هانس*(Hans jorgen Uldall) وفيجو بروندال **Viggo Brondall (1887-1942)** وهو اللساني المتشبّع بالمنطق القديم والوسيط والحديث[1].

وكان التأسيس على غرار حلقة براغ التي أثارت انتباههم، وما لاحظوه من نجاح سريع لها في لاهاي، ونشأت هذه الحلقة بزعامة لويس يلملسف وترعرعت في أحضانه، وتابع بحثه فيها انطلاقا من المنهجية والمبادئ التي صاغها دي سوسير[2]، ونشر روادها أبحاثهم باللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية[3].

وفي المؤتمر الثالث للحلقة اللسانية العالمية بكوبنهاجن الذي انعقد في **1936**، كانت إرادتهم هي التميّز عن البراغيين، فتجلّى عملهم وإبداعهم في المصطلح الذي اشتهرت به وهو الكلوسيماتيك (Glossématique).

وفي **1944** أصبحت لحلقة كوبنهاجن أعمال على غرار براغ، وكان علماؤها ينشرون أبحاثهم في مجلة **Acta Linguistica** التي أنشأها يلملسف بمعية صديقه بروندال في سنة **1938**.

وحملت عنوانا فرعيا هو: **Revue internationale de la linguistique structurale** ، وهي مجلّة عالمية، وكانت حدث تدشين رسمي للبنيوية كاتّجاه في أوربا، وكتب بروندال أوّل مقال فيها بعنوان "اللسانيات البنيوية".[4]

4- لويس يلمسلف: Louis Yhelmslev

أ- حياته وأفكاره

يعدّ يلمسلف أحد اللسانيين المهمّين في العصر الحديث، فهو متعدّد اللغات، ومتقن لها، ومتعمّق في اللسانيات التقليدية، وعلى يديه انتهت وتوقفت، فقد قال في أحد الدروس الافتتاحية للسنة الجامعية: "تركز التقاليد في الدانمارك على كسر التقاليد*"[1]، وهو شعار يؤكّد العناية بالأصالة والحداثة في بناء المجتمعات وتجاوز الأولى، وهكذا يكون الإبداع.

---

*–ولد أولدال في 1907 وتوفي في 1957، لقد درس قي لندن الصوتيات مع دانيال جونس.

[1] – Apresjan, Elément sur les idées et les méthodes, P : 54.

[2] – G.Mounin, Ibid, P: 127.

[3] – ينظر سليم بابا و باني عمير، اللسانيات العامة الميسرة، ص: 27.

[4] – Voir Georges Mounin, Ibid, P: 126.

* Au Danemark, la tradition consiste à rompre avec la tradition.

فهو من الأوائل الذين اهتمّوا بصورة جدّية بالمنطق الرياضي والمنهجية العلمية، ويعود ذلك إلى توخّيه وضع نظرية لسانية كلّية، وساعده في ذلك إلمامه باللغات قديمها وحديثها[2].

بل يمكن اعتباره أحد البنيويين أو مدرسة بنيوية قائمة بذاتها، فقد تعمّق في آراء دي سوسير اللسانية، وشقّ لنفسه منهجا أصبح لا يوصف إلا به وهو الكلوسيماتيكية[3].

ولد في **03** أكتوبر **1899** بكوبنهاجن، على عتبة القرن العشرين الذي سيصبح قرن اللسانيات، في أمّة كانت تعتبر اللسانيات من الاهتمامات الوطنية، وكان لكلّ إنسان الشعور بأنه مدعوٌّ إلى القيام بعمل لساني خاص بلغته.

نشأ في عائلة تهتمّ بالدراسات العلمية، فهو ابن أستاذ في الرياضيات، وهو ما منحه تفتّحا على عالم الأفكار العامة[4]، وكان والده رئيسا لجامعة كوبنهاجن، فالتحق بها سنة **1916**، وهي السنة التي توفّي فيها دي سوسير ممّا أنبأ أنّه سيولد عقل جديد يطوّر من النظرية اللسانية ومنهجها.

وانصرف يلمسلف إلى دراسة مؤلّفات اللغوي الدانماركي راسموس راسك[5] **Rasmus Rask**، أحد مؤسّسي القواعد المقارنة أو الفيلولوجية الشمالية، وخصّص له مدّة من الزمن لبحثه[6]، وبدأ دراساته الفيولولوجية المقارنة في جامعة كوبنهاجن التي ولد بها، وتابع هذه الدراسات في ليتوانيا **(Lituanie 1921)** [7] و براغ **(1923-1924)**.

ونال درجة الدكتوراه في **1932**، عالج فيها الفونولوجية التاريخية للغات البلطيقية[8].

قدم إلى فرنسا، فأمضى شهورا بباريس في متابعة دروس أنطوان مابيه **Antoine Meillet** بين **1926** و **1927**، والتقى كذلك بفندريس*(1875 - ت1960)، وإقامته بينهما جعلته يؤسّس

---

[1] –louis Yhelmslev, le langage, traduit du danois par Michael Olsen ; préface d'Algirdas Julien Greimas, les éditions de minuit, 1966 ; Paris, P : 8.

[2]– ينظر د.ميشال زكريا، المرجع السابق، ص: 246.

[3]– ينظر محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 118.

[4]– Yhelmslev, Ibid, P : 9.

[5]– راسمس راسك نشر في 1811 أول نحو علمي للغة الإسلندية، أتبعه بمذكرة بعنوان التحقيق في أصل اللغة الإسكندنافية القديمة أو الإسلندية في 1814، و نشرها في 1818. و تثبت هذه المذكرة علاقة اللغة الإسلندية باللغة السلافية والبلطيقية والإغريقية واللاتينية. سافر إلى الهند في رحلة علمية إلى بلاد الشرق لإجراء أبحاث في الموضوعات اللغوية المقارنة السائدة في ذلك العصر. وكانت هذه الرحلة من 1816 حتى 1832 في الخامسة والأربعين من عمره.

[6] –Louis Yhelmslev, le langage, Paris, P : 5.

[7]– ليتوانيا Lituanie من الجمهوريات البلطيقية، حدودها بولونيا وروسيا وعاصمتها فيلنيوس Vilnius.

[8]– البلطيق Baltes تتشكل من ليتوانيا وليطونيا، وإسطونيا وتجمع اللغات البلطيقية بين اللغة الفنلندية واللغات السلافية.

ولادة علمية جديدة وثانية، فحوّل حياته إلى مشروع علمي فريد ووحيد لتصبح السنوات اللاحقة (من **1928** إلى **1943**) فترة إبداعية جديدة[1].

كما تعرّف في هذه المرحلة عن قرب على مبادئ دي سوسير التي غدت منطلقا ضروريا لنظريته اللسانية البنيوية التي سيطلق عليها الكلوسيماتيك ***Glossématique***.

ولقد طوّر مع مقرّبيه أمثال أولدال الذي يحتلّ مكانة متميّزة لديه، ومن أشدّ مؤيّديه من رؤى دي سوسير سواء حول اللغة كمادّة للسانيات أو حول اللسانيات كعلم.

ومع أودال الذي تكوّن على يد دانيال جونس **Daniel Jones**، بدأت ترسم المنافسة العلمية مع حلقة براغ، فاقترحا في **1935** مصطلح **Phonématique** علم الأصوات الفونيمي، وهي النظرية الجديدة التي قدّماها بلندن في المؤتمر العالمي الثاني لعلم الأصوات كمقابل لعلم وظائف الأصوات في مدرسة براغ[2].

حصل على لقب "كرسي اللسانيات المقارنة" في جامعة كوبنهاجن ابتداء من سنة **1937** خلفا لأستاذه في اللسانيات المقارنة **ملتذ بك ذزك**[3].

ب- مؤلفاته:

حرّر يلمسلف كتابا بعنوان "مبادئ النحو العام" في **1928**، وأوضح فيه تأثّره بدي سوسير وإدوارد سابير(**1884- 1939**) والشكلانيين الروس*. وهو أوّل من وضع في أوربا ابتداء من **1943** اتّجاه تحليل معاني الكلمات انطلاقا من الملامح أو المميّزات التي تتألّف منها، وذلك في كتابه "مقدّمات إلى نظرية اللغة" **Prolégomènes à une théorie de langage** الذي ظهر باللغة الدانمركية سنة **1943**، وترجم إلى الإنجليزية سنة **1953**، ونشر لأوّل مرّة بعنوان **Prolegomena to a theory** of language.

أمّا الترجمة الفرنسية فكانت سنة **1968** بعنوان **La structure fondamentale du langage**

جوزيف فندريس، شغل منصب عميد كلية الآداب بجامعة باريس، ورئيس الجمعية اللغوية الفرنسية، له كتاب يعدّ مرجعيا مهمّا في الدراسة اللغوية قبل دي سوسير وهو بعنوان اللغة.*

[1] – JU.D.Aprsjan, éléments sur les idées et les méthodes de la linguistique structurale contemporaine, P: 54.

[2] – Voir, Georges Monin, La Linguistique du 20° siècle, P : 127.

[3]– Voir Georges Mounin, Ibid, P: 126.

* ليس المقصود الروس فقط، وإنما لهم امتداد خارجها مثل بولونيا وتشيكوسلوفاكيا سابقا، وعاشت بين 1915 و1930.

وبدا النقص فيها واضحا، فأعادتها جان ماري ليونار **Jean Mari Léonard** بعنوان **Prolégomènes à une théorie du langage.**

ولم يكن يلمسلف يريد من هذا الكتاب تأسيس اللسانيات العلمية؛ ولكن نظرية علمية لوصف اللغات مبنيّة على مقدّمات معرفية، على غرار المناطقة الذين أعجب بهم[1].

وتعرّض في هذا الكتاب إلى التحليل التجزيئي أو المؤلّفاتي للمعنى – خاصة- في فصلين هما: "مبدأ التحليل" و"شكل التحليل".

وكان القصد من عمله هو التفكير في نظرية للغة تمكّن من وصفٍ واضحٍ وغير متناقض ليس لنص باللغة الفرنسية فحسب، وإنّما لكلّ النصوص الممكنة والمتصوّرة في المستقبل أو المفترضة، أي حتى تلك النصوص التي تصدر في الغد وتنتمي إلى مستقبل غير محدّد[2].

وله كتاب بعنوان "اللغة" صدر بالدانماركية في سنة **1963**، ترجمه ميشال أولسن وقدّم له جريماس عام **1966**. ونشر مجموعة من المقالات سنة **1953** بعنوان **Essais linguistiques** في مصنّف تضمّن خمسة عشر مقالا منها: مقدّمة إلى اللسانيات عام **1937**، واللسانيات البنيوية عام **1948**، والفعل والجملة الاسمية سنة **1948**.[3]

ج- وفاته:

توفّي يلمسلف في 30 ماي **1965**، في الوقت الذي كانت قد انتهت ترجمة كتابه "اللغة" إلى الفرنسية، وهو الذي كان يسرّه كثيرا ويعجبه، وبوفاته تنتهي الفترة الثورية على لسانيات دي سوسير على الرغم من أنّه تأثّر بمبادئها ومنهجها.

5- الكلوسيماتيك Glossématique

يقول يلمسلف: "ليس هناك أجمل بالنسبة لعالِم من أن يرى علْما ينشأ أمامه"[4].

بدأ يلمسلف في **1935** في تطوير نظرية الكلوسيماتيك التي لم تنسب إلاّ إليه، فهو مبدعها ومؤسّسها، وهي نظام من القضايا والقواعد الأولية أو مسلّمات* **Axiomes** التي

---

[1]– Voir Georges Mounin, Ibid, P: 126.

[2]– ينظر د.أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، ص: 61.

[3]– Louis Yhelmslev, essais linguistiques, les éditions de minuit, Paris, 1971.

[4]– Pour un savant, il n'ya rien de plus beau que de voir devant soi une science à créer.

* من مبادئ هذه القواعد: الواقعية إمكانية البرهنة وعامة أو شاملة.

تندرج ضمنها مفاهيم دي سوسير الأساسية عبر منهجية استنباطية دقيقة، وساعده في ذلك إلمامه باللغات قديمها وحديثها[1].

والمصطلح مشتقّ من الإغريقية **Glossa** بمعنى اللغة أو كلمة ومنها **Glossary** قائمة مفردات[2].

وتقوم الكلوسيماتيك على النقد الحادّ للسانيات السابقة التي تُدخل في تقنيات موضوعها أحداثا وظروفا خارجة عن اللسان نحو معرفة القضايا ما قبل تاريخية والتاريخية، والجوانب الفيزيائية والظواهر الاجتماعية والأدبية والفلسفية والسيكولوجية[3].

بمعنى آخر إنّ اللغة تتناول بهذا المفهوم كوسيلة، وليس كهدف في حدّ ذاته، أو وسيلة للاستزادة من المعارف المختلفة المتعلّقة بما هو خارج عن الشبكة اللسانية أوغير اللسانية[4].

وتسعى الكلوسيماتيك إلى إبراز ما هو مشترك بين اللغات البشرية كيفما كانت[5]، ولقبول نتائجها يجب أن تتّفق والتجربة الفعلية.

وتأسّست نظرية يلمسلف على ما أسماه بمبدأ التجربة الشاهدة **L'empirisme** (المذهب التجريبي). وينطلق التحليل في ضوئها من نصّ يكون عبارة عن قول أو مجموع أقوال يشترط فيه أن يكون ممثّلا لصنف قابل للتجزئة إلى أجناس، تكون بدورها قابلة للتجزئة إلى أقسام، ولكي يكون التحليل مقبولا يجب أن يتميّز بـ:

أ- عدم التناقض.

ب- والشمولية أو مستوف للموضوع.

ج- والبساطة إلى أقصى حد[6].

وبهذا فهي ليست تقنية تجريبية لتحليل النصوص فحسب؛ وإنّما هي نظرية لسانية شمولية وعامة[1].

---

[1] – ينظر د. ميشال زكريا، المرجع السابق، ص:246.

[2]– د.سهيل إدريس، وجبور عبد النور، المنهل فرنسي – عربي دار الآداب، بيروت، ط8، ص: 487.

[3]– ينظر د.محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية، ص: 65، ود.محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 165.

[4]– ينظر سليم بابا وباني عمر، اللسانيات العامة الميسرة، ص: 27.

[5]– ينظر د.محمد الصغير بناني، المرجع السابق، ص: 65.

[6]– ينظر د.محمد محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 165–166.

وتنطلق الكلوسيماتكية من النصّ الذي يشكّل وحدة أو صنفا قابلا للتقسيم إلى أنواع النص الذي يشكل وحدة أو صنفا قابلا للتقسيم إلى أنواع، ويجب أن يكون النص أو المدوّنة Corpus غير متناقض.

وتركّز أثناء التحليل على العلائق التي تربط العناصر مع بعضها البعض[2]، ويتناسب هذا المنهج مع ما ذكره دي سوسير في آخر كتابه: "دروس في الألسنية العامة" "إن موضوع الألسنية الحقيقي والوحيد؛ إنّما هو اللغة في ذاتها ولذاتها"[3].

ويمكن ترجمة الكلوسيماتيك إلى العربية باسم التعليق، والتي لم يتبنّها كثير من العلماء لغلبة التجريد والنزعة المنطقية الرياضية عليها من جهة، ولغموضها وتعقيدها وعدم القدرة على تطبيقها كاملة على أي لغة من ناحية أخرى[4].

ومصطلح التعليق وظّفه عبد القاهر الجرجاني في قوله: "اعلم أن لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"[5].

ويعني عبد القادر بالتعليق وسائط ارتباط الألفاظ التي تعبّر عن المعاني النحوية، وتعتمد عملية إنتاج الكلام على أربعة عناصر هي: النظم- البناء- الترتيب- والتعليق[6].

وإنّ هذا التعليق آت من أنّنا عندما نسمع رسالة، فإنّنا نسمع البنية؛ أي الكلّ قبل أن نميّز بين عناصره، فنحن نستقبل الأشكال مباشرة، وما النظام إلا شكل له وظيفة يقوم بها[7].

ولذلك تعرّف البنية بأنّها "مجموع العلاقات التي تربط العناصر، ومجموع هذه البنيات يكوّن النظام اللغوي فهل يسيطر النظام على العناصر المكونة له؟"[8].

ومن هنا يرى يلمسلف أنّ اللّسان ليس قائمة من المفردات، بل يكمن جوهره في العلاقات النسقية الموجودة بين وحداته[1]. وبعد النظر في ثنائية دي سوسير التي تفرّق بين اللغة والكلام، وضع يلمسلف تصوّره عن اللغة كالآتي:

---

[1]– ينظر د.محمد محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 166.

[2]– ينظر د.محمد محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 166.

[3]– –ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص:60.

[4]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق وشرح د.محمد عبد المنعم الحفاجي ط1:، سنة 1969، مكتبة القاهرة، ص: 102.

[5]– –ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 61.

[6]– ينظر د.محمد محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 103.

[7]– ينظر د.محمد محمد الحناش، المرجع نفسه، ص: 103.

[8]– ينظر د.محمد محمد الحناش، المرجع نفسه، ص: 103.

*- الهيكل: وهو يمثّل اللغة كشكل صوري ونموذجي في نفس الوقت.

*- القاعدة: وتمثّل اللغة كشكل مادّي يستعمله المتكلّم.

*- الاستعمال: ويمثّل اللغة كمجموعة من العادات الخاصة بالمتكلّمين[2].

دي سوسير	يلمسلف
- اللغة -الكلام -اللغة في شكلها المادي. -	- الهيكل - الاستعمال -القاعدة. -

لم يتعلّق استحقاق يلمسلف بتطوير نظرية لغوية منسجمة فحسب؛ وإنّما جعل الناس يؤمنون بضرورتها، وهكذا فإنّه من غير المسموح به – اليوم- أن يمارس الباحث اللسانيات، ويطبّقها دون مرجعية واضحة لأسس تلك النظرية المفترضة[3].

6- منهجية وطريقة يلمسلف في التحليل:

يعتبر يلمسلف بمنهجه في مفترق الطرق بين المدرسة البنيوية والمدرسة التوليدية في أوربا وأمريكا اليوم، فقد عمّق المنهج البنيوي، وفتح آفاقا جديدة أمام الدراسات اللغوية المعاصرة التي كانت مبعثرة بظهور المنهج التوليدي.

ولذلك فإنّه لا يمكن فهم النظريات المعاصرة في دراسة اللغة، وخاصّة المدرسة التوليدية دون التعمّق وفهم نظرية يلمسلف[4].

فهو يرى أنّ اللسانيات الحقيقية تولي بنية اللغة جلّ اهتمامها، وتحدّد الوحدة اللغوية بعلاقاتها، وبعلاقاتها فقط مع الوحدات الأخرى الموجودة في المنظومة اللسانية.

ويفرّق يلمسلف في التحليل اللساني بين عناصر ثلاثة هي:

-المادة: أي الحقيقة الصوتية أو المعنوية.

- الجوهر: أي الصورة.

---

[1]– ينظر د. سليم بابا عمر، المرجع السابق، ص: 27.

[2]– ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 61.

[3] –louis Yhelmslev, le langage, P : 12.

[4]– ينظر د.محمد محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 118.

- الشكل الذي هو عبارة عن شبكة العلاقات المحدّدة للوحدات.

وتتبلور العناصر الثلاثة في التعبير، ويعتقد أنّ الفرق بين لسانين يكمن في الشكل أي في التعبير وليس في المضمون. ولربّما تنسجم هذه الفكرة مع ما كان يراه الجاحظ من أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والأعجمي؛ وإنّما إيجاد الألفاظ التي تصوغ بها تلك المعاني هو الذي يتفاوت بها المتخاطبون.

ولهذا أعطى الأولوية المطلقة في دراسة اللسان للشكل، ورأى أنّ الوحدة اللغوية لا تحدّد نفسها بنفسها؛ وإنّما بمجموع العلاقات الشكلية التي تقيمها مع بقية وحدات اللسان[1].

ولهذا تصعب الترجمة من لسان إلى آخر، وينفي وجود مترادفات في لسان ما؛ لأنّ العناصر اللغوية المعنوية للألفاظ غير متوازنة، فهي تتّفق في بعضها، وتختلف في البعض الآخر، وهو ما قاده إلى منهج التحليل التجزيئي للمعنى حتى تتبيّن الفروق بين معاني الكلمات التي تبدو مترادفة.

ويعوّض يلمسلف التفرقة السوسرية اللسان/الكلام بـ شكل/جوهر، فنجد فيها الشكل يتناسب مع بنية اللغة، والجوهر مع حقيقة الواقع الخارجي غير المنظمة والتفرقة كالآتي:

- تفرقة المحتوى **Contenu** وهو جانب من المدلول الذي يتعلّق الأمر فيه بجوهر حقيقة الواقع الخارجي الذي يُعبّر عنه باللغة، وبين التعبير **Expression** وهو جانب من الدّال الذي يتعلق الأمر فيه بجوهر المجموعة الصوتية التي تسمح بالتعبير اللغوي.

والتفرقة نفسها تنقسم إلى شكل وجوهر، وبذلك يكون في المجموع أربع مستويات:

*المضمون والمادّة أو جوهر المحتوى ومعناه حقيقة هو جوهر الواقع الخارجي الذي لم تنظّمه اللغة.

*المضمون والشكل أو شكل المحتوى، وهو يقارب المدلول الذي أقرّه دي سوسير أي جوهر المحتوى مصاغ في شكل.

*التعبير والشكل أو التعبير: ويماثل الدّال عند سوسير، جوهر التعبير مصاغ في شكل.

[1]– ينظر سليم بابا عمير، المرجع السابق، ص: 27–30.

*التعبير والمادّة أو جوهر التعبير ومعناه المجموعة الصوتية المجزّأة التي لم تُنظم بعد في إطار اللغة.

ويمكن أن نجلّي هذه المستويات بإعطاء مثال: "ألوان قوس قزح"، فيلاحظ ما يأتي:

*جوهر المحتوى: القوس في الفضاء يراه الكل.

*شكل المحتوى: تجزئ جوهر المحتوى باللغة التي يراد التعبير بها، ففي الفرنسية يضمّ القوس سبعة ألوان أي أجزاء، ويكون هذا التقسيم أكثر أو أقلّ في لغات أخرى.

*شكل التعبير: الأسماء المعبّرة عن الألوان بحسب كل لغة.

* جوهر التعبير: المجموعة الصوتية المجزأة[1].

وفي دراسته للتعبير؛ لا يلجأ إلى المادة الصوتية، ولا يعود إلى دلالاتها حين دراسته لوحدات المحتوى، لأنّ تحليل بنية اللغة يتمّ عن طريق اللجوء إلى مبادئ شكلية، ذلك أنّ اللغة لا تختلف عن أي تسلسل أو ترابط يحتوي على تنظيم، ودراستها تنطلق من هذا التنظيم وليس من غيره[2].

وترتكز منهجية التحليل أساسا لديه على البحث عن الوحدات المكونة للسان عن طريق الاستبدال، ففي مستوى التعبير[3]:

- قام- نام

- سأل- قال.

فإنّ الاختلاف بين الوحدات ناجم عن استبدال عنصر بآخر.

- وفي مستوى المضمون:

-امرأة ← بشر + أنثى + بالغ...

-رجل ← بشر + ذكر + بالغ...

وهكذا نتبيّن الاختلاف والتشابه بين الوحدات اللغوية في خطاب من الخطابات، وهي قاعدة تعطينا إمكانية وضع الفروق بين الكلمات بالنسبة لمتعلّم اللغة.

---

[1]– ينظر د.محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 214، وينظر جيفري سامسون، المرجع السابق، ص: 176.

[2]– ينظر د. ميشال زكريا، المرجع السابق، ص:247.

[3]– ينظر سليم بابا عمر، المرجع السابق، ص: 29.

"إنّ لكلّ من المحتوى والتعبير شكلا وجوهرا، ويمكن تحليل شكل المحتوى إلى هياكل المحتوى (صور= **Figures**)، كما يحلّل شكل التعبير إلى هياكل التعبير والتي يطلق عليها **Plérèmes** وهي التي لها دلالة مثل الموفيمات، وهي مختلفة عن **Cénémes** والتي تعدّ وحدة صغرى مميّزة ولها دلالة فارغة وتقابل ما سبق أو تختلف عنها..

فإذا طبّقنا هذه المفاهيم على الدليل اللغوي (المدرسة) فتحلّل إلى سيمات فتعطي: (ال)+(مد)+(ر)+(سه) و تحلل إلى **Plérèmes** كالآتي: (بناية+ النوع+ هي)[1].

بمعنى آخر إنّ الوحدة اللسانية في مستوى التعبير هي وحدة نسقية فارغة، فهي وحدة صوتية مجرّدة من المضمون أي خالية من المعنى.

وفي مستوى المضمون فهي وحدة نسقية تشتمل على مضمون.

وهكذا فإنّ الدليل: "فرس" مثلا إذا ما حلّل إلى وحدات فارغة يعطي: /ف/-/ر/س/.

أي فاء فتحة، راء، فتحة، سين.

وإذا حلّل إلى: وحدة معجمية يعطي:

- حيوان+ من ذوات الأربع+ أنثى...[2]

خاتمة

يتّضح من سرد ملامح المدرسة النسقية وحدودها ومبادئها أنّها عمّقت أفكار دي سوسير، ولا يمكن فهم كثير من مصطلحات المدرسة التوليدية إلا بالرجوع إليها. ولكن الذي تميّزت به هو الكلوسيماتيك، والتحليل المؤلّفاتي للمعنى الذي يفيد معلّم اللغة كثيرا ومتعلّميها.

[1]– ينظر د.محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 167.

[2]– ينظر سليم بابا عمر، المرجع السابق، ص: 31.

الفصل الثامن

المدرسة الاجتماعية أو السياقية بلندن

1- نشأة الدراسة اللسانية البريطانية

2- أعلام المدرسة البريطانية

أ- ألكسندر ملفيل بيل ب- ألكسندر جراهم بيل

ج - هنري سويت د- دانيال جنونز هـ - فيرث

* آراء فيرث ومبادئه

3- أثر مالينوفسكي في فيرث

4- السياق وأنواعه

أ- السياق اللغوي ب- السياق العاطفي

ج- سياق الموقف د- السياق الثقافي

5- مدرسة أكسفورد.

بدأت الدراسة اللسانية في بريطانيا بصفة جدّية منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وهذا بعدما تطوّرت الاستعمالات اللهجية في مختلف أرجائها إلى لغة رسمية.

ولظروف سياسية واقتصادية محضة وقع الاختيار على الإنجليزية لتصبح لغة رسمية قياسية للمملكة البريطانية على حساب اللغة الويلزية Welsh والاسكتلندية Scottish وغيرهما[1].

1- نشأة الدراسة اللسانية البريطانية

احتلّت بريطانيا منذ القرن السادس عشر منزلة رفيعة بفضل ازدهار الجوانب المختلفة للسانيات العملية مثل علم التلفّظ Orthoépie* الذي يهتمّ بتعليم وضبط النطق الصحيح للحروف والكلمات والجمل للغة المعيّنة، وإصلاح التهجئة (Spelling) الذي يهدف إلى تحسين أو الإملاء طريقة الكتابة ليتطابق المنطوق مع المكتوب، وعدم الأخطاء في المكتوب، وظهر علم المعاجم وعلم اللهجات، وتمّ اختراع نظام الاختزال وابتكار لغات عالمية مثل لغات جورج دالغارنو (Georges Dalgarno)*(ولد 1625- توفّي في 1678)، وجون يلكنز (ولد 1614- وتوفّي في 1672) (John Wilkins)[2].

ويعدّ جون ويلكنز John Wilkins من علماء أصوات القرن السابع عشر، وقد قدّم تصنيفا للعلل تبعا لدرجة الانفتاح، وحركة الشفتين، ومواقعهما في الفم، بادئا بالعلل الشفوية ومنتهيا بالحلقية.

وفي تطبيق لفكرته على العلل حدد ثمانية أصوات متميّزة وهو عدد اختاره دانيال جونز للعلل الرئيسية، وقد صرّح بأنّه اعتمد ثمانية لتميّزها عن غيرها[3].

كما قدّم أبجدية صوتية دولية تستحق العناية والإشارة إليها، وهذا للأسباب الآتية:

- لم يقدّم ألفبائية صوتية فقط، وإنّما قدّم أيضا ألفبائية عضوية تماثل تلك التي قدّمها Bell بعد قرنيين من الزمان.

- وكذلك فهمه لنظرية الفونيم ولفكرة الأصوات الرئيسية[1].

---

[1]– ينظر جيفري سامبسون، المرجع السابق، ص: 225، و أحمد مومن، المرجع السابق،ص: 170.

* كلمة مشتقّة منorthos بمعنى الصحيح، أو المستقيم، و epos وهي الكلام.(www.Larousse.fr).

عالم إيكوسي، له كتاب بعنوان: .Ars signorum,Vulgo character universalis et lingua philosophica

*-. وهو الكتاب الذي اقترح فيه لغة عالمية مؤسّسة على التصنيف المنهجي للأفكار، نشر في 1661.(**www.britannica.com**).

[2]– ينظر، جيفري وأحمد مومن، المرجعان نفسهما، ص :225 و 170.

[3]– ينظر د.أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 123.

ولقد تميّزت المدرسة الإنجليزية بدراستها للكلام الفعليّ أو استعمال اللغة في إطار المجتمع الذي أهملته المدارس الأخرى، والتي تبنّت البنيوية فركّزت على الشكل دون المضمون والسياق؛ فكان تركيزها على اللغة كنظام صوري مجرّد.

وجعلتها هذه الرؤية تولي العناية للجانب الاجتماعي في الدراسة اللسانية، ولذلك سمّيت بالمدرسة الاجتماعية. و لعلّ هذه الفكرة هي التي ستولّد ما يعرف باللسانيات التداولية على يد جون لانجشاو أوستين(**John Langshau Austin (1911-1960**)، وذلك ما يتجلّى في كتابه "كيف ننجز الأفعال بالكلمات"* **(Quand dire c'est faire).**

ولا شكّ في أنّ دي سوسير أشار إلى هذا العمل، أو هذه الأفكار في أوائل القرن العشرين متأثّرا في ذلك بعالم الاجتماع إميل دور كايم[2]، ولكنّه لم يحلّل الظواهر اللسانية في علاقاتها بالمجتمع، على الرغم من أنّه حين عرّف السيميولوجيا لم يهمل هذا الجانب.

ولمّا كان المعنى هو الأساس في عملية التواصل القائمة بين المتكلم والمستمع، وهو ما يهدف المتكلّم إلى إيصاله في رسالته أو خطابه إلى متلقّ أو أفراد المجتمع، فلقد ركّزت عليه المدرسة الاجتماعية في تحليلها، ووصفت الضوابط التي تتحكّم في الاستخدام الفعلي للغة لدى الجماعة اللغوية[3]، وهو ما قادها إلى التأكيد على السياق في تحديد معاني الكلمات، ولهذا تنعت بالمدرسة السياقية، وهو ما جعلها مدرسة غير بنيوية.

وعلى الرّغم من هذه النشاطات المختلفة، فقد عرفت مدرسة لندن – خاصة – بأعمالها العلمية في الصوتيات، وكان علماؤها يرحّبون بإدخال الاعتبارات النحوية في التحليل الصوتي الوظيفي، كما اهتمّوا بالتنغيم، وهو مجال من الصوتيات الوظيفية التي تبنى بعض قواعدها على التلازم الصوتي الدلالي المباشر[4]، كما أنّ للتنغيم دورا كبيرا في تغيير دلالة الكلمات والجمل، إذ نطق جملة واحدة مثلا بطرق مختلفة بحسب المواقف يؤدّي إلى تغيير في معانيها، وهو ما يجعلنا نقول إنّ للنطق مستويات صوتية وتنغيمية تسهم في هذا التغيير.

---

[1]– ينظر د.أحمد مختار عمر، المرجع نفسه، ص: 54–55.

*-لا ندري كيف تمّ اختيار هذا المقابل العربي للعنوان باللغة الفرنسية.

[2]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 71.

[3]- - ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع نفسه، ص: 71-72.

[4]- ينظر جيفري سامبسون، المرجع السابق، ص: 237.

وإذا قارنّا بين المدرسة البريطانية والأمريكية فسنجد فرقا واضحا بينهما، ذلك أنّ الأمريكيين انصرفوا إلى دراسة لغات كانت على وشك الانقراض، ومن تلك الأمثلة دراسة لغة الهنود عند إدوارد سابير، فدعت الحاجة إلى تدوينها لأهمّيتها العلمية.

أمّا اللسانيون البريطانيون فركّزوا في معالجتهم أساسا على اللغات التي ينطقها كثير من الناس، ممّا يدلّ على أنّ الجانب العملي كان من التقاليد اللسانية بلندن، وهو الذي كان معزّزا، فبرزت موضوعات مثل إيجاد نظم الكتابة وتخطيط اللغة القومية بصورة مهمة[1].

ومن الباحثين الذين انكبّوا في القرن التاسع عشر على دراسة الأصوات اللغوية دراسة وصفية موضوعية ألكسندر مالفيل بيل (Alexandre Melvile bell)، وابنه (Alexandre Graham bell)، وهنري سويت (Henry Sweet)، و دانيال جونز (Daniel Johns)، وفيرث (Firth).

2- أعلام المدرسة الإنجليزية أو السياقية

أ- ألكسندر مالفيل بيل: Alexandre Melvile bell

ينتمي إلى عائلة اسكتلندية، اشتهرت بالصوتيات العامّة، وقد ألقى محاضرة لأوّل مرّة في كيفية الخطابة والإلقاء **(élocution)** بجامعة إدينبارغ في منتصف القرن التاسع عشر، ثمّ بجامعة لندن.

وتوّج نشاطه الأكاديمي بتأليف كتاب بعنوان: "الكلام المرئي، علم الأبجدية العالمية" عام[2] **1867 (Visible speech, the science of universal alphabets)** الذي نشر فيه رموزه.

وكان الهدف من وضع هذا الكتاب هو جعل القراءة أسهل للطفل الأجنبي، وتيسّر تعليم النطق للغة الوطنية والأجنبية.

وقامت فكرة **Bell** على إعطاء صورة بصرية، تشير إلى كيفية نطق الأصوات، فكان أن جعل رموزا توضح استدارة الشفتين، وامتدادهما، وارتفاع مقدم اللسان ومؤخّره، وهكذا.

وبمعنى آخر فقد تميّزت جهوده بوصف موقع اللسان باعتبارين هما:

أ- علوّ اللسان من حيث الارتفاع والتوسّط والانخفاض.

ب- والنقطة المرتفعة، فصنّفها إلى مقدّم الفم ومؤخّره، وخليط منهما.

---

[1]- ينظر جيفري سامبسون، المرجع السابق، ص: 228.

[2]-ينظر جيفري سامبسون، المرجع السابق،ص:237، وينظر أحمد مومن، المرجع السابق،ص: 170.

ونتج عن ذلك تسعة مواضيع رئيسية للسان. فكانت هذه هي أول مرّة يستخدم فيها اللفظ الرئيسي أو المركزي **Cardinal** في وصف العلل[1]. وكان أمله في تطوير نظامه الرمزي ليتمكّن أي إنسان من نطق الأصوات بإحكام، فنجح في ذلك إلى حد كبير.

ولكن غرابة الرموز وصعوبتها من ناحية، وكثرتها من جانب آخر، جعلت معظم الناس لا يفهمونها، ولذلك ماتت تجربته بعد عشرات السنين لاستعمالها الكثير، وبخاصّة في تعليم الصم البكم[2]. كما وصف Bell إلى جانب موقع اللسان عاملين آخرين يؤثّران في نوعية العلة (Vowel quality) وهما:

أ- درجة انفتاح الشفتين اللتين تكونان إمّا مستديرتين أو غير ذلك.

ب- الفتحة في مؤخّر الفم ويمكن تكبيرها لتصبح واسعة مما أدّى به إلى التمييز في تصنيفه بين ست وثلاثين نوعا من العلل[3].

ولا شكّ أنّ هذه الأفكار قد وجد كثير منها لدى علماء البلاغة والأصوات والطبّ العرب مثل ابن سينا وابن جنّي والسكّاكي.

ب- ألكسندر جراهم بيل: Alexandre Graham bell

هو عالم فيزياء ومهندس أمريكي، من أصول بريطانية. علّم الصم البكم. ولد في 1847 وتوفّي في 1922،وهو ابن مالفيل **(Melvile)**، وذاع صيته في كلّ أنحاء المعمورة نظرا للخدمة الجليلة التي قدّمها للبشرية جمعاء بعد اختراعه جهاز الهاتف سنة 1876، وقدّم أحد أصدقائه وهو **Elishe Gray** براعة اختراع لجهاز شبيه بجهازه ثلاث ساعات بعده، وقد ظلّ يتواجهان في المحاكم لأكثر من عشر سنوات، على أساس السبق في الإبداع، ولكن انتهت في الأخير بإعطاء الحقّ لبيل.

ويتّضح لنا أمن هذا الاختراع اهتمامه بالبحث الصوتي ما دام الجهاز يرتكز مبدئيا على الإرسال والاستقبال للأصوات أو الرسائل، فكان من وراء ذلك تأثيره في الدراسات الصوتية وعلوم الاتصال[4].

ج- هنري سويت: Henry sweet(1845-1912).

---

[1]- ينظر د.أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 123.

[2]- ينظر د.أحمد مختار عمر، المرجع نفسه، ص: 57.

[3]-ينظر جيفري سامبسون، المرجع السابق، ص: 123-124.

[4]- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 170.

يعدّ هنري سويت في طليعة العلماء المهتمّين بتطوير الدراسات الصوتية، وهو من باحثي اللسانيات التاريخية القلائل الذين أنجبتهم بريطانيا في القرن التاسع عشر لمنافسة اللسانيات التاريخية التي كانت تنمو في ألمانيا[1].

ولقد أعجب بأعمال مالفيل وجراهم بيل، و تأثّر بها تأثيرا شديدا حتّى أصبح ذا سمعة عالمية كبيرة، وكتب في سنة **1902** رسالة إلى نائب عميد جامعة أكسفورد يقول فيها: "إنّ موضوع الصوتيات غير نافع في حدّ ذاته، بيد أنّه أساس كل دراسة لغوية سواء كانت نظرية أو تجريبية"[2].

ولقد بنى **سويت** دراساته التاريخية على فهم مفصّل لحركة الأعضاء الصوتية، على غرار الفيسيولوجيين الذين يقومون بمثل هذه الأبحاث في ألمانيا دون الاهتمام بالمسائل اللغوية.

وألف كتابا بعنوان "دليل الصوتيات" **Handbook of phonetics** سنة 1877، تناول فيه تنظيم الكتابة الصوتية **Phonetic transcription** وعلاقتها بإصلاح التهجئة وتعليم اللغات.

ووصف تي.سي.أونيوز كتاب سويت في قاموس السيرة الوطنية **national Dictionary of biography** بأنّه عَلَّمَ أوربا ولقَّنها الصوتيات، وجعل من إنجلترا مهدا لهذا العلم الحديث[3].

ونرى في هذا الأمر مبالغة، ذلك أنّه لم يُقدّر ما قدّمته المدرسة الهندية للعالم في الصوتيات، وكذلك العرب والمسلمون؛ حيث يقول براجستراسر: "لم يسبق الغربيين بهذا العلم (الصوتيات) إلا قومان من أقوام الشرق هما أهل الهند (البراهمة) والعرب". ويقول فرث: "إنّ علم الأصوات شبّ ونما في أحضان لغتين مقدّستين هما العربية والسنسكريتية"[4].

وقدّم سويت نظام كتابه الواسع إلى الجمعية الصوتية الدولية فتبنّته، وأقامت عليه أبجديتها الصوتية المعروفة حاليا، وبالتالي فهو يعدّ بحقّ أب الأبجدية الصوتية الدولية أو العالمية[5].

---

[1]– ينظر جيفري سامبسون، المرجع السابق، ص: 226.

[2]– ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 171.

[3]– ينظر جيفري سامبسون، المرجع السابق، ص: 3.

[4]– عن د.عبد المنعم عبد الله محمد، عن برجستراسر، التطور النحوي، ص 11، عن المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، 1988، ص: 17.

[5]– ينظر د.أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص: 59.

وممّا نلاحظه في جهود سويت الصوتية ما يأتي:

أ- لقد أدخل تعديلا وتيسيرا على الكلام المرئي لبيل **Bell**، وأطلق عليه الكلام المرئي المعدّل **Revised visible speech**، وتبيّن لعلماء الأصوات أنّ عمل سويت أكثر أهمية وتفوّقا من الأصل. ولكنه اكتشف بعد فترة من الزمن أنّ أبجديته ما تزال معقّدة للقارئ العادي، فقدّم أخرى، واستخدم فيها الرموز الرومانية.

ب- بذل جهدا في إنشاء الجمعية الصوتية الدولية، واشتغل رئيسا فخريا لها.

ج- وضع نوعين من الأبجدية الصوتية، فأطلق على الأولى الأبجدية الواسعة، وتمثّل ما يعرف الآن بالفونيمات فقط، وسمّى الثانية الأبجدية الصوتية الضيقة، وتمثّل التنوعات الصوتية المختلفة[1].

د- دانيال جونز: Daniel Jones (1881-1967)

سار دانيا جونز مقتفيا أثر منهج سويت في الصوتيات، وكان هذا المجال هواية له أكثر من اختصاص، وعيّن محاضرا في الكلية الجامعية University College London بلندن سنة **1907** واقترح على مسؤوليها أن يدرّسوا صوتيات اللغة الفرنسية، فأسّس أول قسم جامعي يهتمّ بدراسة الصوتيات ببريطانيا.

وأكّد على التدريب الواسع في المهارات النطقية مثل الإدراك والكتابة الصوتية، ونطق الفوارق الدقيقة بين أصوات الكلام، لما لها من أهمّية في دراسة اللغة[2].

ووضع دانيال جونز نظام القياسات الأساسية لأصوات اللّين، وهذا بعد تجارب دقيقة وبحوث متواصلة لها، فسجّلها فوق اسطوانات هي الآن في متناول كلّ من يريد تعلمها.

ويسّر هذا العمل تدوين الصوائت بشكل دقيق ومنتظم، وبفضل القواعد التي أرسى دعائمها كلّ من **سويت** و**جونز** أصبح لتدريب الأذن والسمع في الصوتيات دور كبير في البرامج الجامعية البريطانية[3]. ولقد أدرك العرب القدامى هذا المبدأ ومنهم ابن خلدون(ت808هـ) الذي قال: "إنّ السمع أبو الملكات اللسانية".

---

[1]- ينظر د.أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص: 59.

[2]- ينظر جيفري سامبسون، مدارس اللسانيات، ص: 226.

[3]- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 31.

ينظر د.أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص: 59

وقدّم دانيال جونز في نظامه للعلل الرئيسية ثماني علل؛ أوضح مواقع اللسان فيها على رسم تخطيطي.

وفي **1929** نشر جوتز**Jones** صورا بأشعة إكس تُبيّن مواقع اللسان بالنسبة للعلل الرئيسة. وأظهرت أنّ مواقع اللسان مختلفة جدا عن الوصف النظري للعلل الرئيسية.

هـ - فيرث: J.R.Firth (1890-1960)

يعدّ فيرث أوّل من جعل اللسانيات دراسة علمية متميّزة ومعترفا بها في بريطانيا. درس التاريخ في المرحلة الأولى في الجامعة قبل تنقّله كجندي في مقاطعات مختلفة من الإمبراطورية إبّان الحرب العالمية الأولى[1].

شغل منصب أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة البنجاب بالهند من **1919** إلى **1928**، فدرس عددا من اللغات الهندية واللغات الأخرى، وكتب عن الكثير منها. كما اهتمّ أثناء إقامته بها بالدراسات الشرقية، و تأثّر بنظريات اللغويين الهنود القدامى؛ و بخاصة فيما يتعلق بالجانب الفونيتيكي الذي يساعد على فهم اللغة بصورة أفضل[2].

ولمّا عاد إلى بريطانيا شغل أحد المناصب في قسم الصوتيات في الكلية الجامعية بلندن، وانتقل إلى قسم اللسانيات في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية عام **1938**، حيث أصبح أوّل أستاذ في اللسانيات العامة منذ تاريخ إقرارها سنة **1944**[3].

كما قام بالإشراف على تدريب معظم مدرسي اللسانيات في بريطانيا حتى عهد قريب، فجاءت أعمالهم مرآة لأفكاره، وازدهرت مدرسة لندن لتميّز منهجها على الرغم من أنّ اللسانيات كانت قد بدأت تنمو في عدّة أماكن من العالم[4].

- آراء فيرث ومبادئه:

لقد صبّ فيرث جلّ اهتمامه بشكل أساسي على الصوتيات الوظيفية وعلم الدلالة ، ودرس اللغة باعتبارها نشاطا معنويا في سياق اجتماعي معيّن، وجزء من المسار الاجتماعي

[1]– ينظر جيفري سامبسون، مدارس اللسانيات، ص: 227.

[2]– ينظر د. ميشال زكريا، المرجع السابق، ص: 282.

[3]– ينظر جيفري سامبسون، المرجع السابق، ص: 227.

[4]– ينظر جيفري سامبسون، المرجع السابق، ص: 227.

أو شكلا من أشكال الحياة الإنسانية، وليست كإشارات اصطلاحية، وذلك لأنّ دلالات عناصر اللغة تحدّد من استخداماتها المختلفة في المجتمع[1].

وجاء تبريره لهذا الموقف بقوله: "إنّنا نعرف القليل عن العقل، ودراستنا هي دراسة اجتماعية في جوهرها، فسوف أكفّ عن احترام ثنائية الجسم والعقل والتفكير والكلام، وأكون راضيا بالإنسان ككلّ يفكّر ويتصرّف وسط رفقائه كوحدة شاملة".

ولتوضيح مبدئه من هذا المذهب المثير للشكوك أردف قائلا: "إنّ اجتنابي لاستعمال هذه الثنائيات، لا ينبغي أن يفهم على أنّني أقصيت مفهوم العقل إقصاء، أو احتضنت المذهب المادي احتضانا"[2].

وهو بذلك يخالف ما ذهب إليه دي سوسير الذي بنى فكره اللغوي على الثنائيات **Dichotomies** ونادى بالفلسفة الأحادية **Monisme**. وهو النظام الذي يعتبر مجموع الأشياء ممكنة الاختصار في مبدأ واحد وعكسه الثنائيّ والمتعدّد. وهي الفلسفة التي تضع كلّ شيء سواء العالم أو الكون واحدا ويكون مادّة واحدة[3].

بل كان ّفيرث يرفض رؤية التعبير والمضمون كوجهين مختلفين كما هي الحال عند سوسير، وأصرّ على أنّ الصوت والمعنى في اللغة متّصلان مع بعضهما مباشرة أكثر ممّا كان يُتصوّر[4]، عند بعض الباحثين.

وفي الوقت الذي كان الاتّجاه السائد في الدراسة الألسنية متّصفا بالتركيز على بحث شكل العناصر اللغوية دون التطرّق إلى دلالاتها، فقد نقل **فيرث** البحث اللساني نحو الدراسة الدلالية ليصبح موضوعه الأساسي؛ بل إنّه يستعمل كلمة المعنى في كتاباته بطرق غريبة نوعا ما.

"وتتكوّن الدلالة في رأيه من مجموعة العلاقات أو الوظائف العائدة للعنصر اللغوي والمرتبطة بمضمون محيطه، فكلّ عنصر من العناصر اللغوية يحتوي على مجموعة

---

[1]- ينظر د. ميشال زكريا، المرجع السابق، ص: 282، وينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 173.

[2]-- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 173.

[3] -www.histophilo.com/

[4]- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق، ص: 173.

العلاقات الملائمة لمحيطه"[1]، وهذا ما قاده إلى البحث في سياق المقام وأنواعه **(contexte de situation).**

3- أثر مالينوفسكي[2] في فيرث:

اعتقد مالينوفسكي أنّ وظيفة اللغة كوسيلة لنقل الأفكار من المتكلّم إلى السامع ليست سوى خرافة مضلّلة. فالكلام وبخاصة في الثقافة البدائية ليس أقوالا أو أداة للتأمّل فقط، وإنّما استعمالات اللغة البدائية هي حلقة اتّصال في نشاط بشري جماعي؛ وبالتالي فهي نمط من السلوك والعمل.

ويستشهد مالينوفسكي على رأيه ببعثة صيد في قبيلة التروبرياند فيقول: "يتمّ توجيه مجموعة من قوارب الصيد، وتنظيم حركتها باستمرار عن طريق الكلام، فالصرخة التي تعلن عن وجود كمّية من الأسماك تعني إعادة تنظيم جميع حركات القوارب من جديد، ومن جهة أخرى فإنّ الطريقة التي استعملت فيها (اللغة) الآن في كتابة هذه الكلمات هي من الاستعمالات الفرعية والبعيدة عن اللغة.

فالكلمات هي أدوات، ومعنى الأداة يكمن في استعمالها، وبفضل هذا الرأي اكتسب لودفيغ فيتنجشتين شهرته حين أعاد صياغة هذه الفكرة بإسهاب بعد مالينزفسكي بوقت طويل[3].

ولقد أبدع مالينوفسكي مصطلح "تواصل المجاملة" **(Phatic Communion)** للتعبير عن الكلام الذي لا يؤدّي هذه الوظيفة، وهو الذي يكون فيه معنى الكلمات المألوف خارجا عن الموضوع، أو لا يحمل معلومة إضافية أو جديدة إلى المتلقّي.

ويستشهد بأمثلة من اللغة الإنجليزية نحو: "كيف حالك" و"هذا اليوم جميل"[4]، فهاتان الجملتان لا تقدّمان أيّة إضافة معنوية أو خبر جديد إلى السامع؛ وبالتالي فإنّ تواصلها يكمن

---

[1]– – ينظر د. ميشال زكريا، المرجع السابق، ص: 283.

[2]– Malinovsky Bronislaw Kaspar أنثروبولوجي إنجليزي، وإثنولوجي وعالم اجتماع، ذو أصول بولندية أرسطوقراطية، ولد سنة 1884 وتوفّي 1942، اتبع منهج الملاحظ المشارك. قام ببحوث في العادات والتقاليد بخاصّة في مجال الجنس والقرابة العائلية للقبائل البدائية في أستراليا وغينيا الجديدة وخاصّة في جزر التروبرياند Trobriand في شرق غينيا . مُنظّر للوظيفية التي من خلالها يتّضح أنّ كل عنصر مكوّن لنظام ثقافي يُفهم من دوره ووظيفته في المجتمع. وكان من الأوائل الذين سعوا إلى وضع علاقة بين التحليل النفسي والأنثروبولوجيا. قام ببحث ميداني حول الثقافة البدائية في جزر تروبرياند الجديدة، واكتسب سمعة عالية وشهرة كبيرة في تسمية الكتب، لأنّ قليلا من الباحثين ممّن زينت أبحاثهم الأكاديمية الجافّة بعناوين مغرية وجذابة.

[3]- ينظر جيفري سامبسون، مدارس اللسانيات، ص: 238.

[4]- جيفري سامبسون، المرجع السابق، ص: 239.

في درجة الصفر؛ خاصّة عندما يكونان قد التقيا وعرف كلّ واحد حال الآخر، وعرفا أنّ اليوم جميل

ولكنّه طوّر من آرائه وأصبح مضمون محيط الكلام يتكوّن في نظره من مجموعة العلاقات بين الأشخاص الذين يقومون بدور معيّن في المجتمع ومن مجموعة الكلمات التي ينطقون بها والأحداث التي يرتبطون بها[1]، وهو ما قاده إلى تحليل السياق.

4- السياق و أنواعه:

لا تدلّ الكلمات بنفسها على شيء؛ بل إنّ حقيقتها وكنهها وقيمتها تكمن في السياق الذي ترد فيه، "فهو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، بالرّغم من المعاني المتنوّعة التي في وسعها أن تدلّ عليها؛ لأنّها توجد في كل مرّة في جوّ يحدّد معناها تحديدا مؤقّتا، كما أنّه يزيل دلالتها الماضية التي تراكمت في الذاكرة، فيخلق لها قيمة حضورية"[2].

والسياق هو مجموعة الظروف الطبيعية والاجتماعية والثقافية والنفسية التي يوجد ضمنها ملفوظ معيّن أو خطاب، وترى اللسانيات أنّ السياق هو مجموع العناصر (الصوتية والصرفية والتركيبية) التي تسبق أو تلحق وحدة لسانية داخل ملفوظ معيّن[3].

ولذلك لا يبحث عن معنى الكلمة بل عن استعمالها؛ لأنّ لها معنى أساسيا عاما وآخر سياقيا. والسياق هو الذي يوضّح الغرض المقصود، والذي من أجله وظّفت هذه الكلمة أو تلك، ومن ثمّ لا يمكن الاعتماد على المعنى الحرفي للكلمة والجملة في بعض الاستعمالات.

وتستخدم في الحديث العادي عبارات كثيرة نحو:

"أنا لم أقصد ذلك"، "أو تقصدني"، "أو تعنيني بكلماتك"، "أو قلتَ لي تلك الكلمات بطريقة كذا وكذا"، والتي توضّح أن قيمة الكلمة ودلالتها لا تعرف، ولا تفهم إلاّ في ضوء السياق الذي وردت فيه.

ويرى في هذا الصدد **جورج ماطوري** أنّ الكلمة ليست دائما منعزلة؛ بل إنّها ترتبط في السياق بما يجاورها من كلمات تكوّن معها علاقات مختلفة مثل القرابة[4]، واعتبر مالينوفسكي **(Malinovski)** اللغة أداة تخدم أغراض المجتمع المعيّن، و تؤدّي وظيفة نقل الأفكار

---

[1]- ينظر د. ميشال زكريا، المرجع السابق، ص: 282.

[2]- فندريس، اللغة، ص: 231.

[3] - Voir, Grande Encyclopédie, T3, P : 2565.

[4]- Georges Matoré, histoire des dictionnaires français, P : 10.

والانفعالات في نطاق ما يعرف بسياق الحال (الماجريات)؛ بل إنّ اللغة ليست وسيلة من وسائل التعبير والتواصل فحسب؛ بل أيضا أداة للهيمنة على العقول، ومن ذلك الخطاب الإشهاري الذي يدفع الزبون إلى الشراء، وكذا اللغة السياسية والإعلامية التي توجّه الرأي العام وتغيّره، ومن ثمّ فللكلمة سلطة على العقل والنفس والشعور.

وأوضح فكرته عن المعنى باللجوء إلى مفهوم السياق، استنادا إلى ما قام به الأوربيون حين ترجمتهم الكلام التروبرياندي كلمة مقابل كلمة، ورأى أنّه لا يمكن فهم كلامهم المنطوق إلا من خلال طريقة حياتهم ومعيشتهم، والسياق الذي يشكّل جزء منها[1]، أي لابدّ من فهم ثقافة المجتمع حتى نتمكّن من ترجمة نصوصهم.

وترتبط فكرة **Malinovski** بموضوع الترجمة والمعاجم الثنائية، إذ لا يمكن الاعتماد على الترجمة الحرفية أو المقابل الحرفي للكلمات دون مراعاة السياق الذي نشأت فيه الكلمة وتبلورت في خضمه، والذي تستخدم فيه، ولذلك كانت دراسة السياق لكلمات لغتين أو أكثر مستعملتين في الترجمة أمرا ضروريا.

وبسبب تأثّر فيرث بالأنثروبولوجي مالينوفسكي الذي ارتبطت به فكرة السياق من قبله، يرى أنّ "للغة وظيفة اجتماعية مهمّة، والسلوك اللغوي العادي في عمومه يعدّ جزءا من العملية الاجتماعية، أو هو طريق العمل والتنفيذ في الحياة، ولهذا السبب يؤكّد على أهمّية الرجوع إلى المقام أو الموقف الكلامي **(contexte de situation)** أو ما يسمّى بالقرائن الحالية، وهي جميع ملابسات النص وظروفه"[2].

واعتبر السياق محتويا على النشاط اللغوي الذي يضمّ كلاّ من الكلام والكتابة، وتتألّف عناصره من الآتي:

أ- المتكلّم والسامع والحاضرون معهما، سواء شاركوهما في الحوار أو اكتفوا بالاستماع والمشاهدة، وعلاقة الحاضرين بموضوع الحديث، ومستواهم الثقافي، وغير ذلك مما له علاقة بهذا الموقف.

---

[1]- ينظر جيفري سامبسون، المدارس اللغوية -التطور والصراع- ص: 236.

[2]- ينظر طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، ص: 214.

ب- الانطباعات التي يتركها الكلام في نفوس السامعين من تصديق أو عدمه، وتقدير أو سخرية، وغير ذلك مما يثيره الموضوع الكلامي[1].

فالاستعمالات اللغوية مرتبطة بالمقام الذي يرد فيه الكلام، و الذي يحدد بواسطة قرائن متعدّدة، و عبّر عنه البلاغيون العرب القدامى بمقولتهم الشهيرة "لكل مقام مقال"، وهي التي ذكرها بشر بن المعتمر في صحيفته التي دوّنها الجاحظ في البيان والتبيين.

فكلمة عملية (Opération) مثلا يفهم الملتقى معانيها المختلفة من السياق الذي توظّف فيه، فهي ترد تارة مرتبطة بالطبيب ومرّة بالعسكري، وطورا بالتاجر، وغير ذلك من المعاني.

وعلى هذا الأساس فالسياق هو دراسة الكلمة داخل التركيب أو التشكيل الذي تظهر فيه، فلا يمكن فهم أيّة كلمة على نحو تامّ بمعزل عن الكلمات الأخرى، ذات الصلة بها والتي تحدّد معناها[2].

فدلالة الفعل(ضرب) مطلقة؛ لأنّه يعطيها أوضاعا محدّدة ومختلفة:

- ضرب الولد القطّة.
- ضرب الأستاذ مثالا من التاريخ القديم.
- ضرب الرياضي رقما قياسيا جديدا.

فالفعل واحد في التراكيب السابقة، ولكنّه اتّخذ معاني متعدّدة ولدتها السياقات التي ورد فيها[3]أو الفعل "أكل" الذي تختلف دلالاته من سياق إلى آخر في القرآن الكريم، فتارة يدلّ على الغيبة نحو قوله تعالى" أيُحِبُّ أحدُكم أن يأكلَ لحْم أخِيه ميتاً فكرهتمُوه"[4]، وطورا على الافتراس كما قال عزّ وجلّ :" أخاف أن يأكُلَه الذِّئْب"[5] وغيرهما من الأمثلة التي توضح ذلك.

ويطلق على المعاني التي تكتسبها الكلمة من السياق، المعاني الإيحائية في مقابل التصريحية أو الأساسية، وسمّاها "هياكوا" [6](J.H.Hayakwa) المعاني الاتّساعية

---

[1]- ينظر عبد الغفار هلال حامد، علم اللغة بين القديم والحديث، ص: 315.

[2]- ينظر عبد الغفار هلال حامد، المرجع نفسه، ص: 315.

[3]- ينظر نور الهدى لوشن، إلياذة الجزائر – دراسة دلالية- ص: 129.

[4]- سورة الحجرات، الآية:12.

[5]-سورة يوسف، الآية :13.

[6]- هياكوا: فيلسوف أمريكي.

(Extensionnelle) في مقابل القصدية (Intentionnelle)، ويرتبط المعنى الاتّساعي بالظروف النفسية والاجتماعية والتاريخية. وأورد جوزيف هارولد جرينبرغ(1915-2001)(J.H.Gerenberg) المعنى الداخلي Sens internal والمعنى الخارجي Sens external الذي يخضع للظروف الحافة بالمحيط ويأخذ أبعاده منها[1].

ولعلّ هذا المعنى الإيحائي هو الذي يرتبط بالانزياح أو العدول والذي تهتمّ به الأسلوبية أو أسلوبية العدول، والتي لا شكّ أنّها تبحث في دلالة الأسلوب داخل السياق أو المناسبة التي وظّف فيها، لأنّه يختلف من حال إلى حال أخرى، وفي كلّ مرّة تتغيّر دلالته.

ونتيجة لذلك فإنّ فهم المعنى يعتمد على دعامتين أساسيتين وهما:

أ- معنى المقال وهو المعنى الحرفي أو الظاهري للنص.

ب- ومعنى المقام الذي يشتمل على ظروف أداة المقال، وما يتّصل به من قرائن ويرتبط به[2].

ويمكن توضيح العلاقة بين المقال والمقام بالرسم الآتي:

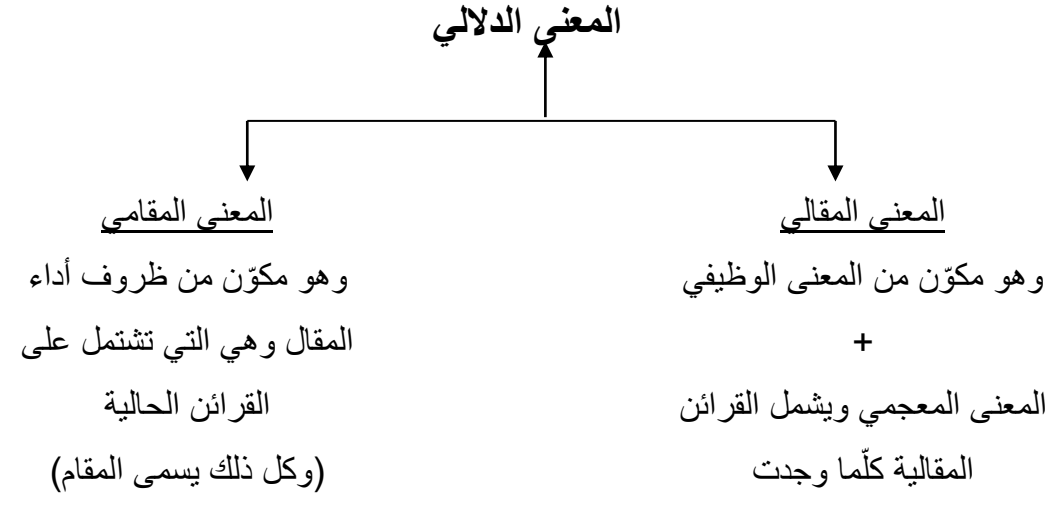

وبيّن هياكوا السياق وقرائنه بالجملة الآتية:

"اليهودي هو اليهودي"، فكلمة اليهودي الأولى تدلّ على الفرد الذي ينتمي إلى الشعب اليهودي، أمّا الثانية فتعني محتالا- لئيما- وبخيلا...[1].

---

[1]-ينظر موريس أبو ناضر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، ص: 31.

[2]- ينظر د.تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 339.

- فالمعنى الأوّل قريب وقصدي،

أما الثاني فبعيد واتّساعي، ومرتبط بالحالات النفسية والاجتماعية والقرائن المتحكّمة في المقام[2]، أي انتقال معنى الكلمة من دلالتها الأصلية والحقيقية إلى دلالتها الإيحائية أو من الحقيقة التي وضع من أجلها إلى ما يعرف في البلاغة بالمجاز.

وكان البلاغيون العرب القدامى في تحديدهم للمقام متقدّمين على زمانهم؛ لأنّ الاعتراف بفكرتي "المقام" و"المقال" باعتبارهما عنصرين أساسيين في تحليل المعنى يعدّ من الكشوف في الدراسات الدلالية الغربية التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة[3].

وتعرّض علماء الأصول إلى السياق؛ فأطلقوا عليه "فحوى الخطاب" أو "مفهوم الموافقة"، حيث تفهم من العبارات معان أكثر مما تدل عليها ظواهر ألفاظها، فقوله تعالى: "وَلا تقل لهُما أفّ"[4]، يفهم منها النهيُ عن كافّة أنواع الأذى للوالدين؛ وليس النهيُ عن قول "أفٍّ" فقط، والذي بيّن هذا المعنى هو سياق الآيات التي تأمر بالإحسان إلى الوالدين، ومخاطبتهم بالرفق والقول الكريم، والنهي عن نهرهما و إيذائهما[5].

ويظهر فهم علي بن أبي طالب لحقيقة السياق، والمقام جليّا حين ردّ على هتاف الخوارج **"لا حكم إلا لله"** بقوله: **"كلمة حقّ أريد بها باطل"**، إذ كان قصده أنّ الناس اقتنعوا بالمعنى الحرفي للجملة أو ظاهر ألفاظها، فصدقوا أنّ الخوارج أصحاب قضية تستحقّ أن يدافع الناس عنها؛ ولكنّ مقام هذه الجملة هو إلزام الحجّة سياسيا بهتاف ديني، فالمقام في جملة **"لا حكم إلا لله"** من السياسة والمقال من الدين، وكان على النّاس أن يفهموا المقال في ضوء المقام[6]. فكانت دلالة الهتاف في المقال ما هي إلاّ للتذكير بأحقّيتهم في تولّي السلطة؛ لأنّ المقام يتطلّب ذلك، فحتّى لو حكّموا شرع الله لما وافقوا، لأنّ المناسبة تتطلّب السعي للسلطة وليس للتخلّي عنها وهذا هو المقصود.

---

[1]– ينظر موريس أبو ناضر، المرجع السابق، ص: 33.

[2]–ينظر نور الهدى لوشن، إلياذة الجزائر، ص: 132.

[3]– ينظر د.تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 239.

[4]– سورة الإسراء، الآية :23.

[5]– ينظر طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، ص: 229.

[6]– ينظر د.تمام حسان، المرجع السابق، ص: 338.

ومن هنا يمكن التفريق بين ما يسمّيه المشرّع "نصّ القانون" و"روح القانون"، وهو فرق بين الاكتفاء بدلالة المقال وبين عدم الاكتفاء به، والغوص وراء المراد الحقيقي للمشرع هو فهم روح القانون وهو معنى المقام[1].

ويؤكّد علماء الأصول لمن يتصدّى استخراج الأحكام من القرآن الكريم مراعاة المقام لفهمها، فعليه مثلا:

- ألاّ يغفل عن بعضه في تفسير بعضه.
- وألاّ يغفل عن السنة النبوية في التفسير.
- وأن يعرف أسباب نزول الآيات.
- وأن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب[2] مثل العادات والتقاليد وحياتهم الثقافية.

وحقيقة الأمر، إنّ اعتبار الكلمات دون معنى، أو دون خارج السياق مبالغ فيه إلى حدّ ما، فكيف نعتبرها كذلك، ونحن نجد المتكلّم أو الكاتب يختار ممّا يقاربها أو يماثلها في الدلالة أو يخالفها لتدبيج نصّ أو خطاب، ورصفها مع أخواتها في تركيب معيّن وإدراجها في موقعها المناسب والسليم.

ولكن يمكن القول إنّ للكلمات دلالات محتملة لصنوف من المعاني لا تتحدّد، ولا تتّضح إلا بالسياق[3]، أي إنّ توظيفها في عبارة معيّنة يكسبها دلالة خاصة بها، ولا تفهم إلا ضمنه. وتستعمل مصطلحات عديدة مرادفة للسياق مثل:

- المقام.
- ومقتضى الحال.
- وسياق الحال.
- والموقف.

وهي لا تختلف مفاهيمها لدى كثير من اللغويين، وهذا ما جعل بعض الباحثين يقترح تقسيما للسياق يشمل كلّ ما له صلة باستعمال الكلمة من علاقات لغوية وظروف اجتماعية وخصائص وسمات ثقافية ونفسية وغيرها، فكان تقسيم السياق إلى أربعة أنواع:

---

[1]– ينظر د.تمام حسان، المرجع السابق، ص: 338.

[2]– ينظر د.تمام حسان، المرجع السابق، ص: 348.

[3]– ينظر نور الهدى لوشن، إلياذة الجزائر، ص: 136.

أ- السياق اللغوي.

ب- السياق العاطفي.

ج- سياق الموقف.

د- السياق الثقافي[1].

أ- السياق اللغوي:

يرتبط السياق اللغوي بنظام اللغة و كلماتها وترتيباتها المختلفة، ودعاه **ميكاييل هاليدي** (Michael Hallidy)[2] بالرصف أو التساوق (Collocation). وهو يؤكّد معنى الكلام الدقيق الذي يتحدّد من خلال معطيات الاستعمال الفعلي، وورودها مع مجموعة من الكلمات والعناصر التي تقع معها في سياق لغوي يقبله أبناء اللغة، وبذلك فإنّ السياق اللغوي يوضّح كثيرا من العلاقات الدلالية بين الكلمات، وهو مقياس لبيان الترادف والاشتراك والأضداد...

فالسياق اللغوي هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام جملة مجاورة كلمات أخرى، ممّا يكسبها معنى خاصا بها ومحدّدا، فالمعجم يقدّم معنى عامّا متعدّدا، ومتّصفا بالاحتمال؛ على حين إنّ السياق يضع له قيودا واضحة ويعيّنه، ويخصّصه بسمات غير قابلة للتعدّد والاشتراك والتعميم[3].

ويمكن تجلية ما سبق بكلمة **"منصهر"** التي ترتبط بمجموعة من الكلمات، كالحديد، والنحاس، والذهب، والفضّة. ولا تتعلّق بكلمة التراب أو الخشب أو الجلد أو الملح، فبالمجموعة الأولى يتحدّد معنى كلمة "منصهر"، ويعرف أنّها لا ترد في سياق لغوي تقبله المجموعة الثانية من الكلمات[4].

إنّ كلمة "عين"في العربية - وهي من المشترك اللفظي- عند ورودها في سياقات لغوية تتبيّن للدارس معانيها المختلفة باختلاف كلّ سياق ترد فيه، فكلّ سياق وردت فيه كلمة "عين" يقدّم معنى واحدا، ومن ثمّ تتجّه إليه الأفهام، وتترك ما سواه، وبالتالي لا يقع أي اشتراك في السياق الواحد فمثلا:

- عين الطفل تؤلمه فهي الحاسة الباصرة.

---

[1] – ينظر نور الهدى لوشن، المرجع نفسه، ص: 136.

[2]– ميكاييل هاليداي مولود في 1925، كان أستاذ اللسانيات العامة في جامعة لندن، وهو من علماء المدرسة الاجتماعية.

[3]– ينظر د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 300-301.

[4]– ينظر د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 300.

- في الجبل عين جارية: هي عين الماء.
- هذا عين العدو: بمعنى الجاسوس.
- العين الساحرة: وسيلة أو منظار حديث يركب في الباب، وينظر منه لمعرفة الطارق.
- ذلك الرجل عين من الأعيان، فهو السيد والشريف من القوم[1].

فكلمة (العين) واحدة ولكن الاستعمال أكسبها دلالات خاصة بكلّ تركيب.

ويكون الرصف أو التساوق مقبولا في مستويين اثنين من الاستخدام اللغوي، وهما:

أ- حين يكون موافقا الاستعمال العادي الذي ارتضاه أبناء اللغة.

ب- وحين يكون تفسيره وفق الاستعمال المجازي مقبول، ولا يخرج عن النمط السائد الذي يقبله النظام اللغوي وواقعه[2]؛ بل والثقافية والاجتماعية المتوارثة والمتبادلة داخل المجتمع.

ب- السياق العاطفي:

يحدّد السياق طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية، ودلالتها العاطفية، وهو يرتبط بدرجات الانفعال، فاللفظة لا تحمل معنى عقليا فحسب؛ بل تحمل – في الغالب- لونا من الإحساس، فكلمة (دويرة) (Maisonnette)، وكلمة(بُسيْتن- جُنيْنة) (Jardinet) لا تعنيان فقط منزلا صغيرا أو بستانا صغيرا؛ بل إنّ اللاحقتين ET و ETTE في صيغة التصغير في اللغة الفرنسية تقومان فيهما بدور العاطفة"[3]، وكذلك كلمة (اسْكيْنه) باللهجة الجزائرية فقد تقال لمن ليس له سكن، ويتمنّى أن يحصل عليه، وهي تحمل معنى الدعاء لمن يمتلك ليس مثله ولكن أقلّ منه، لأن الأول أكبر وأغلى من أن يتمكّن من شرائه أو الحصول عليه.

كما تضيفان إليهما الجمال والمتعة، ومثل هذه اللواحق للتصغير تضمّ –عادة- إلى هذه القيمة عاطفة اللطف، أو الحنان، أو الانعطاف، أو الإشفاق[4]. والشيء نفسه نلفيه في الكلمات المصغّرة في العربية تحمل معنى التحقير نحو: (اوْليَّد) (الولد بالفصحى) تقال عندما يكون الطفل صغيرا في السنّ مثلا ولكن جسمه ضخم.

---

[1]– ينظر د.أحمد محمد قدور، المرجع السابق، ص: 296.

[2]–ينظر نور الهدى لوشن، المرجع السابق، ص: 136.

[3]– فندريس، المرجع السابق، ص: 186.

[4]– ينظر فندريس،المرجع نفسه، ص: 186.

وكلّ كلمة تُذْكر يكون صداها لدى الملتقّي تابعا لحالته النفسية -أيضا-"فبرج إيفل" مثلا، حين يسمعها تثير فيه ذكرى أليمة إذا كان قد زارها، أو يحمل عنها ذكريات طيّبة فلا يريد أن يسمعها، وتعطيه تصوّرا خاصّا وفق تركيبه النفسي، فهي في التركيب ذات علاقة بجوّ عاطفي ينفد فيها، ويكسبها ألوانا من الإيحاءات بحسب استعمالها[1].

أو مثلا عندما تذكر كلمة "مدرسة" لأحد، فقد تثير فيه ذكرى معلّمة أو معلّم كان يشفق عليه أو يكافئه أو كان يتفوّق فيها أو العكس، فيتذكر من خلال الكلمة نفوره من المدرسة بسبب بنايتها أو عدم توافر الإمكانيات بها...

"فالسياق العاطفي يحدّد درجة الانفعال قوة وضعفا، إذ تنتقى الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية حين الحديث عن أمر فيه غضب وشدّة انفعال، فالمتكلّم حين يكون في حالة من الشعور الجامح يغلو في استعمال كلمات محمّلة بالاندفاع، كما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني والعاطفية، كأن تمثل معناها تمثيلا حقيقيا، وللإشارات والنبر والتنغيم المصاحبة للكلام أهمّية في إبراز درجة الانفعال وقوّته"[2].

وهنا نشير إلى دور الإلقاء في العملية التعليمية، فكلّما كان الاختيار حسنا وجيّدا للطريقة التي يتمّم إلقاء بها الدرس والحديث، كلّما كان التأثير في المتلقّي واقتناعه بما سمعه؛ وبالتالي يقبل الرأي أو ينفر منه.

ج- سياق الموقف:

ويقصد بسياق الموقف "العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام"[3]، وقد عبّر عنه البلاغيون العرب القدامى بقولهم الشهير "لكلّ مقام مقال"، وهو أن يوجد المتكلّم مناسبة بين كلامه والموقف الذي يكون فيه، نحو عبارة (يرحمك الله)[4] في مقام تشميت العاطس لأنّها بدأت بالفعل (يرحم)، أمّا في مقام الترحّم على الميّت فيتصدّرها الاسم فيقال (الله يرحمه)، والمقامان مختلفان، ولذا وجب معرفة الاختلاف بين المعنيين انطلاقا من المقالين.

---

[1]- ينظر نور الهدى لوشن، المرجع السابق، ص: 133.

[2]- ينظر د.أحمد محمد قدور، المرجع السابق، ص: 297.

[3]- ينظر د.كريم حسام الدين، المرجع السابق، ص: 284.

[4]- د. تمام حسان، المرجع السابق، ص: 372.

فالكلام في مقام عقد القران تختلف كلماته وعباراته عن مقام الموكب الجنائزي، بالأول مرتبط ببداية حياة ففيها الآمال السارّة والمستقبل المشرق، أمّا الثاني فنهاية إنسان، وثمّة فرق كبير بينهما.

ولا ريب في أنّ ما يؤدّيه المقام للمعنى من تحديد ومناسبة ظرفية، يدعو المتكلّم إلى الإلمام بالمعطيات الاجتماعية التي سيق فيها الكلام، ولذلك كان التمهيد –عادة- للآثار الأدبية بالحديث عن الاجتماعية والثقافية والسيرة العلمية للمبدع، وتأثّره بالظروف التي أسهمت في تكوينه، ودراسة الملابسات الشخصية؛ لما لها من دور مهمّ في فهم المعنى المقصود في تلك الظروف[1].

وهو الأمر الذي دعا المناهج البنيوية إلى إعادة النظر في تحليلاتها، ذلك أنّها أهملت العوامل الخارجية التي لها تأثير على بنية النص ومضمونه؛ بل كان تأثيرها على بنية الفكر المعاصر والمجتمع أيضا.

د- السياق الثقافي:

إذا كان يقصد بسياق الموقف –عادة- المقام من خلال المعطيات الاجتماعية، فإنّ السياق الثقافي ينفرد بدور مستقلّ، وإن كان مرتبطا بسياق الموقف، فهو يتجلّى من انتماء أصناف الناس إلى الثقافات المختلفة والتخصّصات المتعدّدة.

وعلى سبيل المثال قد تكون الكلمة واحدة، لكنّ مفهومها يتغيّر من فئة إلى أخرى نحو **(جذر)** التي لها معنى في الزراعة كجذر الشجرة، وآخر في مجال اللغة يتعلّق بصيغة الكلمة، وثالث عند عالم الرياضيات في الأرقام، ورابع عند طبيب الأسنان وهكذا[2].

ونجد كلمة **(الصرف)** لدى دارسي العربية وطلابها تفيد العلم الذي تعرف به أحوال الكلمة من اشتقاق وتغيير وزيادة في بنية الكلمة ونحو ذلك، على حين يحدّدها دارسو الهندسة وطلاّبها بأنّها مصطلح علمي يشير إلى عمليات التخلّص من المياه بأيّة وسيلة، وويربطونه بالري.

فهم يتحدّثون عن الريّ والصرف دون أن يشعروا بأي لبس أو غموض في المعنى أمام دارسي العربية الذين يتكلّمون عن الصرف، أما إذا استعملت في قطاع المال والتجارة،

---

[1]– ينظر د.أحمد محمد قدور، المرجع السابق، ص: 299.

[2]– ينظر نور الهدى لوشن، المرجع السابق، ص: 134.

فإنّ دلالتها تشير إلى تحويل العملة النقدية من الوجود والكمون في الحساب المصرفي إلى التداول الفعليّ، أو تحويل العملة من فئة إلى أخرى، أو من نقد إلى آخر[1]. وليس هناك أيّ غموض دلالي في الاستعمال والتداول.

وأنّ للسياق الثقافي أهمية بارزة في الترجمة، فمن خلاله يتطلب الفهم الدقيق والعميق للظروف المختلفة للمفردات والتعابير اللغوية حتى يتمكّن المترجم من نقل مضمون النص إلى لغة الهدف، والاقتصار على الدلالة المعجمية حين ترجمة الكلمات المعبّرة عن العقائد أو المذاهب السياسية مثلا يُضلّ المترجم ويبعده عن روح النص، لأنّه لم يكن قد وضع في الحسبان المعاني الهامشية المستمدّة من السياق الثقافي[2]؛ والتي تختلف اختلافا كبيرا عن دلالة المفردات لما تكون واردة في المعجم دون توظيفها في التراكيب.

ولا يمكن لأنواع السياق المختلفة أن توجد بمعزل عن المجتمع، فهي وليدته وهو موجدها، فهي مثل اللغة تتأثّر بالظروف السياسية والاقتصادية والدينية وغيرها.

وإنّ أسباب نزول القرآن الكريم تبيّن أنها ليست عللا للتشريع في حدّ ذاتها، وإنّما هي المناسبات التي حفت بالنص الشرعي، ولذلك فهي أساسية وضرورية في تفسيره، وتحديد معناه، واستنباط الأحكام أو المبادئ العقدية أو غيرها.

فاللغة تتأثّر بمجالات الحياة الاجتماعية، وتعكس صورتها وبصمتها على مرّ العصور بمختلف فنونها ونظمها وعاداتها وتقاليدها، وتصبغ مظاهرها في المستويات الصوتية والمعجمية والدلالية والأسلوبية، ولهذا كان المجتمع هو المقام ذاته؛ بل هو السياق بجميع أنواعه[3] وبخاصّة السياق الاجتماعي.

ولا يمكن الفصل بين أقسام السياق المختلفة والمتعدّدة لتصبح مجرّدة، أولا يكون تآزر بين السياقات؛ فذلك لا يتلاءم وطبيعة الواقع؛ لأنّها مرتبطة فيما بينها، وهي مجتمعة تدلّ على الموقف الذي يجري فيه التخاطب، أو يتمّ فيه إنشاء النص، فيطلق عليه سياق الحال أو الماجرى الذي وهو مجموعة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي أو الحال الكلامية، ولا يتحدّد المعنى المقصود إلا بمعرفتها.

---

[1]– ينظر د.أحمد محمد قدور، المرجع السابق، ص: 299–300.

[2]– ينظر د.أحمد محمد قدور، المرجع السابق، ص: 300.

[3]– ينظر د. محمود سعران، المرجع السابق، ص: 317–318، وعبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص: 167.

أما العناصر المكوّنة لسياق الحال فهي:

أ- شخصية المتكلّم والسامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات أخرى، إمّا شاهدة على الخطاب، أو تشارك فيه من حين لآخر، وما يصدر عنها من كلام، وعلاقة ذلك بالسلوك اللغوي.

ب- العوامل المرتبطة بالسلوك اللغوي المسهم في الموقف الكلامي كالوضع السياسي ومكان الكلام وغير ذلك، وما يصاحبه من انفعال وتعجّب واستجابة.

ج- أثر النص الكلامي في المشتركين كالاقتناع بالرأي، والتأثير في السلوك وتغييره وما يصاحب ذلك من ألم أو ضحك أو حزن وعلامات رضى وأفعال، و كل ما يظهر من ملامح على الوجه[1].

وكان ابن جني على إدراك جيّد لسياق الحال وعناصره، حين أشار إلى أنّ المعاني لا تفهم إلا بتحليل الظروف المحيطة بها، ومن ثمّ على اللغوي ألا يكتفي بسماع الكلام فقط؛ بل عليه أن يجمع الحضور والمشاهدة وما يحيط بظروف الكلام[2].

فها هو يقول: "ولهذا الموضع نفسِه ما توقّف أبو بكر عن كثير ممّا أسرع إليهِ أبو إسحاق من ارتكاب طريق الاشتقاق، واحتجّ أبو بكر عليه بأنّه لا يؤمَن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها، ولم ندرِ ما حديثها، ومثل له بقولهم (رفع عَقِيرته) إذا رفع صوته.

قال له أبو بكر: فلو ذهبنا نشتقّ لقولهم (ع، ق، ر) من معنى الصوت لبعُد الأمر جِدّا، وإنّما هو أنّ رجلا قطعت إحدى رجليه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال النّاس: رفع عقيرته، أي رِجله المعقورة.

قال أبو بكر: فقال أبو إسحاق: لستُ أدفع هذا. ولذلك قال سيبويه في نحوٍ من هذا: أو لأنّ الأوّل وصل إليهِ علم لم يصل إلى الآخر، يعني ما نحن عليهِ من مشاهدة الأحوال والأوائل.

فليت شعري إذا شاهد أبو عمرٍو وابن أبي إسحاق، ويونس، وعيسى بن عُمر، والخليل، وسيبويه، وأبو الحسن، وأبو زيد، وخلف الأحمر، والأصمعيّ، ومَن في الطبقة

---

[1]- ينظر د. محمود سعران، المرجع السابق، ص: 317-318.

[2]- عبده الراجحي، المرجع السابق، ص :167.

والوقت من علماء البلدين، وجوهَ العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألاَ تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤدّيه الحكاياتُ، ولا تضبِطه الروايات، فتُضطرّ إلى قُصود العرب، وغوامض ما في أنفسها، حتى لو حلف منهم حالِف على غرضٍ دلّته عليه إشارة، لا عبارة، لكان عند نفسه وعند جميع من يَحضُر حاله صادقا فيه، غير متَّهَم الرأي و النحيزة والعقل"[1].

يذكر ابن جني منذ بداية النص الأسباب التي لم نشاهدها وعدم دراية مورد حديث العبارات والتراكيب بمعانيها، وهو دليل واضح على إدراكه لسياق الحال وعناصره، إذ بدونه لا يصل الدارس إلى قصود العرب، ويضاف إلى ذلك الانتباه إلى الإشارات والحركات التي تصدر من المرسّل ومن المتلقّي والنبر والتنغيم والتلوينات الصوتية في الحديث، وكلّ ما يساعد على فهم المعنى الذي يريده المتكلّم.

5- مدرسة أكسفورد:

كان أوّل من أسهم في الفلسفة التحليلية عالم الرياضيات والمنطق جوتلوب فريجه (1848-1925) الألماني الجنسية، ويعتبره الدارسون أعظم مفكّر ظهر في العالم الغربي بعد الفيلسوف كانط.

وجاء بعد برتراند راسل الذي مزج أسلوب فريجه ومنطقه مع أفكار هيوم وفلسفته التجريبية. وأدّت أبحاثه إلى فحص بعناية طريقة استخدامنا للغة، كما اعتقد أنّ قواعد اللغة المستخدمة في حياتنا العامّة ليست منطقية، ويمكن أن تؤدّي إلى عدم الفهم وإلى التضليل.

وأتى بعده لودفيج فتجنشتين **(Ludwig Wittgenstein)** ويعدّ من رواد مدرسة أكسفورد التحليلية، وألّف رسالة منطقية فلسفية، تناول فيها قضايا لغوية من طبيعة المعنى، والنظرية التصويرية للغة. وبها بعد. أحد مؤسّسي الفلسفة التحليلية.

وكان يرى أنّه يمكن القول بصحّة أشياء في هذا العالم، لذلك تركيبة لغتنا يجب أن تعكس بطريقة ما تركيبة هذا العالم، وهذا ما كان يقصده بقوله:"العالم عبارة عن مجموعة حقائق، لا أشياء" فما يمكن التفكير فيه يمكن قوله.

[1]– ينظر ابن جني، الخصائص، ج:1، ص: 248.

فهو فيلسوف وعالم رياضيات نمساوي ثمّ بريطاني. قدّم إسهامات علمية في المنطق والنظريات الأساسية للرياضيات وفلسفة اللغة. ولد في فيينا في 26 أفريل 1889 وتوفي في كامبريدج سنة 1951.

تأثّر بدروس برتراند راسل، ونشر في حياته كتابا واحدا مؤلّفا باللاتينية تحت عنوان:"الرسالة المنطقية الفلسفية، ونشرت باللغة الألمانية لأوّل مرّة سنة 1921 ثمّ بالإنجليزية سنة 1922.

أمّا سائر بحوثه وكتاباته فلم تنشر إلاّ بعد وفاته مثل:

- ملاحظات حول أسس الرياضيات سنة 1956.
- ملاحظات فلسفية سنة 1964
- محاضرة في الأخلاق سنة 1965.

وتقوم فلسفة التحليل بتوضيح فهمنا للأشياء عن طريق تحليل أو تفكيك معنى الجملة أو المقولة أو المفهوم، والتحليل هو فكّ الشيء عن بعضه لمعرفة الأجزاء الأولية التي تساهم في تركيبه[1].

وتهتمّ فلسفته بتحليل اللغة لتجنّب الفوضى والارتباك، ويرى أنّ كتابه يعالج مشكلات الفلسفة؛ لأنّه سيء فهم منطق اللغة، وملخّص كتابه هو: أنّ ما يمكن قوله على الإطلاق يمكن قوله بوضوح، وأمّا ما لا نستطيع أن نتحدث عنه، فلابدّ أن نصمت عنه. وبالتالي فهو يركّز على العلاقة بين اللغة والتفكير أو بين منطق اللغة وبناء العقل[2].

[1] -www.nominom.com, et www.m.alhewar.org

[2]- صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط 1983، دار التنوير للطباعة و النشر بيروت، لبنان، ص: 69-70.

1- المدرسة التوزيعية

2- نوام شومسكي: مؤسّس المدرسة التحويلية التوليدية

أ- حياته

ب- مؤلفاته

ج- متى فَكَّر شومسكي في وضع نظريته التفسيرية؟

3- مبادىء شومسكي اللسانية

4- ثنائيات شومسكي

أ- الكفاية اللغوية والأداء الكلامي

ب- البنية السطحية والبنية العميقة.

خاتمة

يعدّ ظهور المنهج التوليدي التحويلي ثورة حقيقية على الاتّجاه السلوكي والوصفي في تحليله للعملية التواصلية اللغوية، فأقام تصوّرا آخر يختلف في أصوله باختلاف نظرته إلى طبيعة اللغة، وهاجم الآراء القائمة على الارتباط الشرطي أو التحكّم في الدوافع، كما انتقد التحليل البنيوي على الرغم من أنّ كثيرا من الدراسات تؤكّد على أهميته، وهو يرتكز على الملاحظة والتصنيف والترتيب للأشكال اللغوية السطحية[1].

وإنّ شومسكي لم يرفض المذهب السلوكي فحسب؛ "بل حاربه في عقر داره، وقوّض الدعائم التي يقوم عليها علم النفس السلوكي بشكل عامّ، وقد انتقد كتاب سكينر:"السلوك الكلامي" في مقال له بعنوان:" مراجعة كتاب سكينر: السلوك الكلامي"[2].

ومن المعروف أنّ الدرس اللغوي في النّصف الأوّل من القرن العشرين قد ارتبط بفرديناند دي سوسير (Ferdinand De Saussure) الذي اعتبرتها الدراسات اللغوية الأب الروحي للسانيات الذي تأثّر بفلسفة دوركايم الاجتماعية.

أمّا النّصف الثّاني من القرن نفسه فقد تعلّق باسم رائد من رواد هذا العلم وهو نوام تشومسكي (Noam Chomsky) الذي شغل الدارسين المعاصرين، ولا يزال بنظرياته في طبيعة اللغة ومنهج دراستها، ومبادئه ومدرسته التحويلية التوليدية التي يعدّ رائدها بدون منازع، فهو مؤسّسها ولا تنسب إلا إليه[3].

وبما أنّ شومسكي قد تتلمذ على يد هاريس الذي يعدّ قطبا من أقطاب المدرسة الوصفية، فهو نتاج وسط بلومفيلدي، ولكنّه خالف – كما خالف أستاذه غي الأخير– المنهج الوصفي. وتبنّى فكرته الجديدة في التحويل.

ولعلّ شهرته لا تعود إلى عمله النظري في اللسانيات فقط، وإنّما إلى العمل المدني المناهض للسياسة الأمريكية والخارجية، وبخاصّة تلك التي انتهجتها في الحرب الفتنامية[4].

فمنذ صدور كتابه "البنى التركيبية"[5] عام 1957 تغير اتّجاه اللسانيات من المنهج المحض إلى منهج جديد يعرف بالنحو التوليدي التحويلي Grammaire générative Transformative.

---

[1]– ينظر أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي، ص: 76.

[2]– أحمد مومن، المرجع السابق،ص:203.

[3]– ينظر د.كريم حسام الدين،المرجع السابق، ص: 66.

[4]– ينظر أحمد مومن، المرجع السابق،ص:202-203.

[5]– Noam Chomsky, Structures syntaxiques, traduit de l'anglais par Michel Brandeau, Editions du Seuil, 1969.

وقبل التعرّض إلى هذه المدرسة يحسن التطرّق إلى المدرسة التوزيعية التي سبقتها، وهي التي أسّسها أستاذ شومسكي زليغ هاريس (Zellig Harris).

1-ملامحت ذز بطئمرلغذب

لقد كان ليونارد لبلومفيلد [1]Bloomfield(لفت 1887-ةمخى1946) والمذهب السلوكي في علم النفس الذي ساد في الولايات المتحدة وأوربا في الثلاثينيات أكبر الأثر في ظهور المنهج التوزيعي (Distributionalisme).

وكان يرى أنّ اللسانيات شعبة من شعب علم النفس السلوكي، متأثّرا في هذا المنحى بواطسون(watson) مؤسّس المذهب السلوكي. وبناء على ذلك حاول تفسير "الحدث الكلامي" (speech act) من منظور سلوكي بحت رافضا بذلك الدراسة العقلية التي كان هو بالذات من أنصارها[2].

ولقد عدّ كتاب اللغة لبلومفيلد مرجعا أساسيا بعد أكثر من ثلاثين سنة من ظهوره، وإنّ تفسيره للسانيات قد هيمن على موقف معظم اللسانيين الأمريكيين من 1933 حتّى 1957 م. وإنّ جلّ العملِ الذي أنجز في هذه السنوات عدّه الدارسون مجرّد شرح أو تطوير للأفكار التي أتى بها بلومفيلد، ودليل ذلك أنّ هذه المرحلة أصبحت تعرف في تاريخ اللسانيات بالعهد البلومفيلدي[3].

وتقوم مبادئه على المنطق البيهافيوري[4](Behaviorism) أو(Behaviorisme)، الذي يرى أنّ اللغة قائمة على الدوافع وردود الأفعال؛ أي أنّ السلوك البشري ينتج عن طريق المؤثّر والاستجابة، والذي يمكن وصفه في كلّ الميادين اعتمادا على علاقة أساسية هي منبّه- رد فعل.

---

[1] – ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield: حصل على شهادته الجامعية الأولى وعمره لم يتجاوز تسع عشرة سنة، رحَل إلى شيكاغو، ودرس بها، ثم عاد إلى شرق الولايات المتحدة، ودرّس بها حتى مات سنة 1949.

كان جهده منصبّا على دراسة ألسنة الهنود الحمر؛ فرأى ما بينها وبين الإنجليزية وغيرها من الألسنة الأوربية من اختلافات، جعلته يشكك كثيرا في بعض الأحلام التي ما برحت تراود أفكار كثير من النحويين في الغرب من استنباط قواعد عالمية للألسنة أو اتخاذ لسان عالمي موحّد للبشر، وكانت تلك أماني هي أقرب للأحلام منها للواقع. ينظر أئمة النحاة في التاريخ، محمد محمود غالي، ص 17.

[2] – ينظر أحمد مومن،المرجع السابق،ص:193.

[3] – ينظر أحمد مومن،المرجع السابق،ص:196.

[4] –السلوكية: نظرية تقول بأنّ دراسة سلوك الإنسان والحيوانات، الظاهر هو موضوع علم النفس الحقيقي". د.سهيل إدريس ود.جبور عبد النور، المنهل، قاموس عربي –فرنسي، دار العلم للملايين، ط:8: 1985، ص: 109.

فالحديث أو الكلام مثلا هو نموذج من السلوك ويعدّ منبّها، وتكمن ملكة اللغة في توفير ردّ معادل للمنبّه، فإذا طلبت من شخص أن يغلق الباب، يجب أن يطلب ذلك باستعمال الكلمات، والسياق هو الذي سيبرز مدى النجاح أو الإخفاق[1]، فإذا لبّ الطلب فمعنى ذلك أنّه استجاب للمؤثّر الذي كان غلق الباب.

كما أنّ الذين سبقوا شومسكي أمثال بلومفيلد كانوا يؤمنون بالمنهج التجريبي في البحث اللساني، ويرون أنّ قواعد اللغة وصفية وليست معيارية، وكان منطق بلومفيلد قياسيا **Inductive** مغايرا لمنطق الاستنباط **Déductive** الذي اتّبعه شومسكي.

فبلومفيلد وأتباعه يتناولون المادّة بالوصف والتحليل للوصول إلى قواعد لسانية، وكلّ سؤال عمّا عدا المادّة اللسانية يعتبر بحثا بغير هدف معقول.

أمّا شومسكي فيعتبر المادة اللسانية وسيلة لمعرفة كيفية عمل العقل البشري، وأداة لدراسة الفكر الإنساني؛ لأنّ اللسان هو أهمّ سبل المعرفة الإنسانية، وذلك لأنّ العقل البشري هو مصدر التفكير والقواعد اللسانية المستظهرة التي يجيدها كل مولود في لسانه، وبالتالي لابدّ من التعرّف على طريقة اكتساب هذا العقل للمعلومات، وهو بذلك يعتبر عقلانيا.

وهنا يكمن الفرق الجوهري بين شومسكي والوصفيين، فهو ينتمي إلى العقلانيين مثل أفلاطون، وديكارت، وهمبولدت الذين يعتقدون أنّ العقل في ذاته مصدر كلّ معرفة، وهو أسمى من الحواس، ومستقلّ عنها، وأنّ هناك متصوّرات وقضايا مسبقة مكتسبة دون تجربة، يقوم العقل من خلالها بتفسير معطيات التجربة.

أمّا الوصفيون فقد تبنّوا المذهب التجريبي **(Empirisme)** الذي كان لوك **(Locke)** وهيوم **(Hume)** من دعاته، والذي ينصّ على أنّ المعرفة لا يمكن الحصول عليها إلاّ عن طريق التجربة المستمدّة من الحواسّ. وإذا كان الوصفيون لا يعترفون بالعقل، فإنّ شومسكي يرى بأنّه مصدر كلّ معرفة، وأنّ الطفل يولد مزوّدا بمعرفة فطرية **(inbom knowledge)** مجسّدة فيما أسماه بجهاز اكتساب اللغة **(Language Acquisition Device)**[2].

"كما أنّ العقل في نظر شومسكي ليس ذلك اللوح الأملس الذي ترسم التجربة بصماتها عليه، وتختطّ طبقة معيّنة من المجتمع ما تشاء عليه بما يتماشى ومصلحتها الخاصّة، ولكن

---

[1]-ينظر كاترين فوك،بياري قوتبك، قضايا ومبادئ اللسانيات المعاصرة، تعريب المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 1984،ص: 39.

[2]- ينظر أحمد مومن، المرجع السابق،ص:192-193.

العقل– كما شبّه ذلك ليبنيتز – مثل الكتلة الرخامية التي يمكن نحتها في أشكال مختلفة، ولكن بنية الرخام في ذاتها تفرض بعض القيود على إبداعية النحّات.

وإذا كان السلوكيون قد ذهبوا إلى أبعد حدّ لهم في قولهم: إنّ الإنسان كائن طيّع غير حرّ وإن كلّ ما يفعله هو مجرّد ردود أفعال لمثيرات خارجية، فإنّ شومسكي قد انتقد هذا الموقف الذي يحطّ من قيمة الإنسان ويحدّ من قدراته الخلاّقة"[1].

وقد ألّف كتابا بعنوان "اللغة والتفكير"(**Le langage et la pensée**) وهو يذكّرنا في هذا المجال بما قاله همبولدت 1835 وليبنتز 1777.

كانت مبادئ ومنهجية التحليل التوزيعي قد ظهرت من تأثير بلومفيلد انطلاقا من كتابه "اللغة" المطبوع سنة **1933**، والذي كان بعد تأليف كتاب بعنوان "مدخل إلى دراسة اللغة" **(introduction to the study of language)** فقام بمراجعته وإخراجه بعنوان "اللغة".

وبعدما تشبّع بمبادئ السلوكية أعلن صراحة عن التزامه بهذا المذهب بعدّه إطارا نموذجيا لوصف اللغة. ونظرا لأهمّية هذا الكتاب الذي يعدّ مصدرا أساسيا في اللسانيات الوصفية، فقد أطلق عليه الإخصائيون اسم إنجيل اللسانيات الأمريكية"[2]، فإنّها فلقد عرفت تطوّرا ملحوظا عندما نشر زليج هاريس 1952 كتابه بعنوان "مناهج اللسانيات المعاصرة" "**Methods**"، والذي نجد فيه عرضا مفصلا للمنهج التوزيعي.

واقترح قضايا جديدة، وذات أهمية كبرى كان من شأنها أن عمّقت وقدّمت اللسانيات مع تطبيق المنهج التوزيعي على تحليل الخطاب، لوصف اللغة باعتبارها مخزن الملفوظ المادي، دون الأخذ بالعناية معاني الملفوظات أو حال الاتصال.

وكان هاريس من الذين تأثّروا بآراء بلومفيلد الذي يحدّد دور اللساني في أنّه يجب أن يتجاوز مستوى الجملة، لكي يحلّل الخطاب؛ ممّا جعله مؤسّس"لسانية النص" **La linguistique textuelle**".

وتقوم طريقة التحليل عنده على مفهوم المعادلة التي تبحث في المعادلات الموجودة بين الوحدات اللسانية التي تأخذ التوزيع نفسه في فئات من الحمل.

"ويستند الاتجاه التوزيعي على اختلاف مدارسه إلى أنّ اللغة مؤلّفة من وحدات تمييزية يظهرها التقطيع أو التقسيم. ويعتمد منهج التوزيعية على الطريقة الشكلية للوصول إلى

---

[1]- أحمد مومن، المرجع السابق،ص:193.

[2]- أحمد مومن، المرجع السابق،ص:193.

المكوّنات المباشرة والمكوّنات النهائية. ويتضح ذلك من المثال الذي عرضه بلومفيلد باللغة الإنجليزية في كتابه "اللغة" وهو: **Poor John ran away** أي فرّ جون المسكين.

ولكن نعتمد التقسيم القسيم نفسه الذي أعطاه بلومفيلد لهذه الجملة؛ ولكن انطلاقا من جملة باللغة العربية ذكرها أحمد محمد قدور وهي: "الأولاد يشاهدون التلفاز". فالجملة تتألّف من مكوّنين هما: الأولاد – ويشاهدون التلفاز.

ثمّ يُعرّض كلّ من هذين المكوّنين للتقسيم إلى مكوّنات مباشرة أخرى، فينتج من ذلك:

– الأولاد كما هي.

– يشاهدون التلفاز= يشاهدون: مكوّن مباشر.

= التلفاز: مكوّن مباشر.

وتحلّل هذه المكوّنات المباشرة إلى مكوّنات نهائية فتكون على هذا النحو:

– الأولاد = أل+ أولاد.

– يشاهدون = يشاهد+ون

– التلفاز = أل+ تلفاز (أرى هنا إضافة فتحة التلفاز لأنّه مكوّن، ولم يذكر هذا أحمد محمد قدور).

إنّ غاية هذا التحليل إظهار البناء المتدرّج للعبارة. وحين يتّضح البناء المذكور يمكن إجراء التعويض في المواضع السابقة التي احتلّتها مفردات المثال السابق دون مساس بالمكوّنات التي تشكّل العبارة... فالأولاد تعوّض الطلاب، ويشاهدون تعوّض بيجرون، والتلفاز تعوّض بالتجارب...وهكذا"[1].

وتأسيسا على هذا الفهم فإنّ جهود المدرسة التوزيعية تركّزت حول دراسة العلاقات داخل نصّ منتهٍ بناء على الوحدات الشكلية دون الرجوع إلى المعنى[2]؛ لأنّ الجمل في اللغة ترتبط ارتباطا وثيقا فيما بينها، والصلة القائمة بينها لا يمكن ملاحظتها إلا بالنظر في توزيع عناصرها.

ويهدف التحليل التوزيعي –أيضا– إلى تعريف الوحدات اللسانية بالحصر الذي يحدّد ظهور هذه الوحدة بجانب تلك، وبالتالي تنتمي إلى القسم نفسه، العناصر الخاضعة للحصر

---

[1]-ينظر د. أحمد محمد قدور،المرجع السابق، ص:249-250.

[2]– ينظر أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي، ص:80–81.

نفسه، وبمعنى آخر كلّ عنصر محدّد برتبته بالنسبة للعناصر الأخرى في السلسلة الكلامية، وبذلك تكون الأقسام التوزيعية التي نستطيع من خلالها دراسة توزيع كل وحدة لسانية.

فنلاحظ مثلا أنّ كلمة "كتاب" يمكنها أن تقع قبل "كاف" المخاطب أو بعد ياء المتكلّم، و قبل صفة ضخم أو أصفر، وكذلك بالنسبة لكراس، أو قاعة، أو أريكة، فهي قابلة للاستبدال في أكبر عدد من السياقات، وجمعها في القسم نفسه والمحور الاستبدالي، والتي يمكن تسميتها بقسم الأسماء، والشيء نفسه في سياق مثل:

– كتاب مهمّ موضوع هنا.

فيمكن أن يكون عنصر الاستبدال كالآتي:

– الكتاب المهم موضوع هنا.

– هذا كتاب مهمّ موضوع هنا.

– كتابي مهمّ موضوع هنا.

– كل كتاب مهمّ موضوع هنا.

فتكوّن قسما توزيعيا يسمّى المعرفة نتيجة استبدال الـ –هذا– ياء المتكلم –كل–، وليست هذه الأقسام معرّفة عن طريق معنى العناصر المكوّنة، ولكن على أساس شكل الحالات التوزيعية[1].

أما الإضافة الأساسية لزليغ هاريس في تحليل الخطاب؛ فتتعلّق بتأكيده على العلاقة الموجودة بين اللغة والثقافة، أو السلوك الاجتماعي، وألحّ على ضرورة إدخال هذا العنصر أثناء تحليلنا للغة؛ لأنّ اللسانيين الذين سبقوه لم يقدّموا تحليلا لهذه العلاقة.

فجملة "كيف حالك؟" في نظر هاريس، لا تتعلّق بسؤال عن صحة المخاطَب بقدر ما أنّ العبارة توضّح ثقافة وسلوكا مقبولين بين شخصين، ويتجلّيان في التعبير عن المجاملة[2]، وتحيل الفكرة إلى العلاقة بينهما في ضوء السياق الذي أشار إليه كلّ من فيرث ومالينوفسكي.

فالوضع الاجتماعي والسلوك يحضران في نظره في النظام اللغوي، ولا يبحث عنهما بمعطيات خارجية أو فيما هو ليس لغويا؛أي تستمدّ مضمونها من التعبير اللغوي.

---

[1]– – ينظر أنور المرتجي، المرجع نفسه، ص:80–81.

[2]– ينظر د.كريم حسام الدين، المرجع السابق، ص: 66. و ينظر .Fuslin, ling français T1. P: 57

كما اقترح هاريس – فيما بعد– إجراءات جديدة في تحليل الخطاب، وأشار إلى إمكانية إدخال المنطق والمفاهيم الرياضية في اللسانيات، وكان ذلك خاصة في المقالة التي نشرها بعنوان: "التحليل التوزيعي للبنيات" في مجلّة الكلام الفرنسية[1].

وأدخل – أيضا– في إطار المنهج التوزيعي فكرة التحويل التي ستأخذ شكلا متناميا عند تشومسكي، الذي ذكر "أن مفهوم هاريس للتحويل لم يكن دقيقا؛ لأنّه مفهوم لا ينتمي إلى النظرية التحويلية للجمل، وإنّما طوّره بوصفه جزءا من دراسته للخطاب في أواخر الأربعينيات، ولم تقدّم النظرية اللغوية التي عرضها في المناهج **(Méthodes)** سوى أدوات لوصف وحدات لم تتجاوز طور جملة واحدة"[2]، وبذلك فهو أوّل من أرسى النظرة التحويلية في مجال اللسانيات، استنبطها بعد دراسته للقول المتّصل أو الخطاب.

ولقد كان لزليغ هاريس أثر كبير في تطوّر فكر تشومسكي الذي ذكر أنّ تعاطفه مع آراء أستاذه السياسية كان الدافع الحقيقي وراء التحاقه بدراسة اللسانيات في بداية مرحلته الجامعية.

2– مولد سمعة تشومسكي وبداية ثورته اللغوية:

آ– حياته: ولد نوام شومسكي في السابع من كانون الأول من عام 1928 بفيلاديلفيا في الولايات المتحدة الأمريكية. وهو لغوي أمريكي يهودي إسرائيلي مثل هاريس، بولندي الأصل، كان والده من كبار علماء العبرية، ويذكر شومسكي أنّ تصحيح أصول أحد كتب والده عن العربية في طفولته كان من المؤشّرات التي أوحت إليه بأنّ اللسانيات قد تلائم ميوله الفكرية[3].

حصل على دبلوم الدراسات العليا عام 1951، وأعدّ رسالة ماجستير حول العبرية الحديثة، وأصدر في تلك السنة أستاذه هاريس[4] كتابه المهم "المناهج **Methods**". وتطابقت آراؤهما السياسية، وتأثّر به في ذلك، فنشر كتابا مشهورا بعنوان:"القوة الأمريكية والماندرين الجديد"، فتحدّث فيه عن الحرب الفيتنامية الأمريكية. وما زال يكتب في السياسة ودور الدعاية في تحريف وتزوير الحقائق.

---

[1]– J.M.Adam ; linguistique et discours littéraire, P : 205.

[2]– ينظر د.محمد الحناش، المرجع السابق، ص: 100.

[3]– ينظر نوام شومسكي اللغة والمسؤولية، ص: 130.

[4]– زليغ هاريس: أستاذ تشومسكي ، يدرس حاليا بجامعة بنسلفانيا Pennsylvanie

وتأثر بأستاذه حوله إلى الدراسة اللسانية والمنطق، وحصل على منحة في 1951 لمتابعة أبحاثه في الفلسفة في جامعة هارفارد، فالتقى هنالك برومان ياكيسون وتأثّر بأفكاره وآرائه في "بناء النظرية الذهنية ولا سيما في حقل الدراسات الصوتية".

نال درجة الدكتوراه في 1955، وكانت خاصة بالتحليل التوزيعي حملت عنوان: "البنية المنطقية للنظرية اللغوية" "Logical structure of linguistic theory" واهتمّ فيها بالاستخدام الإبداعي للغة ثم تصوّرها بوصفها استخداما عاديا للغة، وهي حقيقة لم تعالج في النحو التقليدي، وكانت قد ظهرت بوادرها في أعمال همبولدت، وبول باسي Pall Passy ويسبرسن Jespersen.[1]

وفي السنة أسندت إليه وظيفة مدرس في معهد ماساتشوس للتكنولوجيا M.I.T حيث بقي يعمل فيه منذ ذلك الوقت[2]، وهو المعهد الذي نضج فيه فكر تشومسكي بسبب تلاقح الأفكار وامتزاجها، وتعايش فيه نظرية الإعلام والمنطق والرياضيات وعلم النفس والسيبرنيطيقا[3]، دون نسيان الترجمة الآلية.

ا-كالفسئة ذ:

لقد ألف شومسكي مجموعة من الكتب، لم تتجاوز صفحات كل واحد منها المائة وخاصة تلك المتعلّقة بمنهجه ومبادئه اللسانية، وتتضمّن أربع منها أهمّ فكره اللساني وهي:

- Currents Issues in linguistic theory (1964).
- Aspects of the theory of systems (1965).
- The theory of generative grammar (1966).

ونتعرّض إلى اثنين منهما والذين بهما اشتهرا:

1- البنى النحوية1957 Structures Syntactiques

وله عدّة ترجمات منها "المباني النحوية" أو"التركيبية"، ويعدّ هذا الكتاب ثورة علمية من أرسخ الثورات اللسانية وأبعدها أثرا؛ لأنّه أعطى فيه أهمية لجانب من جوانب الحياة في اللغة، وأبرز فيه أيضا العلاقات القائمة بين بنيتها من جهة وبين الخصائص الكامنة في العقل البشري من جهة أخرى. كما يمثّل النظرية الذهنية في علم اللسانيات البشري عارضا وجهة

[1] - Voir G .M.La ling du 20°éme siècle. P :191.

[2]- ينظر نوام شومسكي، المرجع السابق ص: 119.

[3]-السيبرنيطيقا: Cybernetique:علم التوجيه وهو علم يتيح لإنسان أو آلة أوتوماتكية أن يوجّه وأن يبلغ هدفا معينا(المنهل قاموس فرنسي عربي،ص: 280.)

لسانية جديدة تختلف عن الوجهات اللسانية السابقة"[1]. وحاول بناء نظرية البنى اللسانية La théorie des structures des langues دون مرجعية للغة معيّنة.

ويتميّز الكتاب الذي نشره في 1957 بأنّه نقطة تحوّل في الدراسات اللسانية المعاصرة، فحمل به بعد تأليف ونشر كتب أخرى لواء لسانيات أمريكية، وثورة لحركة لسانية ضخمة ضد القهر البلومفيلدي الذي ساد لأجيال سابقة. وتسمّى حركة النحو التوليدي التحويلي.

وبذلك فقد انتقد المدرسة الوصفية الأمريكية التي اقتصر منهجها على وصف اللغة دون تفسيرها، فكان جديده في هذا الصدد هو الانتقال باللغة من الوصف إلى التفسير[2].

وأصبحت منذ 1962 لسانيات شومسكي تحتلّ مكانتها في الجامعة في العالم الجديد وذات تأثير كبير في مختلف الجامعات[3]؛ بل إنّها أصبحت في صميم جلّ العلوم الإنسانية من أدبية ولسانية وإعلامية ونفسية وتعليمية اللغات والترجمة. والواقع إنّ كثيرا من نتائجه الفكرية قد أفاض فيه علماء النحو واللغة العربية أمثال سيبويه(ة180غ) وابن جني(ة392غ) وعبد القاهر الجرجاني(ة471غ). وهناك من يرى أن شومسكي متأثّر بالدراسات اللغوية العربية القديمة، ولكنّنا ما زلنا لم نجدْ نصّا أو دليلا واضحا وصريحا يثبت ذلك.

2- "مظاهر النظرية التركيبية"(Aspect of the theory syntax) أصدره شومسكي في 1965، وأكد فيه على دور المعنى في فهم التركيب، بعدما كان قد أهمله في كتابه "البنى التركيبية".

وهو الإطار الذي يعمل فيه عدّة لسانيين، وهو ما يعرف بالمعنى والنحو أو النحو الدلالي؛ كما تجلّت هذه الأفكار بخاصّة في جامعات الولايات المتحدة، فأدت هذه الأعمال إلى بروز اتّجاهين وهما:

أ- الدلالة التوليدية Sémantique générative ويمثّله تلميذ شومسكي G.Laloff.

ب- والدلالة التأويلية Sémantique interprétative أو النظرية المعيارية الموسّعة ويمثّله شومسكي[4].

---

[1]-د. مازن الوعر، المرجع السابق،ص:85.

[2]- **ينظر مازن الوعر، دراسة لسانية تطبيقية، ط1، دمشق، دار طلاس 1988، ص 213.**

[3]- **ينظر د.كريم حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ص 67، و ينظر أئمة النحاة في التاريخ، د.محمد محمود غالي، ص 9.**

[4]- ينظر مازن الوعر، دراسة لسانية تطبيقية، ط1، دمشق، دار طلاس 1988، ص: 213.

وقد تأثّر في هذا المجال بتلاميذه فودور Fodor وكاتس Katz وبوستال Postall وهم الذين وسّعوا مفهوم النحو التوليدي ليدخل المعنى في رحابه.

وإذا قارنا بين الأستاذ وتلاميذه فنجده يريد أن يبيّن ما يعرفه المتكلّم عن البنية النحوية، وأرادوا أن يبرزوا ما يعرفه المتكلّم عن المعنى الحقيقي للكلمات والجمل.

وكان اقتراحهم خاصّا بما يعرف بالتحليل المؤلفاتي أو التكويني للمعنى[1]، وهو منهج دلالي مهمّ في فهم وتحليل المعنى إلى جزئياته المكوّنة له، وجاء مؤلَّفا من فرعين،

– الأول: توصف كل كلمة وتحلّل على الطراز الآتي:

* فلان يكون(+ أو –) حيّ، (+ أو –) أنثى، (+ أو –) صلب، (+أو–) عاقل، (+ أو–) شفاف، وهذا الجزء يتعلّق بالمعجم.

*والفرع الثاني: تقارن قواعد الإظهار Projections rules بخاصيات الكلمات لتحديد ما إذ كان تركيبها ضمن جملة مقبولة نحويا ودلاليا أو غير مقبولة. وهكذا ترتبط كلمة الذوبان بالحديد أو الذهب أي المعادن ولكنّها لا تتعلّق بالخشب أو الحجارة.

وتمّ دمج المكوّن الدلالي بالنحو التوليدي عند مستوى البنية العميقة؛ لأنّها هي التي تتلقّى المعنى[2].

ج– لئو غبِد سم لحگى غى هصظ مطدإئ نطفث حندإ ب؛

فكّر شومسكي في وضع نظريته عندما كان في بنسلفانيا، في أواخر الأربعينيات، فقدّم بحثا موسوما بـ:"التحليل الفونيمي الصرفي في العبرية الحديثة" Morphophonemics of moder Hebrew. ووسّعه بعد ذلك ليصبح أطروحة لنيل درجة الماجستير في سنة 1951، وحملت العنوان نفسه.

وكان هذا العمل – الذي لم ينشر– نحوا توليديا بالمفهوم المعاصر للمصطلح، وركّز فيه على ما يسمّى الآن علم وظائف الأصوات التوليدي Phonologie générative. وأعطى هذا النحو إطارا لصياغة القواعد، وتحديدا للبساطة Simplicité[3].

3– بلئخ إ سم لحگى طكحئمذ ب:

---

[1] - Voir Fushs et P. Le goffic initiation aux problèmes des linguistes contemporains, Hachette Université, 1975 ; Paris, P :89.

[2] –ينظر أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، اتحاد الكتاب العرب، سنة 2002، ص: 61 و ما بعدها.

[3] – ينظر شومسكي، اللغة والمسؤولية، ص: 140.

ليس من السهل الحديث عن شومسكي على الرّغم من أنه يبدو عكس ذلك، ولا يعود ما سبق إلى نظريته التي لا تزال معاصرة، أو إلى أنّها في تطور مستمرّ؛ وإنّما الصعوبة أعمق من كل ذلك، فلقد انتشرت انتشارا واسعا، ويعْسُر تحديد معارفه اللسانية لطموحه وتجديد أفكاره، خاصّة وأنّه يخوض في أكثر من حقل انطلاقا من اللغة.

كما أنّ الصدمة التي أراد أن يحدثها؛ بل أحدثها في النظرية اللسانية تجعل الباحث المزوّد بقليل من تاريخ اللسانيات ومنهجها أمام إشكاليات لا يجب إهمالها، وبخاصة أنّ شومسكي يعدّ ظاهرة في هذه المعرفة في الفترة المعاصرة[1].

ولعلّ أهمّ ما يميّز شومسكي أنّه سعى إلى إقامة نظرية عامّة للّغة؛ لأنّها تصدر عن العقل، وهو الاتّجاه الذي في كتاباته الأولى، ثمّ ما لبث أن قويَ وصار أساس المنهج كلِّه.

وتُبْنى هذه النظرية في جوهرها على ما يمكن أن يُطلق عليه "بلا نهائية اللغة"، فهو يرى أنّ كلّ لغة تتكوّن من مجموعة محدودة من الأصوات، ولمّا كانت كذلك فهي خلاّقة بطبيعتها، بمعنى إن كل متكلّم يستطيع – أيضا– أن يفهم جملا لم يسبق أن سمعها من قبل، كما يستطيع تركيب شبيهها أو على منوالها.

ومن ثمّ فإنّ نظرية النحو عنده تتأسّس على معرفةِ كيف تنتج اللغة جملا لا حدّ لها من عناصر لغوية محدودة[2]، وأن يتمكن المتكلّم من تمييز الجمل المقبولة نحويا من غيرها. فالنحو بهذا المعنى هو "مجموع القواعد التي يمكن بمقتضاها استحداث كل الجمل الصحيحة وحدها في لسان واحد"[3]، ويكون صالحا لتوليد كل الجمل النحوية في اللغة، ومن هنا عرف بأنّه توليدي، ويُقترن به – في أغلب الأحيان– مصطلح التحويل[4].

وسمّاه توليديا لأنّه يحاول الوصول إلى القواعد البديهية أو الحدسية Intuition التي يوظّف بمقتضاها صاحب اللسان لسانه.

والحدس ليس عنصرا ثانويا في الدرس اللغوي؛ وإنّما هو عنصر جوهري، فهو بهذا المفهوم يرى أنّ كلّ ذي لسان ولد فيه المتكلّم يجيد التكلم واستظهار قواعده دون تلقين من مؤسّسة أو معلّم[5]، وهو في كل ذلك نحو يظهر المعرفة الضمنية للمتكلّم أو عقل القارئ[1].

---

[1] – ينظر شومسكي، المرجع نفسه، ص: 122.

[2] – Voir, G.Mounin, La linguistique du 20° siècle ; P : 190.

[3] –ينظر عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص: 114.

[4] – د.محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، ص: 9.

[5] – ينظر عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص: 118.

ولكنّ الفكرة قابلة للنقاش، لأنّ ظهور اللهجات وانفصالها بشكل ملفت للانتباه تجعل المرء لا يتعلّم اللغة بالكيفية التي أشار إليها شومسكي.

وبناء على ما سبق، فإنّ نظرية شومسكي كانت منصبّة حول تحديد المبادئ الأساسية التي تساعد على معرفة اللغة التي اكتسبها المتكلّم السامع المثالي الذي يلمّ بها جيّدا، وهو شرط ضروري لاستنباط القواعد اللسانية التي تجعل الفرد يتميّز بقدرة التحكّم في اللغة، ثمّ محاولة اكتشاف الأسس العامّة التي توضّح أنّ حقيقة النظام المعرفي ينمو في العقل حين يوضع أحد الأشخاص في محيط لغوي متجانس[2].

ويعود سبب بدء شومسكي بالنحو إلى أنّه لم ينل حظّه في نظره من الدراسة لأمور كثيرة نذكر منها: أنّ البحث الصوتي يخضع للتجربة أكثر من النحو الذي يعدّ في حدّ ذاته معقدا، لأنّه يجمع دراسة اللسان في أشكاله المختلفة وارتباط هذه الأشكال بالمعاني المتباينة[3].

والحقيقة إنّ فكرة عدم نيل النحو حظّه من الاهتمام عادت من جديد حيث أصبح الدارسون لا يولونه عنايتهم ممّا أدّى إلى النفور منه، فكثرت الأخطاء وضعف التعبير الشفوي والكتابي، ولا نرى الأمر يعود فقط إلى صعوبته، وإنّما قد تكون هناك أسباب أخرى مسهمة في ذلك، ولعلّ منها المؤسّسات التربوية أولا ثمّ الإعلامية والسياسية...

ومع ذلك فإنّ هجومه على الدراسات الصوتية التي سبقته انصبّ على فكرة الوحدة الصوتية **Phonème** ، فحاول هدمها مستخدما في ذلك التأويلات التي ذهب إليها أتباع بلومفيلد، وأكّد على ضرورة الدراسة الدقيقة للأصوات المختلفة لا الصوتيات؛ خاصة تلك التي بحثها قبله ياكوبسون حين تحدّث عن السمات المميزة في الخطاب [4]**Distinctive features.**

4-طبيعة سمات لحقي:

لقد اعتمد شومسكي في أسس منهجه على أفكار دي سوسير، وبخاصّة ثنائيته للغة التي قسّمها إلى لغة وكلام، إذ أطلق على المصطلح الأول الكفاية Compétence وعلى الثاني الأداء Performance، وهذا المصطلحان هما حجرا الزاوية في نظريته اللغوية، ولا مناصّ من الاهتمام بهما لفهم اللغة الإنسانية.

---

[1]- ينظر عبده الراجحي، المرجع نفسه ص: 118، وينظر محمد محمود غالي، أئمة النحاة ص: 9.

[2]- ينظر شومسكي، اللغة والمسؤولية، ص: 113.

[3]- ينظر عبده الراجحي، المرجع نفسه ص: 115، وينظر شومسكي، اللغة والمسؤولية، ص: 123.

[4]- ينظر د.محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، ص: 11.

آ- **فلسفة الكفاية:** إنّ الكفاية اللغوية ظاهرة معرفية حارب بها شومسكي السلوكية البلومفيلدية التي كانت مؤثّرة في وسطه. وهي تعني النظام النحوي الموجود تقديرا داخل كلّ دماغ، أي تلك القدرة التي تتكوّن لدى الفرد المتكلّم ويكتسبها من أفراد مجتمع معيّن، و تمكّنه من التعبير عن نفسه، والإتيان بعدد لا متناه من الجمل الجديدة في المناسبات المختلفة.

وتسمّى الكفاية بالتمكّن أو المعرفة اللغوية أو القدرة الفطرية التي تتمثّل مقوّماتها في معرفة القواعد النحوية والصرفية التي تربط المفردات بعضها ببعض في السلسلة الكلامية لتؤدّي دلالة أو مضمونا معيّنا، بالإضافة إلى مجموعة أخرى يطلق عليها مصطلح القواعد التحويلية. والكفاية اللغوية خاصّة بالمتكلّم السامع المثالي وتمثّل البنية العميقة للكلام[1].

ويرى شومسكي أن الكفاية اللغوية تتكوّن لدى الفرد في سنّ مبكّرة، فتجعله قادرا على إنتاج عدد لا نهائي من الجمل التي يتطلّبها الموقف الذي يمرّ به، وهذا دون أن يكون قد سمعها أو عرفها من قبل.

ويعود ذلك إلى القدرة الفطرية **Compétence Innée** التي يولد بها الفرد، وتمكّنه من تعلّم أي لغة من اللغات، وإتقان نظامها المعقّد في زمن محدّد، وهو ما يعرف بالاستعداد الفطري، أيكلّ ‘نسان يولد مزوّدا بجهاز يمكّنه من اكتساب اللغة في مرحلة من العمر. ومضمون القدرة الفطرية هو ما أطلق عليه شومسكي بالكلّيات اللغوية **Linguistics Universals**، وهي العناصر المشتركة بين جميع اللغات، ومهمة اللساني هي اكتشاف هذه الكليات ووصفها، وهو الهدف النهائي الذي أراد تحقيقه فيما أسماه بالنحو الكليّ [2]**Grammaire Universelle**، فالكفاية اللغوية هي: "ملكة لسانية – ذاتية– خاصّة بمتكلّم اللغة الذي ترعرع بصورة طبيعية في البيئة التي تتكلّمها (اللغة)"[3].

وليست هذه الملكة طبيعية أو فطرية، وإنّما يلقّنها المجتمع للفرد حيث يقول صاحب المقدمة: "يظن كثير من المغفلين ممّن لم يعرف شأن الملكات، أن الصواب للعرب في لغتهم إعرابا و بلاغة أمر طبيعي. ويقول: كانت العربُ تنطق بالطبع، وليس كذلك، وإنّما هي ملكة لسانية في نظم الكلم، تمكّنت ورسخت فظهر في بادئ الأمر أنها جبلّة و طبع"[4].

---

[1]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 69.

[2]- ينظر عبده الراجحي، المرجع السابق، ص 115، ينظر د.كريم زكي حسام الدين،المرجع السابق، ص: 69.

[3]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع نفسه، ص: 70.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص:483.

فالملكة اللسانية في نظر ابن خلدون هي: "قدرة الإنسان على التحكّم في اللغة والتصرّف فيها، وهذا ما يتّفق مع الاستبداد به، لكنها هنا ملكة لسانية منسوبة إلى اللسان الذي هو محلّها، وتصير ملكة إذا احتوى اللغة وتمكّن منها واستبدّ بها"[1].

فقد جاء في لسان العرب: "الملكة من مادة ملك.. ابن سيدة: الملك والملك احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به"[2].

وتكون الملكة بالنظر إلى التراكيب اللغوية، وليس بمعرفة المفردات، وهذا ليحقّق المرسل الإفهام والإبلاغ عن المعنى المقصود، وتحصل الملكات بتكرار الأفعال: "لأنّ الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفةً، ثم تتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنّها صفةٌ غير راسخةٍ، ثم يزيد التكرارُ فتكون ملكةً أي صفةً راسخةً"[3].

وأوضح ابن خلدون لمن ابتغى تلك الملكة وأراد اكتسابها فقال: "ووجه التعليم لمن يَبْتَغي هذه الملكةَ ويرومُ تحصيلَها أن يأخذَ نفسه بحفظ كلامهم –العرب– القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولّدين –أيضا– في سائر فنونهم؛ حتّى يتنزّل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم، ولُقّن العبارةَ عن المقاصد منهم، ثم يَتَصَرَّف بعد ذلك في التعبير عمّا في ضميره على حسب عباراتهم، وتَأليف كلمتاهم، وما وعاهُ وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكةُ بهذا الحفظ والاستعمال، ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة"[4].

والملكة ليست خاصّة بلغة دون أخرى، إذ تتمثّل ماهية قدرتها في تلك القواعد العامّة التي تقوم عليها اللغات، فالطفل عندما يتكلّم لا يعتمد على السماع والمحاكاة فحسب، وإنّما يضع ما يسمعه في إطار القواعد العامة للغات[5].

---

[1]– د.ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، ط1، سنة 1983، بيروت، لبنان، ص: 7

[2]– ينظر ابن منظور، لسان العرب، دار صابر للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، مادة (م.ل.ك).

[3] – ابن خلدون المقدمة، ص:477.

[4]– ابن خلدون، المصدر نفسه،ص:481.

د.ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، ط1، سنة 1983، بيروت، لبنان، ص: 7.

[5]– ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 70.

ا- آلئ‌لإم تئر آهئ‌لآنخ؟ك‌بلإلى آهك‌ئ‌سد . بمفهوم ابن خلدون، فهو شكل عامّ محدّد بواسطةَ الكفاية؛ أي الكلام المنطوق أو المكتوبَ، وهو تلك الأصوات التي ينطقها الفرد بالفعل، و يمثل البنية السطحية للكلام الإنساني.

وقد لا يكون الأداء الصورةَ الأصلية والصحيحة للكفاية، بمعنى إنّه يختلف أو يتّفق وقواعد اللغة بشكل أو بآخر تبعا لظروف الكلام والمتكلّم، وهو عرضة لتأثير مجموعة من العوامل كالتكرار ومخالفة القواعد اللغوية، والجمل المبعثرة بحكم الموقف الذي يتحكّم في الكلام الفعلي[1].

وإذا وضعنا مقارنة بين الكلام واللغة فنحصل على ما يأتي:

ك‌بلإل	ك‌كخ‌ب
-هو الشيء المنطوق أو المكتوب - هو نشاط الفرد	- هي قواعد ومعايير هذا الكلام، وهي الموجودة في كتب النحو ومعاجم اللغة -تقعّد هذا النشاط تنظّم هذه الحركة.[2]

وإذا كان الأداء الكلامي "هو طريقة استعمال الكفاية بهدف التواصل في ظروف التكلّم الآني للغة ضمن سياق معين"[3]، فابن خلدون يسمّيه "التصرّف" ويعتبره انعكاسا وإجراء وتطبيقا للملكة اللسانية، ويظهر فيه قليل من الانحراف عن قوانين اللغة. ولا يجب أن يكون ذلك الانحراف نحو الخطأ، وإنّما يبرز تصرّف الباثّ في اللغة، وكأنّها ملك له، فتصطبغ فيها علاماته وإبداعاته وعبقريته، فيكون العدول أو الانزياح، وهو إبداع في اللغة بعد المعرفة بقواعدها ونظامها.

والتصرّف هو الجدير بالتحليل؛ لأنه يبيّن مدى قدرة المرسل على اكتسابه اللغة، ومعرفته لها واستعمالها في حياته، وسيطرته على النموذج العام؛ أي امتلاكه القدرة التوصيلية. (La compétence communicationnelle)لأنّنا لا نلفي شخصين يعبّران بكيفية متشابهة، على

[1]- ينظر عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص: 115، ينظر د.كريم زكي حسام، المرجع السابق، ص: 69.

[2]- ينظر عبده الراجحي، المرجع نفسه، ص: 115، ينظر د.كريم زكي حسام الدين،المرجع السابق، ص: 69.

[3]- ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادئ وأعلام، ص: 261.

الرغم من أنّهما يكونان قد نشآ وترعرعا في مجتمع واحد. ومن هنا فإنّ أيّ خطاب أو نص يخضع لثنائية لسانية بيّنة، فهو جزء من اللغة وفي الوقت نفسه يشكّل لغة.

ويوضّح لنا التصرّف كيف" ينحرف الباث عن النموذج الشائع، ويخرج عن الكفاءة التي تشكّل نظاما قائما بأفكار المنتفعين باللسان كافّة، وكيف أنّ الباث يتلاعب مع النموذج العام"[1].

ولاشك في أنّ البحث في الأداء اللغوي والكفاية يهدف إلى معرفة ما يسمّيه شومسكي بالنحوية في اللغة **La grammaticalité**، وهي تلك القواعد التي على أساسها تكون جملة ما مقبولة لدى المتكلّم، ومعنى هذا أنّ هدف النحو هو أن يميّز ما هو نحوي مما ليس نحويا في اللغة.

ومعنى ذلك – أيضا– أنّ الظواهر التركيبية تنتمي إلى مستوى خاصّ، ومستقلّ ومتميّز عن الصرف والصوتيات من جهة، وعن الدلالة من جهة أخرى، وبالتالي يمكن أن يكون تركيب جملة جيد وسليم، ولكنّها لا تحمل أي معنى،[2] نحو: " **Les idées vertes sans couleur dorment furieusement**" "الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام ثائرة".

ونعتقد أن سيبويه(ت180هـ) قد أشار إلى القضية في الكتاب حين حديثه عن الاستقامة من الكلام والإحالة فقال:" فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. "فأما المستقيم الحسن فقولك: أتبتك أمس، وسآتيك غدا. وأمّا المحال فأنّ تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس. وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبلَ، وشربتُ ماءَ البحرِ ونحوه. وأمّا المستقيم القبيح فأن تضع اللفظَ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيتُ، و كي زيدٌ يأتيك، وأشباه هذا. وأمّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمسِ"[3].

فهذا تقسيم لأنواع الجمل التي منها المقبول نحويا ودلاليا، ومنها غير ذلك، ومنها المفهومة والغامضة والمستقيمة وغيرها. إنّها فكرة جدّ متقدّمة لدى سيبويه في مسألة التفريق بين أنواع الجمل في اللغة.

ا– [illegible]

[1]– ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادئ وأعلام، ص: 261.

[2]– د.نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص: 117.

[3]– سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط:3، سنة 1988، دار الكتب العلمية، بيروت، ج:1، ص: 26.

يرى شومسكي أنّ لكلّ تركيب ظاهري تركيبا آخر داخليا أو عميقا، ويعتمد في منهجه التوليدي مستويين لتحليل الظاهرة اللغوية وهما: البنية السطحية والبنية العميقة.

* البنية السطحية: **La structure superficielle**

وهي البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي ينطقها المتكلّم، وتخصّ تنظيم الجملة كظاهرة فيزيائية وصوتية، وهي متعلّقة بالإنجاز أو الأداء الكلامي، كما أنّ التراكيب السطحية مستمدة من التراكيب العميقة عن طريق قواعد التحويل التي تمثّل الشروط الضرورية لتعلّم اللغة[1].

* البنية العميقة: وهي تلك القواعد التي أوجدت هذا التتابع؛ أو البنى الأساسية التي يمكن تحويلها لتكون جمل اللغة وهي مرتبطة بالكفاية اللغوية.

ومن الدوافع التي حملت شومسكي على البحث في هذين المستويين هو أنّ المعنى الظاهري للغة كثيرا ما يخدع السامع أو الدارس، وذلك أنّنا قد نلفي جملتين متشابهتين من حيث التركيب الخارجي، ولكنّ معناهما مختلف جذريا، كما يتّضح ممّا يأتي:

- صراخ المجرم لم يؤثّر في الناس.
- عقاب المجرم لم يؤثّر في الناس.

فالجملتان متماثلتان في مظهرهما، وإعرابهما متشابه، إذ الجملة الأولى "صراخ المجرم" تتركّب من مبتدأ وهو مضاف ويليه مضاف إليه، وكذلك الجملة الثانية. وخبر كلّ منهما الجملة الفعلية "لم يؤثر في الناس".

والملاحظ أنّ الجملتين تتضمّنان علاقة واضحة بين المسند والمسند إليه، ولكن المعنى فيهما مختلف، إذ الدلالة في الجملة الأولى مؤدّاها أنّ الفاعل الحقيقي لفعل "الصراخ" هو المجرم، أمّا "المجرم" في الجملة الثانية فهو المفعول به الحقيقي لأنّ العقاب نزل به[2].

وبناء على ما سبق، فإنّ البنية العميقة تساعد على توضيح العلاقات بين عناصر الجملة، وإن لم تكن واضحة في الكلام، وهي ضرورية لفهم اللغة، وإعطائها التفسير الدلالي، كما أنّها ضمنية في ذهن المتكلّم السامع، وحقيقية عقلية يعكسها التتابع الكلامي المكوّن للبنية السطحية[3].

---

[1]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين،المرجع السابق، ص: 67.

[2]- ينظر د.نايف خزما، المرجع السابق، ص: 118.

[3]- د.نايف خرما، ينظر المرجع نفسه، ص: 118.

وأمّا الذي ينظّم العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية، فهي تلك القواعد التي تسمح بتحويل جملة إلى أخرى.

والواقع إنّ كلّ نظام لغوي يشتمل على ثلاثة عناصر:

أ- العنصر التركيبي: وهو الخاص بتوليد التراكيب المجرّدة المتمثّلة في الجمل النحوية لأيّ لغة.

ب- العنصر الدلالي: وهو الذي يحدّد أو يعيّن معنى الجملة وطريقة تفسيرها، وينسب تلك المعاني إلى الموضوعات الشكلية التي ولدها العنصر التركيبي.

ج- العنصر الصوتي: وهو الذي يحدّد الشكل الصوتي لأيّة جملة يتمّ توليدها بفعل العنصر التركيبي[1].

خاتمة:

وفي الأخير إنّ ما حقّقه شومسكي وأتباعه في مجال اكتساب العقل البشري للغة، وللمعلومات والمعارف عن طريق الألسنة لا زال جهدا في أوّل طريق طويل يحيط به بعض الغموض وتلفّه الشكوك[2]. ومع ذلك فلقد أفادت اللسانيات التوليدية التحويلية تعليم اللغات الإنسانية المختلفة المستعملة وبخاصة الإنجليزية، لتصبح لعدّة أسباب موضوعا يطلق عليه اللسانيات التطبيقية، وتفيد كذلك مناهج التعليم ووضع البرامج.

وحريّ بنا اليوم استثمار - بذكاء - نتائج المدرسة التوليدية التحويلية، وجهودها في تعليم اللغة العربية لمختلف الأطوار وفي تحليل عملية التواصل، وخاصّة أن الدرس اللغوي عند شومسكي ليس مختلفا عن اتّجاه النحو عند المسلمين الذي تأصّل لدى سيبويه ومن جاؤوا بعده، إذ ينطلق التحليل من الجملة فالكلمة ثم الأصوات.

وإذا علمنا أنّ شومسكي قد أخذ وتأثّر بالنحو العربي -حسب ما هو شائع لدى الدارسين- فيكون الأمر بديهيا البحث عن المواضع المهمّة في تراثنا التي ركّز عليها ليبدع نظريته ومنهجه.

---

[1]- ينظر د.نايف خرما، المرجع السابق، ص: 118.

[2]- ينظر د.كريم زكي حسام الدين، المرجع السابق، ص: 68.

1 – تعريف التداولية

2– الجذور المعرفية والفلسفية للتداولية

3– مصادر اللسانيات التداولية

4– تيارات التداولية

أ – تيار شارل موريس

ب– تيار فلاسفة أكسفورد

5– التداولية والخطاب الأدبي

6– التداولية وتحليل المحتوى

7– التداولية في التراث العربي

خاتمة

لقد شهدت الدراسة اللسانية تطوّرا واضحا بعدما نشرت محاضرات دي سوسير في 1916، فنشأت مدارس بنيوية في بلدان مختلفة، تولّدت عنها تيارات ومناهج متعدّدة؛ اهتمّت كلّ منها بتحليل اللغة والكشف عن أسرارها ومكوّناتها.

ويتّضح اهتزاز أركان اللسانيات البنيوية وأزمتها ممّا وجهه نوام شومسكي من نقد لاذع لها بعد إهمالها أثناء التحليل للمرجع والسياق والعوامل الخارجية المؤثّرة في العملية الكلامية والتواصلية القائمة بين المرسل والمتلقّي.

فمعروف أنّ استخدام اللغة يحقّق التفاعل والنشاط المستمرين بين المتخاطبين باعتبارها أداة تبليغ وتعبير من جهة، ووسيلة تواصل يومي من جهة أخرى. وأصبحت كيفية التواصل من اهتمام تيّار من الدراسات والنظريات يطلق عليه الدارسون – اليوم– مصطلح "التداولية"، يرتكز على منطلقات وظيفية اللغة، ويولي عناية كبيرة للغة الحياة اليومية على اختلاف مستوياتها.

وهناك صعوبات كثيرة تقف أمام تحديد مجاله، ومع ذلك فهو جزء من التصوّر في الميدان العلمي والفكري والتربوي؛ وقد سعت إلى الإجابة عن عدد من الأسئلة مستعينة بمجموعة من نتائج العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وسنركّز في هذا البحث على بهض الأساسية منها: تعريف التداولية ومجالاتها، و جذورها الفكرية والفلسفية وفروعها، فملامحها في التراث اللغوي العربي.

1– تعريف التداولية

مصطلح Pragmatique غامض في اللغة الفرنسية، وهو يرتبط بالواقع أو مكيّف معه، أمّا في اللغة الانجليزية التي تعدّ لغة أغلب الباحثين فـ "Pragmatic" له معنى متعلّق بالأحداث والتأثيرات الواقعية[1]. والذي ترجمه بالتداوليات سنة 1970 هو طه عبد الرحمن الذي يقول في ذلك: "وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي براغماتيكا، لأنّه يوفي المطلوب حقّه، باعتبار دلالته على معنيي "التفاعل" و"الاستعمال" معا. ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذي أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"[2].

---

[1] – Voir Philipe Blanchet, La pragmatique d'Austin à Goffman, bertrand–Lacoste ; Paris,P:5.

[2]–عن وحيد بن عزيز: التداولية في الخطاب العربي المعاصر – مفهوم المناظرة، الأسس والمساءلات"، مجلة اللغة والأدب. يصدرها قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد17،سنة: 2006، ص: 224. عن طه عبد الرحمن في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، المغرب، ط: 1987.

وقد كان أحمد المتوكّل أوّل من وظّف في العربية مصطلح "التداولية" في المغرب خلال فترة 1985 في موضوع خاص حول "الوظائف التداولية في اللغة العربية"، فلقي رضى لدى المتخصّصين، وأصبح شائعا ومستعملا في أبحاثهم[1].

والتداولية درس جديد وغزير، تقع كأكثر الدروس حيوية في مفترق الطرق بين الأبحاث الفلسفية واللسانية والسيميائية، وهي ليست اختصاصا أو علما بالمفهوم المؤسساتي والأكاديمي للمصطلح. وما تزال غير مألوفة، ولا تمتلك حدودا بيّنة، ولا تتحكّم في منهجيتها وآلياتها[2]، خاصّة في الدرس العربي.

ومعنى ذلك إنّ التداولية بمختلف فروعها لم تبلغ بعد درجة وضوح معالم وحدود النظريات البنيوية مثلا؛ لأنّه من الصعب أن تصل نظرية كهذه إلى وضع معالم وأسس ثابتة وجليّة لكونها تمازجت في نشأتها علوم مختلفة المشارب ونظريات علمية ومعرفية متعددة[3].

ويعود إدخال مصطلح Pragmatique في معجم اللسانيات الحديثة إلى سنة 1938 من لدن شارل موريس (Charles Morris) في كتابه "أسس نظرية العلامات"، (Foundations of the theory of signs)[4].

فكان بذلك أوّل من حدّد ماهية التداولية التي رآها ميدانا من السيميائية يتناول العلاقة بين العلامات ومستعمليها أو مؤوّليها، وهو القالب الذي انصبّت فيه التحديدات اللاحقة للتداولية[5].

"والتداولية هي عبارة عن مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات، ومتّفقة في أنّ اللغة هي نشاط يمارس ضمن سياق متعدّد الأبعاد"[6]. فدراسة معنى

---

[1]- ينظر فرانسوا أرميكنو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء العربي، ص 4، وينظر د.خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص: 176.

[2]- ينظر فرانسوا أرميكانكو، المقاربة التداولية، ص: 5.

[3]- ينظر عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، سنة:2003، ص: 34-35.

[4]- موريس شارلز (Morris Charles): ولد سنة 1901، فيلسوف أمريكي، طور أفكار بيرس وعلم الدلالة. من مؤلفاته "الوضعية المنطقية والذرائعية والتجريبية العلمية" سنة 1937، و "أسس نظرية العلاقات" سنة 1938، وكذا "العلاقات واللغة والسلوك " في سنة 1946، و"أنواع القيم الإنسانية" سنة 1956.

[5] – Voir SIDI MOHAMED ould HADEMINE : Socio pragmatique des interactions et didactiques des langues, l »arabe aux non arabophones en Mauritanie. Quelques propositions pour l'enseignement supérieur. Thèse pour le doctorat en linguistique et sémiologie de l'arabe, université Lumière 2 ; département d'études arabes ; P :99.

[6]- عمر بلخير، المرجع السابق، ص: 8.

الملفوظات في السياق، وليس من أهدافها وصف الجمل دلاليا، ولكن وظيفة حدث اللغة المحقّق في الملفوظ[1]، ذلك أنّها ترى اللغة نشاطا كلاميا، تتحكّم فيه مجموعة من الشروط الذاتية والموضوعية المتمثّلة في وجود شخصين على الأقلّ تجمع بينهما عوامل السياق، الذي يعتبر مجموعة متداخلة من العناصر الطبيعية والاجتماعية والنفسية والثقافية والتاريخية والدينية وغيرها مما يشكّل عالم الإنسان ومحيطه[2].

ويعدّ السياق من أهمّ المواضيع التي توليها التداولية عنايتها، وهو يدلّ على الموقف التواصلي؛ أي العلاقة بين أفعال القول والنص، فهناك معلومات ضرورية في الخطاب لا يمكن فهمها إلا بمعرفة السياق.

ويعرّفها فرانسوا ريكاناتي* François Recanati بأنّها دراسة استعمال اللغة داخل الخطاب وإبراز السمات التي تميّزه، وتهتمّ ببعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدّد معناها إلا من خلال استخدامها[3].

وبالتالي فمجالها هو دراسة كيفية استخدام الناس للأدلّة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما تعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث.

وما يمكن استنتاجه هو أنّ اللسانيات التداولية هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية (compétence de communication)[4] التي تقابل الملكة اللغوية الصرفة (compétence linguistique) كما حدّدها شومسكي[5].

وهكذا فالمقاربة التداولية (approche pragmatique) تهتمّ بتحليل الخطاب تحليلا نفعيا تداوليا، إذ كل خطاب أو رسالة لا تخلو من هذه الميزة، وصاحب النصّ يحاول أن يقنع المتلقي بفكرته، ذلك الإقناع الذي يهدف إلى إحداث تغيير في سلوك الأفراد والجماعات[6].

---

[1] – Voir SIDI Mohamed ould Hademine, ibid; P: 107.

[2]– ينظر عمر بلخير، المرجع السابق، ص: 7-8.

–هو فيلسوف فرنسي مولود في 1972، حصل على مدالية فضية من المركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي سنة 2014. من

*كتبه فلسفة المنطق وفلسفة اللغة سنة 1991، وفلسفة اللغة سنة 2008.

[3]– ينظر فرانسواز أرمينكو، المرجع السابق، ص: 8، وينظر د.خولة طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص: 158.

[4]– الملكة التواصلية هي مجموعة الاستعدادات التي تمكن المتكلم من التواصل جيدا في ظروف ثقافية معينة، وبهذه الكفاية و ليس فقط الملكة اللسانية يستطيع الإنسان أن يحسن التعبير والتفاعل مع الآخر، Catherine Kerbrat Orecchioli ; la conservation, édition du seuil .Juin, 1966 ; P : 11.

[5]– ينظر الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحيا تن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1992، ص: 2.

[6]– ينظر د.بشير إبرير، سمات التداول في الخطاب السياسي، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة باتنة العدد 10، سنة: 2004، ص: 42.

والواقع إنّ التداولية لا تمثّل نظرية بعينها بقدر ما تمثّل نقطة لقاء مجموعة من التيارات تشترك في بعض الأفكار الأساسية، فهي من جهة تشير إلى المكوّن التركيبي الذي تدرج فيه العلاقات التي تربط الدوال اللغوية بعضها ببعض، في حين إنّ المكوّن الدلالي يصوّر العلاقات التي تربط هذه الدوال بالواقع، وهو مرجع الدلالات اللغوية.

أما المكوّن التداولي فتدرج فيه العلاقات التي تصل تلك الدوال بمستعمليها وبظروف استعمالها وآثار ذلك على البنى اللغوية[1].

ويقترح محمد مفتاح تحديدا إجرائيا للتداولية يتجلّى في: "التأثير المتبادل بين مرسل ومتلقّ في حالة حضور أو غياب باستعمال الأدلّة اللغوية، المطابقة لمقتضى المقام والمقال، فاللغة – حسب رأيه– ليست خارجة عن مستعملها، فمثلها مثل الأشياء التي ليست لغوية، بمعنى إنها ليست خاصة به وحده، و إنّما هي متعدّية إلى غيره للتأثير فيه، فلا يفهم منها أنّها أحادية الصدور ولكنها ثنائية أو هي بيفردية[2].

وما دمنا لا نستطيع الحديث عن تداولية واحدة، شأنها في ذلك شأن جميع المناهج، أي لا يوجد بنيوية واحدة واحدة مثلا وإنّما بنيويات؛ إذ هناك تداوليات متعدّدة يوحّدها العنصر الشكلي لممارسة سلطة المعرفة في إطار استراتجيات توجّه النقاش والحوار.

وما دام ارتباط الحقيقة قائما على حركة التواصل وتبليغ المعنى، فلا غرابة أن نصادف تداوليات نحو:

- تداولية البلاغيين الجدد.
- تداولية السيكو– سوسيولوجيين
- تداولية اللسانيين.
- تداولية المناطقة والفلاسفة[3].

وعلى العموم فالتداولية محدّدة كالآتي:

- مجموع البحوث المنطقية –اللسانية...

---

[1]– ينظر د.خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص: 176، و Voir Dominique Maigueneau ; pragmatique pour le discours littéraire, Bordas ; Paris, 1990 ; P : 3.

[2]– ينظر د.محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتجية التناص، ص: 138.

[3]– ينظر فرونسوا أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، ص: 5.

– دراسة استعمال اللغة التي تعالج تكييف التعابير الرمزية بالسياقات الإحالية، والمقامية، الكلامية، وما بين الأفراد.

– دراسة استعمال اللغة في الخطاب، والعلامات المميّزة للغة التي تشهد على نطق المتكلّم أو تجاهه الخطابي.

– دراسة اللغة كظاهرة من جهة خطابية توصيلية واجتماعية.

– التداولية هي الجزء من اللسانيات الذي يهتمّ خاصّة باستعمال اللغة في التبليغ أو التواصل[1].

2– نشأة التداولية وتطورها:

إنّ استعراض نشأة اللسانيات التداولية ليس بالأمر الهيّن، لاسيما وأنّها مدينة لعدد من التيارات الفلسفية[2]، فقد استمدّت أسسها انطلاقا من إدراك أهمية المرجعية التي تتدخّل في تحديد كل نمط من أنماطها[3]، بل في سنن الفكر والعقل الذي يؤسّس للمعرفة.

ولم تكن التداولية في بدايتها مرتبطة بفلسفة اللغة فقط؛ وذلك لأنّها كانت مختصّة بمجموعة من الأسئلة ذات الصلة بفلسفة اللغة وتاريخ الفلسفة عموما.

وعليه فهي تختصّ بالإجابة على سؤالين أساسيين هما:

– كيف نشأ بالتحديد هذا التفكير التداولي؟

– و ما هي النتائج أو التأثيرات على علوم اللغة؟

ويعود تكوين مجال التداولية إلى أزمة الفلسفة الغربية التي لم يسبق أن مرت بمثلها في التاريخ، فظهر ذلك منذ القرن التاسع عشر بالنظر إلى مختلف تيارات التفكير التي قامت بالرجوع إلى بحث موضوع اللغة، فأصبح التخمين يتجلّى في هذه الثلاثية:

– سبب أزمة الرياضيات

– سبب المنطق الكلاسيكي

– وأيضا الميتافيزيقا التقليدية.[4]

---

[1]– ينظر فرونسواز أرمينكو، المرجع السابق، ص: 8.

[2]– ينظر الجيلاني دلاش، المرجع السابق، ص: 4.

[3]– ينظر عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص: 64.

[4] –Voir Philippe Blanchet ; Pragmatique d'Austin à Goffman, P : 8.

ويفرّق جون سورل* (John Searle) بين الفلسفة اللسانية وفلسفة اللغة، فالفلسفة اللسانية تدلّ على المنهج، أمّا فلسفة اللغة فتدلّ على موضوع البحث، وقد ألف كتابه "أحداث الكلام" خاصّا بفلسفة اللغة[1]، بمعنى آخر ثمّة الإجراء والتحليل وهناك المادّة والظاهرة.

ولقد بدأت إرهاصات أولية في أواخر القرن الماضي وبداية القرن العشرين مع دعوات بيرس (Pearce) الذي عاصر دي سوسير حيث ولد سنة 1858 وتوفّي 1914، وإن كانت أعماله لم تنشر إلا في العقد الثالث من هذا القرن العشرين، كما أنّها لم تنل الحظوة التي نالتها دراسات الباحثين الآخرين في هذا المجال.

ومن هنا فإنّ التداولية ليست نظرية أحادية شاملة، ولا مجال بحث شديد التوحّد والتآلف؛ بل بالعكس إنّها تتميّز بعدم تجانس مصادرها ومنطلق اتّجاهاتها، ومن حيث مناهجها أيضا، ولذلك كان تصوّرها يختلف في الواقع من منظّر إلى آخر ومن مدرسة إلى أخرى[2].

ومن منظّريها الأساسيين وممثّليها هم:

- الفيلسوف أوستين (Austin)
- وسورل (Searle).
- وعالم الاجتماع قوفمان *(Goffman Erving).
- وعالم اجتماع لغة الأجناس(Gumperz)** . وتقابل لغة الأجناس مصطلح في اللغة الفرنسية، وهي دراسة اللغة كتعبير عن ثقافة الشعوب وهي مثل الأنثروبولوجية اللسانية التي تهتمّ بها الموضوع أيضا.
- ويضاف إلى هؤلاء مدرسة ذات خاصية نفسية وهي مدرسة Palo Alto[3].

---

*-جون سورل:فيلسوف أمريكي، ينتمي إلى التيّار التحليلي، ومتخصّص في فلسفة اللغة وفلسفة العقل.

[1] –Searle, les actes de langage, essai de philosophie du langage, collection, savoir Herman ; Paris ; 1972; P :38.

[2] – Georges Eli Sarfati, Précis de pragmatique, nathan Université ; France. 2002 ; P: 5.

قوفمان إرفنك: كندي الأصل، ولد في 1822، عالم اجتماع ولساني أمريكي.اعتبر الحضور أو المواجهة البينية وهي الحالات التي

* *يكون فيها اثنان حاضران حضورا فيزيقيا الواحد مع الآخر، ويمثل الموضوع الحقيقي للدراسة الاجتماعية.

جون جوزيف جمبرز:ولد في 1922، وتوفّي في 2013،عالم لسانيات أمريكي. ويعدّ من أكبر العلماء المثقّفين الأمريكيين الذين

**أسّسوا في القرن العشرين علم الاجتماع اللساني البيني.

[3] – Voir, Georges Eli Sarfatil ; Ibid ;P : 8.

لقد بدأت التداولية في الظهور في فرنسا خاصة حوالي 1980، بعدما تأسّست على معرفة متشعبة ومسهبة أثرت الدراسات اللسانية، فأدخلت تدريجيا في محاور التعليم العالي وبخاصة في حقل الدراسات الأدبية والعلوم الاجتماعية[1].

إنّ حدود التداولية كميدان خاص لدراسة اللغة إلى الفيلسوف والسيميائي الأمريكي شارل موريس (Charles Morris) في كتابه (Foundations of the theory of signs)، الذي قسم إدراك اللغة وفهمها في ضوء النظرية العامّة للسيميائية إلى ثلاثة ميادين متّصلة فيما بينها وهي:

أ- التركيب،

ب- الدلالة،

ج- والتداولية التي ترتبط بالعنصرين السابقين[2].

3-

تعود المصادر المؤسّسة للسانيات التداولية إلى المنابع الآتية:

أ- السيميائية المنطقية المرتبطة بنادي فيينا (Vienne Cercle).

ب- سيميائيات ش.موريس[3] (Morris) التي تفرّع عنها تيّار بارز يمثله عالم الاجتماع ج.كلاس (G.Klauss Troitzsch) من ألمانيا الديمقراطية وهو من مواليد 1946.

ت- الذرائعية[4] Pragmatique الأمريكية لشارل سندرس بيرس الذي كانت دعوته إلى تناول وتحليل الدليل اللغوي في أبعاد ثلاثة، وإن كانت في الواقع موجودة مجتمعة في كيان واحد، إلا أنّ ضرورة التحليل تقتضي فصلها للدراسة، وهي كالآتي:

أولا: البعد التركيبي حيث يتناول الدليل في نفسه، فهو لهذا الاعتبار مجرّد دالّ كامن غير معيّن وغير مختصّ، فإذا أخذنا مثلا الأحمر الذي هو صفة في المطلق نجد دلالاته عديدة، فقد يدلّ على اللون أو علامة الوقف بالنسبة للمارة أو السيارات، أو على الغضب عند احمرار الوجه... إلخ.

---

[1]- Voir, Georges Eli Sarfatil ; Ibid,P: 5.

[2] - D.Maigueneau; pragmatique pour le discours littéraire, p : 3.

[3]- موريس: ولد سنة 1911، وهو فيلسوف أمريكي.

[4]- لا ينبغي الخلط بين التداولية بالنفعية (الذرائعية) التي تعني مذهبا يتخذ القيمة العملية التطبيقية قياسا للحقيقة، معتبرا أن الحقيقة المطلقة غير موجودة، و أنه لا شيء حقيقيا إلا كل ما ينجح. وصاغ هذا المذهب بيرس عام 1879، وطوره كل من وليام جيمس وجون ديوي. (آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم –علم جديد في التواصل، ترجمه: د.سيف الدين دغفوس، د.محمد الشيباني. المنظمة العربية للترجمة ط:1، سنة 2003، ص: 28.

ثانيا: البعد الوجودي أو الدلالي (المعنوي) حيث يُربط الدليل بما يدل عليه، وهذه العلاقة تقتضي أنّ العلاقة الأولى الترتيبية موجودة.

ثالثا: وأخيرا البعد التداولي حيث ينظر إلى الدليل من خلال العلامة التي تربطه بمؤوّله، فيصير الدليل بذلك قانونا عاما في عالم التبليغ والدلالة[1].

4- ةنئذ تلئسئك ذب

تتّفق جلّ النظريات على أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية خاضعة إلى قواعد ونظام غدت التداولية تبحث مظهرها وملامحها ومميّزاتها، وهي تتفرّع إلى تيارين أساسيين هما:

- تيار شارل موريس **(Charles Morris)** مؤسّس التداولية.
- وتيّار فلاسفة أكسفورد بزعامة جون أوستين **(J.Austin).**

آ- ةنئذ سئذك لمذإ ر: ويتجلّى هذا التيار في كتاب موريس الموسوم بـ " **Foundations of the theory of signs**" الذي ألفه سنة 1938، وترجم إلى الفرنسية بـ " **Fondements de la théorie du signe**" ويتّضح أيضا في المقال الذي نشره في السنة نفسها في موسوعة علمية لمختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة مثل علم التركيب وعلم الدلالة والتداولية.

ويقصد بالتداولية تلك النظرية أو الآلية أو المنهج الذي يهتمّ "بعلاقات العلامات بمستخدميها ومتداوليها أو العلم الذي يعالج العلاقة بين الأدلّة و مؤوّليها[2].

وقد أحدث مفهوم موريس للتداولية قطيعة منهجية وفكرية مع سيميائية بيرس حين جعل التداولية فرعا منها. فأعاد تعريف المؤوّل ليعطي أهمّية لمستعمل العلامات، أما بيرس فكان يرى العلامة ما هي إلا تأويل لعلامة أخرى[3].

ومعروف أن بيرس كان يتصوّر أنّ العالم يتمّ إدراكه بالتفاعل ما بين الذوات والنشاط السيميائي، ويحصل ذلك بفضل العلامات، وتوجد علاقة خاصة بين الناس والأدلّة التي تشكّل رموزا تمثّل الواقع الذي يحملهم على التعاون والتحرّك[4].

---

[1]- د.خولة طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص: 158-159.

[2]- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم -علم جديد في التواصل، ترجمة د.سيف الدين غفوس و د.محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط1، سنة 2003، ص: 29.

[3]- Georges Elia Sarfati, Ibid, P : 12.

[4]- ينظر الجيلالي دلاش، المرجع السابق، ص: 8.

والصيغة اللسانية الأساسية للتداولية الملخّصة لفكر بيرس هي أنّه لكي نبلور دلالة فكرة ما يجب ببساطة تحديد العادات التي تولّد هذه الأدلّة؛ ذلك أن دلالة شيء ما إنّما تتمثّل في العادات التي تتولّد عنها.

فالسّمة المميّزة للعادة تكمن في الكيفية التي تحثّنا على العمل ليس في الظروف المحتملة فحسب؛ بل كذلك في الظروف الممكنة الحصول، وحتّى تلك التي يتعذّر تصوّرها[1]. ويكاد يتّفق الباحثون مثل موريس، وبنفنيست* (Beneveniste)، ولاينز (Lyons)، وأوريكسيوني (Orrectionni) على تناول العناصر الآتية في التداولية:

– المعيّنات: (Les deixis) وهي الضمائر وأسماء الإشارة وأداة التعريف.

– الزمان: الزمن النحوي (الماضي والمضارع والأمر).

– المكان: كبعض ظروف المكان (هنا وهناك)، أو(قرب– بعد)، و(أمام–خلف)، وبعض التعابير المكانية سواء أكانت مكانية بنفسها، أم قامت مقام المكان (السينما– السوق– ونحو– واتّجاه...إلخ.

– دلالة الألفاظ العاطفية والقيمية: سواء أكانت أسماء أم أفعالا أم صفات، مثل مسلم، كافر، وأُحبّ، وأَكره، وتمنّى، فهي تدلّ على عاطفة وحكم.

– تعابير الوجه: وهي جهة الضرورة والإمكان من جهة المعرفة، وجهة الفعل، وجهة الكينونة والظهور[2].

ا– ةنئذ غلإف بـ آقفـ مخ

يعدّ فيتجنشتاين[3] الألمانيL.Wittgenstein (1851–1889) من المؤسّسين الأوائل للتداولية، وقد كان يرى اللغة لعبا متميّزا بقواعد، لا يمكن ممارسته إلا بمعرفتها، ونما هذا الاتّجاه وطوّره في مختلف أبحاثه التي عالجت أدوات الاحتجاج في اللغة.

---

[1]– ينظر الجيلالي دلاش، المرجع نفسه، ص: 8.

– إيميل بنفنيست،عالم لسانيات فرنسي من أصول سورية، ولد 1902 وتوفّي سنة:1973، بجنس بالجنسية الفرنسية في 1924.

*اهتمّ باللغات الهندو– أوروبية والنحو المقارن وعلم الدلالة العام. من كتبه:إشكاليات اللسانيات العامّة في جزئين.

[2]– د.محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص: 138–139.

[3]– فتجنشتين لودفيغ: Wittgenstein, Ludwig (1889–1951)، فيلسوف نمساوي من أصل، درس الهندسة في جامعة برلين ثم في حامعة ماشستير. اهتم بالرياضيات وبفلسفتها وتعرف عن كثب على أبحاث رسل وفريجه في المنطق الرياضي. ويرى أن اللغة الوحيدة المشبعة بالمعنى هي تلك التي تنتج صورة عن العالم، أي تلك التي تعكس صورتها المنطقية بنية الحوادث.

أ– إنّ مركز اهتمام الفيلسوف تحول عن اللغة العرفية وتوجه نحو اللغة العادية.

ب– لقد أصبح الفيلسوف يتمسك بالمظاهر الأكثر سهولة في علم قواعد اللغة من مؤلفاته الرسالة المنطقية الفلسفية.

وتأثّر ديكرو (Oswald Ducrot) بتشبيه فيتنجشتاين اللغة باللعب في كتابه "قل ولا تقل" (Dire et ne pas dire)) فرأى الكلام فعلا وحدثا محقّقا في الواقع، ولا ينفصل عن المؤسّسة أو الفئة التي ينتمي إليها المتكلّم، فالذي يضفي على نفسه مرتبة الآمر مثلا، فلا شكّ في أنّه يضع غيره في مرتبة المأمور، وليتحقّق ذلك لابدّ من توافر شروط محدّدة خاضعة لأعراف اللغة.

ولكن أبرز الممثلين لتيّار التداولية في هذه المدرسة هما: سورل (Searle) وجون أوستين (J.Austin)[1] الذي يتداخل مع تيار موريس. فقد اهتمّ بأحد الجوانب الضرورية في التداولية وهو دراسة "الأفعال الكلامية"، أو ما يعرف بنظرية "أفعال اللغة" (Théorie des actes de langage).

ويقوم هذا الاتّجاه على فرضية أساسية مفادها أنّ الكلام يقصد به تبادل المعلومات من جهة، وفي الوقت ذاته هو فعل يهدف إلى تحويل وضع المتلقّي وتغيير نظام معتقداته ومواقفه السلوكية[2].

وقد تناول التداولية بالدراسة إلى جانب الفلاسفة كثير من اللسانيين الذين يصعب حصرهم، ومن الأسس التي يقوم عليها هذا التيار التفرقة بين الأقوال الإخبارية والأقوال الإنجازية.

وكان منطلق أوستين هو تحليل أفعال الكلام، حيث كان يرى أنّ وظيفة اللغة الأساسية لا تتمثّل في إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار فحسب؛ وإنّما هي مؤسّسة تتكفّل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية معيّنة إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية، فهو من الذين قالوا: "إنّ اللغة نشاط وعمل ينجز أي إنّ الكلام لا يخبر ولا يبلغ فقط؛ بل إنّه يفعل، أي يعمل، ويقوم بنشاط مدعم بنيّة و قصد يريد المتكلّم تحقيقه من جرّاء تلفّظه بقول من الأقوال".

---

[1]- أوستين جون (1911-1960) أستاذ في فلسفة الأخلاق، ويعد مؤسس تداولية أفعال الكلام، وقد تميّزت أعماله عن الدراسات اللسانية في العشريات الأخيرة من القرن الماضي، وهو ينتمي إلى أصحاب الفلسفة التحليلية. لم ينشر شيئا في حياته، الكتاب الوحيد هو How to do things with words، كيف نصنع الأشياء بالكلمات، وهو عبارة عن محاضرات جمعها طلابه.

[2]- ينظر د.محمد مفتاح، المرجع السابق، ص: 139.

فحينما يقول القاضي: "فتحت الجلسة"، فإنّما يكون قد أنجز فعلا اجتماعيا، وهو فتْح الجلسة، وانطلاق الأشغال والأعمال، وكذلك عندما يقول "أرفعها الآن"، فهو لا يخبر فقط عن ذلك؛ بل هو بالفعل يفعل ذلك وتكون الأعمال قد انتهت.

وكذلك الحال لمّا يقول الطفل لأمّه "أعدك أنّني لن أكرّر هذا العمل ثانية"، فمثل هذه الأفعال أو الأقوال والصيغ تبرز الجانب العملي للّغة من خلال نوع خاصّ من الأقوال يسمّيها أوستين الأفعال الإنشائية التي هي عبارة عن أفعال أو كيفية من كيفيات العمل[1].

وقد نلفي ذلك واضحا في الصيغ العربية الآتية:

فعندما يقول الوليّ لمن جاء يخطب ابنته: "زوّجتك ابنتي" فهذه العبارة لا تحتمل الصدق أو الكذب ولا يخبر بها المتكلّم فقط، وإنّما هي إنجاز لفعل اجتماعي وديني ألا وهو قبول بالفعل تزويج ابنته، أي تحوّل الكلام من العلاقة بين شابّ وشابّة إلى واقع آخر غير الذي كانا عليه قبل التلفّظ بتلك العبارة.

وكذلك لمّا يقول البائع لمن اشترى منه سلعة: "لقد بعتك سلعتي أو وافقت على البيع، فهو لا يوصل معلومة فحسب؛ وإنّما ينجز عملا اقتصاديا واجتماعيا يتمّ بين البائع والمشتري، وهو فعل محقّق في الآن؛ على الرغم من أنّ الصيغة في الزمن الماضي، فكلّ ما يمكن أن نورده هو أن هذه الأقوال قد تنجح أو تستجيب لمقتضى الحال أو تخفق.

وبناء على هذه الأسس ميّز أوستين بين نوعين من الأقوال وهما:

– النوّع الأول: وهو تلك الأقوال التي تصف حالا معيّنة لشيء أو شخص ويسمّيها الأقوال التقريرية وكان قد أطلق عليها العرب القدامى الأساليب الخبرية (actes constatifs)، وإن كانت فكرة الصدق والكذب غير واردة في التداولية.

– والنوّع الثاني: فهي لا تصف ولا تخبر ولا تمثّل، ولا خاضعة لمعيار التصويب، وإنّما ميزتها الأساسية أنّ التلفّظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع، ويسمّيها أوستين الأقوال الإنشائية أو الإنجازية [2](Performatifs) التي تعدّ نقيضة للأقوال التقريرية.

وهو بهذا التقسيم يرفض ثنائية الصدق والكذب بالنسبة لجمل الإثبات التي وضعها المناطقة. ويلاحظ بأنّ هناك جملا ذات بنية مشابهة لجمل إثبات، التي يمكن للمتكلّم أن

---

[1]- د.خولة طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص: 161-162.

[2]–J .L.Austin ; quand dire c’est faire. Collections points, traduction Giles lanes, éditions du seuil ; 1° édition. 1970,P : 41–47, .156 وينظر عمر بلخير، المرجع السابق، ص:

يصطنع بها أشياء عديدة: الأمر، التقرير، التنبيه...الخ، غير أنّ هذا التماثل الموجود في بنية بعض الجمل خدّاع، نحو "آمرك بالمجيء" (أمر) "آمره بالمجيء" (وضع تقرير حال)،[1]وهذا المبدأ لا يختلف عمّا أشار إليه شومسكي في ثنائية البنية السطحية والبنية العميقة.

ويخلص أوستين إلى وجود جمل وصفية إثباتية أو تقريرية لا يمكن أن تكون كاذبة أو صادقة[2]، وجمل ذات نمط خاص لا يمكن أن يجري عليها هذا المعيار.

فخاصية الجمل الإنجازية أو الإنشائية تكمن في أنّها عندما يُتلفّظ بها تُنجز في وقت ذاته أعمالا، وهو ما يتّضح من الأقوال الآتية:

- أتمنّى لك سفرا ممتعا.
- أرجو منك المعذرة.
- نشكر لكم حسن زيارتكم.

فلا يمكننا أن نصف هذه الأقوال بالصدق أو الكذب، إذ أنّ كلّ ما يمكن أن نقوله هو أنّه قد يتمّ بها التبليغ من جهة، وقد تستجيب لمقتضى الحال أو قد تخفق في ذلك.

فالردّ على السؤال: هل هذا صادق أو كاذب هو بالنسبة إليه أمر قد تُجوّز، ولمّا كانت الأقوال أعمالا، فإنّه يتعذّر الحكم عليها بالصدق والكذب، وهذا لعمري هو الذي جعل عنوان كتابه ينمّ عن فكرته وفلسفته هو"كيف ننجز الأشياء بالكلام"[3] **(quand dire c'est faire).**

فلقد انطلق أوستين من ملاحظة بسيطة مفادها أنّ الكثير من الجمل التي ليست استفهامية أو تعجبية أو أمرية لا تصف أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب. وبالفعل لا تستعمل هذه الجمل لوصف الواقع؛ بل لتغييره، فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، وإنّما تغيّرها أو تسعى إلى تغييرها[4].

وفي الأخير فكرَ أوستين يتلخّص في القضايا الأساسية الآتية:

- رفضه للأطروحة القائمة على مبدأ الصدق والكذب في الأقوال.
- اقتراح مفهوم الأقوال الإنشائية على عكس مفهوم الأقوال التقريرية.

---

[1]- ينظر الجيلالي دلاش، المرجع السابق، ص: 22.

[2] – J.L.Austin, Ibid ; P:40.

[3] – لقد ترجم عبد القادر قنيني كتاب أوستين بما ذكرناه في المتن، دار طبع إفريقيا الشرق.

[4]- ينظر آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم، ص: 30.

– وبعد تحليل عميق انتهى إلى أنّ القول (énoncé) داخل السياق، هو كيفية من كيفيات العمل[1]، فقام أوستين بتجميع جميع الأفعال اللغوية في خمس فصائل كبرى تحتوي على:

– الأفعال اللغوية الدالّة على الحكم (Verdictifs) مثل قدّر، حكم على...

– الأفعال اللغوية الدالّة على الممارسة والتطبيق (exercitifs) نحو عيّن، نضج، حذر...

–الأفعال اللغوية الدالّة على الوعد (comparatifs) مثل: وعد، كفل، التزم...

–الأفعال اللغوية الدالّة على السيرة (condutifs) نحو شكر، هنأ... ووظيفتها هي ضبط سيرة وسلوك المتكلمين الاجتماعي.

– الأفعال اللغوية الدالّة على العرض(expositifs) مثل افترض، اعترف، ردّ وهي تقوم بضبط مكانة أقوالنا داخل الحديث أو الحوار[2].

5–[illegible]

لقد أدّى تطوّر المناهج والنظريات في العصر الحديث إلى كشف وفهم وتحليل النصوص والخطابات بشكل مختلف عمّا كانت عليه في الدراسات السابقة، على الرغم من أنّ هذه النظريات لم تلغ ما قدّمه القدماء في بحوثهم. وأصبحت ترتبط الكتابات الأدبية بالإطار التواصلي، وبمعنى آخر بالتلفّظ، فالقراءة هي في الحقيقة تلفّظ إضافي للخطاب أو الكتابة الأدبية حسب الرسم النظري للدلالة المقترحة من التداولية[3].

فالمتكلّم يوجد ضمن التلفّظ أو التواصل، فكلّ ما يحقّق الفهم للنص يمكن أن تولى له العناية أثناء التحليل.

وأنتجت التداولية تصوّرات قادرة على تجديد إجراءات تحليل الحدث الأدبي، وإنّه لمن الصعب أن نقوّم الآن نتائج هذه المسيرة القصيرة، فالفرضيات التي وضعها سيرل (Searle) مكّنت من إعطاء تصوّر جديد حول الأدب أو على الأقلّ بإدخال النظرة التداولية في هذا المجال، وهذا ما حاول مانقينو (Maingueneau) القيام به في كتابه (pragmatique pour le discours (littéraire.

ومن هنا نستطيع القول إنّ هناك "تداولية أدبية؛ وبالتالي فهي تكون في هذا المجال" نظرية استعمالية حيث تدرس اللغة في استعمال الناطقين بها، ونظرية تخاطبية تعالج

---

[1]- ينظر الجيلالي دلاش، المرجع السابق، ص: 24.

[2]–J.I.Austin ; Ibid ; P :155–163.

[3] – Philippe Blanchet, la pragmatique d'Austin à Goffman ; P : 122.

شروط التبليغ والتواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء استعمال اللغة"[1]، فهي تركّز على العمل الأدبي باعتباره رسالة توصيلية مكوّنة من مستويات متعدّدة يمكن فهمها وتأويلها.

6- [illegible]

تتأسّس التداولية على المقتضيات التواصلية والسيميائية وتتداخل معها، والتداول هو في الحقيقة التواصل الفعلي الذي يعبّر عن الغرض، ويبلغ المقصود بسهولة ويسر، أي يصيب المعنى من أقرب مرمى بلغة العرب القدامى[2].

وتأتي أهمّية التداولية في كونها تهتمّ بالإجابة على مختلف الأسئلة الأساسية والإشكالات الجوهرية في النص الأدبي، فهي تحاول الإحاطة بأسئلة عديدة معروفة لدى علماء الاتصال والإعلام التي ينبني عليها منهج تحليل المضمون، وذلك نحو:

- من يتكلم؟ ومع من؟ أو إلى من؟ ولأجل ماذا؟
- ماذا يقول بالضبط حين يتكلّم؟
- كيف نتكلّم عن مسألة ونقصد أخرى، أو كيف نتكلّم عن شيء، ونريد شيئا آخر؟
- ما هي استعمالات اللغة؟
- ما هي قيود الكلام والحديث؟
- ما هي أدوات الإقناع الموظفة والتأثير في الخطاب؟
- أين يكمن الغموض في الكلام؟
- لماذا التلميح أبلغ من التصريح؟

وتعدّ أغلب هذه الأسئلة ممّا حصره هارولد لاسويل[3](Harold Lasswel Dwight) في كتاباته عندما تعرّض إلى أهمّية الاتصال ودوره في المجتمع وكيفية فهم مضمونه.

---

[1]- ينظر راضية خفيف بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب الأدبي – مقاربة نظرية، عن دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد: 2، سنة 1987-1988، المغرب، حوار مع د.طه رمضان.

[2]- ينظر د.بشير إبرير، سمات التداول في الخطاب السياسي، ص: 42.

[3]- هارولد لازويل دوايت: عالم اجتماع أمريكي، ولد سنة 1902 بمدينة دونلاسون (Donne Lason)، عنى بدراسة الاجتماع السياسي، وكانت له نظرة سلوكية نفسية حول تأثير الاتصال الاجتماعي في العلاقات الاجتماعية، وهو صاحب المقولة الشهيرة أي الأسئلة الخمسة: من؟ يقول ماذا؟ لمن يقول؟ بأية قناة؟ وتحت أي تأثير؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة تتطلّب إحضار مقاصدنا، وأفعال لغتنا وسياق تبادلاتنا الرمزية. والبعد التداولي للغة المستعملة يؤدّي إلى وجود مفاهيم هامّة تتميّز في حقل التداولية مثل: مفهوم الفعل– مفهوم السياق– ومفهوم الانجاز[1].

7–[illegible]

إنّ تأمّل التراث العربي يفضي إلى استنتاج الجانب التداولي من شتى علومه ومناهجه ونصوصه، ويتبيّن ذلك من تفطّن العرب في وقت مبكّر إلى آليات التحليل التداولي وفروعه وشروطه.

يقول أحمد المتوكّل: "وتمتاز اقتراحات السكّاكي (في مفتاحه) عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة بأنّ تجاوز الملاحظة الصرفة، وتحمل أهم بذور التحليل الملائم للظاهرة، أي التحليل الذي يضبط علاقة المعنى "الصريح" بالمعنى المستلزم مقاميا، ويصف آلية الانتقال من الأوّل إلى الثاني بوضع استلزامية واضحة. هذا بالإضافة إلى ميزة أخرى وهي أنّ تقعيد السكّاكي ورد مؤطرا داخل وصف لغوي شامل يطمح لتناول جميع المستويات اللغوية: أصوات، صرف، نحو، معاني، بيان"[2]. ولم يكن السكّاكي الوحيد من الذين نلفي لديه السمات التداولية، فقد تناثرت في مصادر متعدّدة ولدى علماء كثيرين أمثال علماء الأصول والمفسّرين وغيرهم.

وتتجلّى الجوانب التداولية كذلك في تقسيم البلاغيين العرب للكلام إلى خبر وإنشاء وأغراض كلّ منهما، ومحاولة تحليلها في ضوء المقام ومقتضى الحال.

ومن النماذج التداولية التي يمكن الاستشهاد بها في هذا المقام ما ورد عن الجاحظ في قوله: " قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمتخلّجة في نفوسهم، والمتّصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرة، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلاّ بغيره.

---

[1]– ينظر د.بشير إبرير، المرجع السابق، ص: 43، وينظر د.سعيد علوش، المرجع السابق، ص: 5–7، وينظر عمر بلخير، المرجع السابق، ص: 8.

[2]– د.أحمد المتوكل، اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، أعمال الندوة الثالثة في البحث اللساني والسيميائي، كلية دار الآداب، والعلوم الإنسانية، الرباط، 1981، ص:21، عن عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص: 174–175.

وإنّما يُحْيِ تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إيّاها، وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفهم، وتجلّيها للعقل، وتجعل الخفيَّ منها ظاهرا، والغائب شاهدا والبعيد قريبا. وهي التي تلخّص الملتبس، وتجعل المهمل مقيّدا، والمقيّد مطلقا، والمجهول معروفا، والوحشي مألوفا، والغفل موسوما، والموسوم معلوما. وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقّة المدخل، يكون إظهار المعنى. وكلّما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع..."[1].

ويتجلّى الجانب التداولي في النصّ من خلال حديث الجاحظ عن ضرورة استعمال المعاني ووضوحها، فالإخبار عن المعنى هو الذي يضمن تقريبه إلى الفهم حيث يركّز المتكلّم على ضرورة إفهام المخاطَب، وإبلاغ محتوى رسالة، لتحقيق الإفادة والمقصدية التي منها التأثير الإقناع [2].

خاتمة:

وبعد، فإنّ التداولية نظرية تسعى لوضع حدود معالمها ضمن تيّارات ومناهج متعدّدة التي أفرزتها المعارف والعلوم المختلفة في العصر الحديث، وهي تمتلك اليوم الآليات والأدوات التي تحلّل بها اللغة وبخاصّة أحداث الكلام لمعرفة خصائصها اللسانية، معتمدة على المرجع والسياق الذي أهملته اللسانيات البنيوية.

وتنهل التداولية من علوم شتّى مثل النحو وعلم الدلالة البلاغة والسيميائية، وبهذا التلاحم في الفكر العربي نرى جدوى التداولية، وإذا انعدم هذا التلاحم فسيكون مآلها إلى مآل البنيوية.

ونراها تطورت من تحليل اللغة العادية إلى تحليل النصوص والخطابات المختلفة، وما له علاقة بها مثل: الحوار وأهمية الدليل في التركيب والسياق وغير ذلك.

ومهما تكن الانتقادات الموجّهة إليها؛ فهي في بداية الطريق، وهي رافد من روافد العلم سيفيد – بلا ريب– التفكير الإنساني وينميّه ويطوّره، وتسهم في إثراء مقاربات تحليل الخطاب، و تزوّد الدارس بأدوات إجرائية يفضي تطبيقها إلى نتائج ذات قيمة علمية.

---

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، ج:1، ص: 45.

[2]– راضية خفيف بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، مقاربة لسانية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، سورية، العدد: 399، سنة 2004.

خاتمة بالإنجليزية

لقد حاولنا في هذا الكتاب أن نتتبّع المدارس اللسانية قديمها وحديثها، وفي جوانبها المختلفة والأساسية يذكر منها:

– المبادئ التي ارتكزت عليها والآراء التي تبنّتها والأعلام الذين أسّسوها وأرسوا قواعدها ولبناتها.

– ثمّ المناهج التي تميّزت بها، وقد بدا الاختلاف بينها واضحا، كما توجد قواسم مشتركة بينها.

وهي العناصر التي لابدّ من توافرها لكي نطلق على هذا الاتجاه أو ذاك مدرسة، يضاف إليها المكان أو الفضاء الجغرافي الذي تولد فيه، واستمرارية هذه المبادئ عبر جيل أو جيلين أو أكثر.

وفي الأخير إنّ هذا العمل ليس منتهيا، وسيكون كذلك عندما تملأ ثغراته، بإضافات جمّة من النصوص التطبيقية العديدة على اللغة العربية، وأخرى تعلّل، وتبرهن لهذه الفكرة أو تلك. نتمنّى أن نضيف ذلك، أويستدرك غيرنا ما فاتنا في المستقبل إن شاء الله.

والسلام.

غهد زطهد سئخذ طهصوجظ

- القرآن الكريم برواية ورش

1- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية. مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، سنة 1975.

2- إبراهيم السامرائي، العربية تواجه العصر. منشورات دار الجاحظ، بغداد.

3- الإبراهيمي محمد البشير، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ج2، دون سنة.

4- أحمد عثمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري. عالم المعرفة، أيلول، 1989.

5- أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية. اتحاد الكتاب العرب، سورية، سنة 2000.

6- أحمد عزوز، علم الأصوات اللغوية. ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر.

7- أحمد طاهر حسنين، نظرية الاكتمال اللغوي عند العرب. ط:1، القاهرة.

8- أحمد محمد قدور، مباديء اللسانيات. دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط:2، سنة 1999.

9- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب. عالم الكتب، القاهرة، ط4، سنة 1982.

10- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب، ط:3، القاهرة، سنة: 1985.

11- أحمد مختار عمر، علم الدلالة. عالم الكتب، القاهرة، سنة 1988.

12- أحمد مومن، اللسانيات –النشأة والتطور- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، سنة 2002.

13- أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي. إفريقيا الشرق، الدار البيضاء. المغرب. سنة 1987.

14- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو. تحقيق مازن المبارك، مكتبة العروبة.

15- أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية. بيروت، ط1:، سنة 2000.

16- أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

17- البدراوي زهران، مقدمة في علوم اللغة، دار المعارف، القاهرة، سنة 1987.

18- بناني محمد الصغير، المدارس اللسانية في التراث العربي في الدراسات الحديثة. دار الحكمة، سنة 2001.

19- ترنس هوكس، البنيوية وعلم الإشارة. ترجمة مجيد الماشطة، مراجعة د.ناصر حلاوي. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد.

20- تمام حسان، اللغة العربية –معناها ومبناها- الشركة الجديدة، دار الثقافة. الدار البيضاء، المملكة المغربية. دون سنة.

21- الجاحظ، البيان والتبيين. تحقيق وشرح عبد السلام هارون. مؤسسة الخانجي، ط:3، القاهرة، مصر.

22- ابن جني، الخصائص. تحقيق علي النجار. دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون سنة.

23- جورج مونان، تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين. ترجمة بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، سنة 1972.

24- جون لاينز، اللغة – المعنى- السياق- ترجمة د.عباس صادق الوهاب، مراجعة يوئيل غريز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط:7، سنة 1987.

25- جيفري سامبسون، مدارس اللسانيات –التسابق والتطور، ترجمة د.محمد زياد كبّة، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، سنة 1994.

26- جيفري سامبسون، مدارس اللسانيات- التطور والصراع، ترجمة محمد الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط:7، سنة: 1987.

27- حنون مبارك، مدخل للسانيات سوسير. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء، المغرب، سنة: 1992.

28- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، سنة 1989.

29- ابن خلدون، المقدمة. دار الكتب العلمية، بيروت. ط1، سنة 1993.

30- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب الجمل في النحو. تحقيق د.فخر الدين قباوي. مؤسسة الرسالة، طهران، ط1، سنة 1410هـ.

31- دراقي زبير، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.

32-الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف من حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار الفكر، لبنان. دون سنة.

33- الزوزني، شرح المعلقات العشر. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

34- السعران محمود، علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي. القاهرة، 1962.

35- سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.

36- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء. شرح محمود محمد شاكر. دار المعارف للطباعة، القاهرة. سنة 1952.

37- سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات العامة الميسرة –علم التراكيب- مطبعة أنوار، الجزائر، سنة 1990.

38- سهيل إدريس، وجبور عبد النور، المنهل –فرنسي- عربي، دار الآداب، بيروت، ط:8.

39- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب. تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنسر والتوزيع. القاهرة، ط:3، سنة 1988.

40- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن. حققه وعلق عليه وعمل فهارسه عصام فارس الحرستاني، خرّج أحاديثه محمد أبو صعيليك، دار الجيل. بيروت، ط:1، سنة: 1998.

41- السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 1998.

42- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها. شرح وتصحيح وعنوان وتعليق محمد أحمد جاد المولى وآخران. دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابلي و شركاه بمصر.

43- الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، القاهرة، 1971.

44- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن محمد، إشراف د. إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية. بيروت، سنة 1988.

45- صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد. دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت. ط:1، سنة: 1993.

46- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1994.

47- طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين. الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع. الإسكندرية، سنة 1997.

48- عادل فاخوري، السيمياء عند بيرس. مجلة دراسات عربية، العدد:06، أبريل 1986، بيروت.

49- عباس حسن، النحو الوافي. دار المعارف، القاهرة. ط: 8.

50- عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، مطبعة دار هومه. الجزائر، سنة 2001.

51- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية. الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1986.

52- عبد الغفار هلال حامد، علم اللغة بين القديم والحديث. مطبعة الجبلاوي، شبرا. ط:2، سنة: 1986.

53- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز. دار المعارف، بيروت. ط:2، سنة 1981.

54- عبد الكريم بكري، فصول في اللغة والأدب. ديوان المطبوعات الجامعية، وهران.

55-عبد اللطيف الصوفي، مصادر اللغة في المكتبة العربية. دار الهدى، الجزائر.

56- عبد الله أحمد جاد الكريم، المعنى والنحو. مكتبة الآداب، القاهرة. ط:1، سنة: 2002.

57- عبد الله بن عباس، غريب القرآن. حققه وقدّم له د.أحمد بولوط، مكتبة الزهراء. القاهرة. ط:1، سنة: 1993.

58- عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة: 1988.

59- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. سنة: 1979.

60- فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة. تعريب صالح القرمادي وآخران، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، دون سنة.

61- فندريس، اللغة ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة. سنة: 1950.

62- فوك كاترين، بياري قوتيك، قضايا ومبادئ اللسانيات المعاصرة، تعريب المنصف عاشور. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة: 1984.

63- ابن قتيبة، أدب الكاتب. حققه وعلق على حواشيه، ووضع فهارسه محمد الدالي. مؤسسة الرسالة، ط: 2، سنة: 1985.

64- كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. ط:2، سنة: 1985.

65- كلود جرمان، وريمون لوبلان، علم الدلالة، ترجمة نور الهدى لوشن. دار الفاضل، دمشق. سنة: 1994.

66- ماريو باي، أسس علم اللغة. ترجمة وتعليق د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب. ط: 2، سنة: 1982.

67- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات (مدخل)، دار طلاس، سورية. ط: 1، سنة: 1988.

68- مازن المبارك، النحو العربي –العلة النحوية، نشأتها وتطوّرها. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروب. ط3:، سنة: 1981.

69- محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة. مكتبة دار الشرق، بيروت. ط: 2.

70- محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء. المغرب، ط :1، سنة: 1980.

71- محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة. دار المنار، لبنان، سنة 1991.

72- محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون. عالم الكتب، القاهرة. سنة 1979.

73- محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق. جدة المملكة السعودية. ط: 1، سنة: 1976.

74- محمود عزام، النص الغائب، اتحاد الكتاب العرب، سورية. ط:1، سنة 2001.

75- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب. ط :2، سنة:1982.

76- ابن منظور، لسان العرب. دار صابر للطباعة والنشر، بيروت، ط: 1.

77- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال. دار مكتبة الحياة، بيروت. ط :2.

78- موريس أبو ناضر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني. مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي. العددان: 18-19، مارس 1982.

79- ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط:1، سنة 1983.

80- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، سنة 1983.

81- ناعوم تشومسكي، اللغة والمسؤولية، ترجمة د.عيسى العاكوب. مراجعة د.حليفة العزابي، معهد الإنماء العربي، ط 1، سنة 1988.

82- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. عالم المعرفة، الكويت. سنة 1978.

83- نور الهدى لوشن، إلياذة الجزائر لمفدي زكريا – دراسة دلالية- دكتوراه دولة. مخطوط بمعهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، سنة 1998.

المصادر باللغة الأجنبي

1-André jakob, genèse de la pensée linguistique ; Librairie Armand Colin, Paris, 1973.

2-C. Normand et Autres, Avant Saussure, choix de textes (1825-1924), édition complexes.

3-De Saussure ferdinand, Cours de linguistique générale, payothéque ; Paris.

4-Francis Vanoy, Expression et communication, Librairie Armand Colin, Paris ; 1973.

5-Fushs et P.Le Goffic, initiation aux problèmes des linguistes contemporains, Hachette Université, 1975. Paris.

6-Georges Matoré, Histoires des dictionnaires français, librairie Larousse, Paris. 1968.

7-Georges Mounin, la linguistique du 20°éme siècle. Presses universitaires de France, 2) édition. 1975. France.

8-Grand Dictionnaire Encyclopédique, Larousse, Paris, 1984.

9-J.M.Adam, linguistique et discours littéraire. Collection L.Librairie, Larousse, Paris ; 1976.

10-Ju.D. Apresjqn, Eléments sur les idées et les méthodes de la linguistique contemporaine. Traduit du russe par JPD e Wrangel et S.Golopentia- cretescu. Dunod éditeurs ; Paris. 1973.

11-Le Petit Robert, sous la direction de Paul Robert, Paris, 1973.

12-Louis Yhelmslev, Le langage. Traduit du danois par Michael Olsen, les éditions de Minuit. 1966. Paris.

13-Noam chomsky, structures syntaxiques, traduit de l'anglais par Michel Brandeau. Editions du Seuil. 1969.

14-R .H Robins, brève histoire de la linguistique de Platon à chomsky. Traduction de l'anglais par Maurice Borel. Editions du Seuil. Paris.

15-www.nominom.com.

16- www.m.alhewar.org

فهرس الموضوعات

الصفحة

مقدمة 2-5

مدخل: **الدراسة اللسانية واللغة العربية** **6-14**

1- اللسانيات بين القبول والعزوف

2- اللسانيات والتراث والنحو

3- وظيفة اللسانيات

4- الغاية من اللسانيات

- خاتمة.

الفصل الأول: المدرسة الهندية **15-27**

1- اختراع الكتابة وأهميتها

2- محاور أساسية في المدرسة الهندية

* اللغة السنسكريتية

* بانيني

* الفيدا

3- عوامل الدراسة اللغوية عند الهنود

4- آراء المدرسة الهندية اللسانية و مبادئها.

5- مميّزات النحو الهندي.

6- الاختلاف بين الهنود والإغريق

7 - التقارب بين الهنود والإغريق

خاتمة

[illegible] **28-35**

1 - اليونان واللغات الأجنبية

2- موضوع نشأة اللغة

3- المباحث النحوية عند اليونان
الفصل الثالث: المدرسة الرومانية **36- 48**
1- تقليد الرومان لليونان
2- بداية الدراسة اللسانية في روما
3- علماء المدرسة الرومانية
أ- شيشرون
ب- كونتيلين
ج- فارون
*حياته
*مؤلفاته
د- بريسيان
الفصل الرابع: المدرسة اللسانية العربية **49-64**
1- نشأة الدراسة اللغوية العربية
2- الشعر ومعاني ألفاظ القرآن الكريم
3- مفهوم النحو وأهميته ووظيفته
أ- النحو لغة
ب- النحو اصطلاحا
ج- أهمية النحو ووظيفته
4- نشأة النحو العربي
5 - النحو والعملية التواصلية
خاتمة.
الفصل الخامس: مدرسة فردينان دي سوسير اللسانية **65- 94**
1- مراحل الدراسة اللغوية
2- العوامل المؤثّرة في دي سوسير
3 - حياة دي سوسير
4 - محاضرات دي سوسير ومنهج إعادة بنائها

5- تلاميذ دي سوسير
6- مبادئ دي سوسير
أ- اللغة واللسان والكلام
ب- الدال والمدلول
ج- الدراسة الآنية والدراسة التعاقبية
خاتمة.
الفصل السادس: المدرسة الوظيفية أو مدرسة براغ اللسانية 95-114
1- في تحديد المصطلحات
أ- مصطلح الوظيفي
ب- مصطلح الوظيفة
2- تأسيس المدرسة الوظيفية
3- مبادئ المدرسة الوظيفية
4- أعلام المدرسة الوظيفية
أ- نيكولاي تروبتسكوي
ب- رومان ياكوبسون
- نظرية التواصل عند ياكوبسون وتحليل الخطاب الأدبي
ج- أندريه مارتينيه.
الفصل السابع: المدرسة النسقية بكوبنهاجن 115-128
1- مبادىء المدرسة
2- تأسيس المدرسة
أ- أوتو يسبرسن
ب- هولدر بدرسن
3- تطوّر المدرسة
4- لويس يلملسف
أ- حياته وأفكاره

ب- مؤلّفاته
5- الكلوسيماتيك
6- منهجية وطريقة يلملسف في التحليل
خاتمة.
الفصل الثامن: المدرسة الاجتماعية أو السياقية بلندن 152-129
1- نشأة الدراسة اللسانية البريطانية
2- أعلام المدرسة البريطانية
أ- ألكسندر ملفيل بيل
ب- ألكسندر جراهم بيل
ج - هنري سويت
د- دانيال جنونز
هـ - فيرث
- آراء فيرث ومبادئه
3- أثر مالينوفسكي في فيرث
4- السياق وأنواعه
أ- السياق اللغوي
ج- سياق الموقف
ب- السياق العاطفي
د- السياق الثقافي
5- مدرسة أكسفورد.
طف سفـطئذزظ:طعتذز بطئلعت ,بطئذ ثمإكذب 171-153
1- المدرسة التوزيعية
2- نوام شومسكي: مؤسّس المدرسة التحويلية التوليدية
أ- حياته
ب- مؤلفاته

ج- متى فَكَّر شومسكي في وضع نظريته التفسيرية؟
3- مبادىء شومسكي اللسانية
4- ثنائيات شومسكي
أ- الكفاية اللغوية والأداء الكلامي
ب- البنية السطحية والبنية العميقة.
خاتمة
الفصل العاشر: اللسانيات التداولية 172-188
1 - تعريف التداولية
2- الجذور المعرفية والفلسفية للتداولية
3- مصادر اللسانيات التداولية
4- تيارات التداولية
أ - تيار شارل موريس
ب- تيار فلاسفة أكسفورد
5- التداولية والخطاب الأدبي
6- التداولية وتحليل المحتوى
7- التداولية في التراث العربي
خاتمة
خاتمة الكتاب 189-190
فهرس المصادر والمراجع 191 - 197
فهرس الموضوعات 198-202